هذا الجزء الثاني
من حسن المحاضرة * في اخبار مصر
والقاهرة * لشيخ الاسلام والمسلمين
الشيخ جلال الدين السيوطي * تغمده
الله برحمته * واسكنه فسيح
جنته * آمين
آمين

فهرست الجزء الثامن من كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة

صحيفه	
٢	ذكر أمراء مصر من حين فتحت الى ان ملكها بنو عبيد
١١	ذكر أمراء مصر من بني عبيد
١٧	ذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو ايوب الى ان اخذها الخلفاء العباسية دار الخلافة
٤٠	ذكر من قام بمصر من الخلفاء العباسية
٦٦	ذكر سلاطين مصر الذين فوض اليهم خلفاء مصر العباسيون فاستبدوا بالامر دونهم
٨٢	ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع
٨٢	ذكر من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح
٨٣	ذكر ما يلقب به ملك مصر
٨٣	ذكر جلوس السلطان في دار العدل للظالم
٨٣	ذكر عساكر مملكة مصر
٨٤	ذكر ارباب الوظائف في هذه المملكة
٨٦	ذكر قضاة مصر
١١٠	ذكر قضاة الحنفية
١١١	ذكر قضاة المالكية
١١٢	ذكر قضاة الحنابلة
١١٣	ذكر وزراء مصر
١٣١	ذكر كتاب السر
١٣٤	ذكر جوامع مصر
١٣٥	جامع عمرو
١٣٨	جامع احمد بن طولون
١٤٠	الجامع الازهر
١٤٠	جامع الحاكم
١٤١	ذكر امهات المدارس والخانقاة العظيمة بالديار المصرية
١٤٢	ذكر المدرسة الصلاحية
١٤٣	خانقاة سعيد السعداء

صحيفة	
١٤٤	المدرسة الكاملية
١٤٤	المدرسة الصالحية
١٤٥	المدرسة الظاهرية القديمة
١٤٥	المدرسة المنصورية
١٤٥	المدرسة الناصرية
١٤٥	الخانقاة البيبرسية
١٤٥	خانقاة قوصون بالقرافة
١٤٥	خانقاة شيخو
١٤٦	مدرسة صرغتمش
١٤٦	مدرسة السلطان حسن
١٤٧	المدرسة الظاهرية
١٤٨	المدرسة المؤيدية
١٤٨	رباط الآثار
١٤٩	ذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر في ملة الاسلام
١٦٧	ذكر الطريق المسلوك من مصر الى مكة شرفها الله تعالى
١٦٨	ذكر قدوم المبشر سابقا يخبر بسلامة الحاج
١٦٩	ذكر حمائم الرسائل
١٧٣	ذكر عادة المملكة في الخلع والزي
١٧٣	ذكر عادة السلطان في الكتابة على التقاليد
١٧٤	ذكر معاملة مصر
١٧٤	ذكر كوكب الذنب
١٧٤	ذكر بقية لطائف مصر
١٨١	السبب في كون اهل مصر اذلا يحملون الضيم
١٨٣	ذكر النيل
١٨٤	اثر متصل الاسناد في امر النيل
١٩٠	ذكر مزايا النيل
١٩٢	ذكر ما قيل في النيل من الاشعار
١٩٧	ذكر البشارة بوفاء النيل

صحيفة	
٢٠١	ذكر المقياس
٢٠٢	ذكر جزيرة مصر وهي المسمّاة الآن بالروضة
٢٠٨	ذكر خليج مصر
٢٠٩	ذكر الخليج الناصري
٢١٠	ذكر بركة الحبش
٢١٠	ذكر ما قيل في الانهار والاشجار وزمن الشتا والربيع من الاشعار
٢١٧	ذكر الرياحين والازهار الموجودة في البلاد المصرية
٢٣٢	ذكر الفواكه
٢٣٧	ذكر الحبوب والخضراوات والبقول

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أمراء مصر من حين فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد

اول امير عمرو بن العاص رضي الله عنه ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الفسطاط وأسفل الارض * وولى عبد الله بن سعد بن ابي سرح على الصعيد الى الفيوم * اخرج ابن عبد الحكم عن انس قال اتى رجل من اهل مصر الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين عائذ بك من الظلم قال عذت معاذاً قال سابقت عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول انا ابن الاكرمين فكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم ابنه معه فقدم فقال عمر اين المصري خذ السوط فاضرب فجعل يضرب به بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الاكرمين ثم قال للمصري ضعه على صلعة عمرو فقال يا امير المؤمنين انما ابنه الذي ضربني وقد اشفيت منه فقال عمر لعمرو مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً قال يا امير المؤمنين لم اعلم ولم ياتني * واخرج ابن عبد الحكم عن نافع مولى ابن عمر ان صبيغاً العراقي جعل يسأل عن اشياء من القرآن في اجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب فضربه ونفاه الى الكوفة وكتب الى ابي موسى الاشعري ان لا يجالسه أحد من المسلمين * وقال ابراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه حدثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان عمرو بن العاص بعث استحل ما استحل من قبطي مصر لانه استقر عنده انه كان يظهر الروم على عورات المسلمين يكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعاً وخمسين اردباً دنانير * قال ابو صالح والاردب ست ويبات وعبر فا الويبة فوجدناها تسعاً وثلاثين الف دينار * قال الحافظ عماد الدين بن كثير فعلى هذا يكون

مبلغ ما اخذ من هذا القبطي يقارب ثلاثة عشر الف الف دينار * قال ابن عبد الحكم توفي عمر وعلى مصر أمير بن عمرو بن العاص باسفل الارض وعبد الله بن سعد على الصعيد فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد اميرا على مصر كلها وذلك في سنة خمس وعشرين * وقال الواقدي وابو معشر في سنة سبع وعشرين فاشتغل عمرو بن العاص الى المدينة وفي نفسه من عثمان امر كبير وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان وكره اهل مصر عبد الله بن سعد بعد عمرو بن العاص واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال اهل المغرب وفتحه بلاد البربر والاندلس وافريقية ونشأ بمصر طائفة من ابناء الصحابة يؤلبون الناس على حرب عثمان والانكار عليه في عزله عمرو وتوليته من دونهم وكان عظم ذلك مسندا الى محمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيفة حتى استنفروا نحوا من ستمائة راكب يذهبون الى المدينة لينكروا على عثمان فساروا اليها وسألوه ان يعزل عنهم ابن ابي سرح * ويولي محمد بن ابي بكرا ميرا فاجابهم الى ذلك فلما رجعوا اذا هم براكب فأخذوه وفتشوه فاذا انا داود كتاب الى ابن ابي سرح على لسان عثمان بقتل محمد بن ابي بكر وجماعة معه فرجعوا وداروا بالكتاب على الصحابة فلام الناس عثمان على ذلك فحلف بما له علم بذلك وثبت انه زوره على لسانه مروان ابن الحكم وزور على خاتمه فكان ذلك سبب تحريض المصريين على قتل عثمان حتى حصروه وقتلوه وكان الذي باشر قتله رجلا من اهل مصر من كندة يسمى اسود بن حمران ويكنى ابا رومان ويلقب حمارا وقيل اسمه رومان وقيل اسمه سودان بن رومان المرادي وكان اشقر ازرق وقتل هو ايضا في الحال لعنه الله ورضي عن عثمان امير المؤمنين وفعل المصريون في المدينة من الشر مالا يفعله فارس والروم ونهبوا دار عثمان وعدلوا الى بيت المال فاخذوا ما فيه وكان فيه شئ كثير جدا وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين * واخرج الواقدي عن عبد الرحمن بن الحارث قال الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عياث التجيبي حتى قال القائل *

الا ان خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

واخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال كانت المرأة تجئ في زمان عثمان الى بيت المال فتحمل وقرها وتقول اللهم بدل اللهم غير فلما قتل عثمان قال حسان بن ثابت

فلم يبدل فبدل للعسر ... سنة حمرى وحربا كاللهب

ما فعتم من ثياب خلقه ... وعبيد واماء وذهب

وروى محمد بن عائذ عن اسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير قال سمع عبد الله ابن سلام رجلا يقول لآخر قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيها عنزان فقال ابن سلام اجل ان البقر والغنم لا تنتطح في قتل الخليفة ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح والله ليقتتلن به اقوام انهم لئن اصلاب ابائهم ما ولدوا بعد وبقيت المدينة خمسة ايام بلا خليفة والمصريون يلحون على علي ان يبايعوه وهو يهرب منهم ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه والبصريون طلحة فلا يجدونهم

فقالوا فيما بينهم لا نولي احدا من هؤلاء الثلاثة فمضوا الى سعد بن ابي وقاص فلم يقبل منهم ثم جاؤا
الى ابن عمر فابى عليهم فحاروا في امرهم وقالوا ان نحن رجعنا بقتل عثمان عن غير امرة اختلف الناس فرجعوا
الى علي فالحوا عليه فبايعوه فاشار عليه ابن عباس باستمرار نواب عثمان في البلاد الى حين آخر فابى عليه
وعزل عبد الله بن سعد بن ابي سرح عن مصر وولى عليها قيس بن سعد بن عبادة وكان محمد بن ابي حذيفة
لما بلغه حصر عثمان تغلب على الديار المصرية واخرج منها ابن ابي سرح وصلى بالناس فيها فسار ابن
ابي سرح فجاءه الخبر في الطريق بقتل عثمان فذهب الى الشام فاخبر معاوية بما كان من امره بديار
مصر وان محمد بن ابي حذيفة قد استحوذ عليها فسار معاوية وعمرو بن العاصي ليخرجاه منها
فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا به حتى خرج الى العريش في الف رجل فتحصن بها وجاء عمرو بن
العاصي فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من اصحابه فقتلوا ذكره ابن جرير ثم سار الى
مصر قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علي فدخل مصر في سبعة نفر فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب
امير المؤمنين علي ثم قام قيس فخطب الناس ودعاهم الى البيعة لعلي فبايعوه واستقامت له
طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربتا فيها اناس قد اعظموا قتل عثمان وكانوا اسادة
الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة الاف منهم بسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن
حديج وجماعة من الاكابر وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدلجي وبعثوا الى قيس بن سعد
فوادعهم وضبط مصر وسار فيها سيرة حسنة * قال ابن عبد الحكم لما ولي قيس مصر احتط
بها دارا قبلي الجامع فلما عزل كان الناس يقولون انها له حتى ذكرت له فقال وأي دار لي بمصر
فذكروها له فقال انما تلك بنيتها من مال المسلمين لاحوي فيها ويقال ان قيسا اوصى لما حضرته
الوفاة فقال اني كنت بنيت دارا بمصر وانا واليها واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهي للمسلمين ينزلها
ولاتهم * وكانت ولاية قيس مصر في صفر سنة ست وثلاثين فكتب معاوية الى قيس يدعوه الى القيام
بطلب دم عثمان وان يكون هو ازره على ما هو بصدده من القيام في ذلك ووعده ان يكون نائبه
على العراقين اذا تم له الامر فلما بلغه الكتاب وكان قيس رجلا حازما لم يخالفه ولم يوافقه
بل بعث يلاطف معه الامر وذلك لبعده من علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود
فسالمه قيس وتاركه فاشاع بعض اهل الشام ان قيس بن سعد يكاتبهم في الباطن ويعاليهم على اهل العراق
وروى ابن جرير انه جاء من جهته كتاب مزور وبايعته معاوية فلما بلغ ذلك عليا اتهمه وكتب اليه
ان يعزل اهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة فبعث يعتذر اليه بانهم كثير عددهم وهم وجوه الناس
وكتب اليه ان كنت انما امرتني بهذا لتختبرني لانك اتهمتني فابعث على عملك بمصر غيري فولى على علي
مصر محمد بن ابي بكر وارتحل قيس الى المدينة ثم ركب الى علي واعتذر اليه وشهد معه صفين فلم يزل
محمد بن ابي بكر بمصر قائم الامر مهيبا بالديار المصرية حتى كانت وقعة صفين وبلغ اهل مصر خبر
معاوية ومن معه من اهل الشام على قتال اهل العراق وصاروا الى التحكيم فطمع اهل مصر في محمد بن

ابى بكر واجترؤا عليه وبارزوه بالعداوة وندم على بن ابى طالب على عزل قيس عن مصر لانه كان كهفا للعساكر وعرفا فاوفع على من صفين وبلغه ان اهل مصر استخفوا بمحمد بن ابى بكر لكونه شابا ابن ستة وعشرين سنة او نحو ذلك عزم على رد مصر الى قيس بن سعد ثم انه ولى عليها الاشتر النخعى فلما بلغ معاوية تولية الاشتر ديار مصر عظم ذلك عليه لانه كان يطمع فى استنزاعها من يد محمد بن ابى بكر وعلم ان الاشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته فلما سار الاشتر اليها وانتهى الى القلزم استقبله الحابى سار وهو مقدم على الخراج فقدم اليه طعاما وسقاه شرابا من عسل فمات منه فلما بلغ ذلك معاوية واهل الشام قالوا ان لله جندا من عسل وقيل ان معاوية كان تقدم الى هذا الرجل فى ان يحتال على الاشتر ليقتله ففعل ذلك ذكره ابن جرير فلما بلغ عليا وفاة الاشتر تاسف عليه لشجاعته وكتب الى محمد بن ابى بكر باستقراره واستمراره بديار مصر وكان ضعف جاشه مع ما فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا وقد كانوا استفحل امرهم وكان اهل الشام حين انقضت الحكومة سلموا على معاوية بالخلافة وقوى امرهم جدا فعند ذلك جمع معاوية امراءه واستشارهم فى المسير الى مصر فاستجابوا له وعينوا نيابتها لعمرو بن العاصى اذا افتحها ففرح بذلك عمرو فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية ابن حديج وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر يخبرهم بقدوم الجيش اليهم سريعا فاجابوه فجهز معاوية عمرو بن العاصى فى ستة آلاف فسار اليها واجتمعت عليه العثمانية وهم عشرة آلاف فكتب عمرو الى محمد بن ابى بكر أن تنح عنى بدمك فانى لا احب ان يصيبك منى ظفر وان الناس قد اجمعوا بهذه البلاد على خلافك فاغلظ محمد بن ابى بكر لعمرو فى الجواب وركب فى الفى فارس من المصريين فاقبل عليه الشاميون فاحاطوا به من كل جانب وتفرق عنه المصريون وهرب هو فاختفى فى خربة ودخل عمرو بن العاصى فسطاط مصر ثم دل على محمد بن ابى بكر فجئ به وقد كاد يموت عطشا فقدمه معاوية ابن حديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار فاحرقه بالنار وذلك فى صفر سنة ثمان وثلاثين * وكتب عمرو بن العاصى الى معاوية يخبره بما كان من الامر وان الله قد فتح عليه بلاد مصر فاقام عمرو اميرا عليها الى ان مات بها ليلة عيد الفطر سنة ثلاث واربعين على المشهور ودفن بالمقطم من ناحية الفخ وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فاحب ان يدعو له من مر به وهو اول امير مات بمصر وفى ذلك يقول عبد الله بن الزبير *

الم تر ان الدهر اخنت ريوبه ... على عمرو السهمى تجبى له مصر
فاضحى نبيذا بالعراء وصلله ... مكائده عنه واموا له الدثر
ولم يغن عنه جمعه المال برهة ... ولا كيده حتى اتيح له الدهر

فلما مات عمرو بن العاصى ولى معاوية على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو قال الواقدى فعمل له عليها سنتين وقال غيره بل اشهرا ثم عزله وولى عتبة بن ابى سفيان ثم عزله وولى عقبة بن عامر سنة اربع واربعين فاقام الى سنة سبع واربعين فعزله وولى معاوية بن حديج فاقام الى سنة خمسين فعزله وولى مسلمة

ابن مخلد وجمعت له مصر والمغرب وهو أول والٍ جمع له ذلك قال ابن عبد الحكم حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن بعض شيوخ اهل مصر قال أول كنيسة بنيت بفسطاط مصر الكنيسة التي خلف القنطرة ايام مسلمة بن مخلد فانكر ذلك الجند على مسلمة وقالوا له اتقر لهم ان يبنوا الكنائس حتى كاد يقع بينهم وبينه شرّ فاحتج عليهم مسلمة يومئذ فقال انها ليست في قيروانكم وانما هي خارجة في ارضهم فسكتوا عند ذلك فاقام مسلمة اميرًا الى سنة تسع وخمسين * وكان عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان ابن ربيعة الثقفي المشهور بابن امّ الحكم وامّ الحكم هي اخت معاوية اميرا على الكوفة فاساء السيرة في اهلها فاخرجوه من بين اظهرهم طريدًا فرجع الى خاله معاوية فقال لأولينك مصرا خيرا منها فولاه مصر فلما سار اليها تلقاه معاوية بن حُديج على مرحلتين من مصر فقال ارجع الى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في اهل الكوفة فرجع ابن ام الحكم ولقد معاوية بن خديج وافدًا على معاوية فلما دخل عليه وجده عند أخته ام الحكم وهي ام عبد الرحمن الذي طرده عن مصر فلما رآه معاوية قال بخ بخ هذا معاوية بن خديج فقالت ام الحكم لا مرحبًا تسمي بالمعيدي خير من ان تراه فقال له معاوية بن حديج على رسلك يا ام الحكم اما والله لقد تزوجت فما اكرمت * وولدت فما انجبت * اردت ان يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في اهل الكوفة فما كان الله ليريه ذلك ولو فعل لضربنا ابنك ضربًا يطأطئ منه وان كرهه هذا الجالس فالتفت اليها معاوية فقال كفى فاستمرّ مسلمة على امرة مصر الى ان مات في خلافة يزيد في ذي الحجة سنة اثنتين وستين فولي بعده سعيد ابن يزيد بن علقمة الازدي فلما ولي الزبير الخلافة بعد موت يزيد وذلك في سنة اربع وستين استناب على مصر عبد الرحمن بن قحزم القرشي الفهري * فقصد مروان مصر ومعه عمرو بن سعيد الاشدق فقاتل عبد الرحمن فهُزم عبد الرحمن وهرب ودخل مروان الى مصر فتملكها وجعل عليها ولده عبد العزيز وذلك في سنة خمس وستين فلم يزل اميرًا بها عشرين سنة وكان ابوه جعل اليه عهد الخلافة بعد عبد الملك فكتب اليه عبد الملك يستنزله عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد فابى عليه ثم انه مات من عامه * قال ابن عبد الحكم وقع الطاعون بالفسطاط فخرج عبد العزيز الى حلوان وكان ابن خديج يرسل اليه في كل يوم يخبره ما يحدث في البلد من موت وغيره فارسل اليه ذات يوم رسولًا فاتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك قال ابو طالب فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال اسالك عن اسمك فتقول ابو طالب ما اسمك قال عبدك فتفاءل عبد العزيز بذلك فمرض فدخل نُصيب الشاعر فانشأ

وزوّر سيّدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكي كان بالعُوّاد
لو كان يقبل فدية لفديته ... بالمصطفى من طارفي وتلادي

فامر له بالف دينار ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل في البحر الى الفسطاط ودفن بمقبرتها وكانت وفاته ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وكتب على قصره بحلوان *

* اين ربّ القصر الذي شيّد القـ * ـصر واين العبيد والاجناد *

اين تلك الجموع والامر والنهي واعوانهم واين السواد

وقال عمر بن ابي الجدير العجلاني يرثي عبد العزيز بن مروان وابنه ابا ربان

ابعد ك يا عبد العزيز لحاجة ... وبعد ابي ربان يستعتب الدهر

فلا صلحت مصر لحي سواكما ... ولا سقيت بالنيل بعدكما مصر

فاقر بعده عبد الملك فاقام شهرًا الا ليلة ثم صرف وولي بعده ابنه عبد الله بن امير المؤمنين عبد الملك قال الليث بن سعد وكان حدثا وكان اهل مصر يسمونه تكيس وهو اول من نقل الدواوين الى العربية وانما كانت بالقبطية وهو اول من نهى الناس عن لباس البرانس فاقام الى التسعين فعزله اخوه الوليد وولى قرة بن شريك العبسي فقدمها يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول وفي ذلك يقول الشاعر

عجبت ما عجبت حين اتانا ... ان قد امرت قرة بن شريك

وعزلت الفتى المبارك عنا ... ثم قيلت فيه راى ابيك

وكان قرة ظلومًا عسوفا قيل كان يدعو بالخمر والملاهي في جامع مصر * اخرج ابو نعيم في الحلية قال قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز املأت والله الارض جورًا وقال ابن عبد الحكم انبانا سعيد بن عفير ان عمال الوليد بن عبد الملك كتبوا اليه ان بيوت الاموال قد ضاقت من مال الخمس فكتب اليهم ان ابنوا المساجد فاول مسجد بني بفسطاط مصر المسجد الذي في اصل حصن الروم عند باب الريحان قبالة الموضع الذي يعرف بالقالوس يعرف بمسجد العيلة فاقام قرة واليا بمصر الى ان مات سنة ست وتسعين فولي بعده عبد الملك بن رفاعة القيني فاقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولي ايوب بن شرحبيل الاصبحي فاقام الى سنة احدى ومائة ثم ولي بشر بن صفوان الكلبي فاقام الى سنة ثلاث ومائة ثم ولي اخوه حنظلة فاقام الى سنة خمس ومائة ثم ولي محمد بن عبد الملك اخو هشام بن عبد الملك الخليفة ثم ولي الحر بن يوسف ثم ولي حفص بن الوليد فاقام الى آخر سنة ثمان ومائة وولي بعده سنة تسع ومائة عبد الملك ابن رفاعة وصرف في السنة وولي اخوه الوليد فاقام الى ان توفي سنة تسع عشرة وولي بعده عبد الرحمن بن خالد الفهمي فاقام سبعة اشهر وصرف واعيد حنظلة بن صفوان في سنة عشرين ثم صرف واعيد حفص بن الوليد فاقام ثلاث سنين ثم صرف وولي بعده سنة سبع وعشرين حنظلة ابن عتاهية التجيبي ثم اعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولي الحوثرة بن سهيل الباهلي ثم ولي المغيرة بن عبيد الفزاري سنة احدى وثلاثين ثم ولي عبد الملك بن مروان مولى لخم سنة اثنتين وثلاثين ومائة * ثم لما قامت الدولة العباسية وقام السفاح وانهزم مروان الى الحمار وهرب الى الديار المصرية ولي السفاح نيابة الشام ومصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس فسار صالح حتى قتل مروان ببوصير في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم رجع الى الشام واستخلف على مصر ابا عون عبد الملك بن ابي يزيد الازدي فاقام الى سنة ست وثلاثين ثم اعيد صالح

ابن علي ثم صرف واعيد ابو عون سنة سبع وثلاثين فاقام الى سنة احدى واربعين ثم ولي بعده موسى
ابن كعب التميمي فاقام سبعة اشهر ومات وولي محمد بن الاشعث الخزاعي ثم عزل سنة اثنتين واربعين
وولي نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل وولي حميد بن قحطبة الطائي ثم صرف سنة اربع واربعين وولي
يزيد بن حاتم المهلبي فأقام الى سنة اثنتين وخمسين فعزل وولي محمد بن سعيد فاقام الى ان استخلف
المهدي فعزله في سنة تسع وخمسين وولي ابا ضمرة محمد بن سليمان كذا في تاريخ ابن كثير واما الجزار
فقال انه ولي بعد يزيد بن حاتم عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج التجيبي ثم ولي بعده اخوه فاقام
سنة وشهرين ثم ولي بعده موسى بن علي اللخمي سنة خمس وخمسين فاقام الى سنة احدى وستين ثم ولي
عيسى بن اللخمي ثم ولي واضح مولى المنصور سنة اثنتين وستين ثم صرف من عامه وولي منصور
ابن يزيد الحميري ثم ولي بعده يحيى بن محمد ود ابو صالح الجرشي ثم ولي سالم بن سوادة التميمي سنة اربع
وستين ثم ولي ابراهيم بن صالح العباسي سنة خمس وستين ثم ولي موسى بن مصعب مولى خثعم ثم ولي
الفضل بن صالح العباسي سنة تسع وستين ثم ولي علي بن سليمان العباسي من السنة ثم ولي موسى بن
عيسى العباسي ثم عزل سنة اثنتين وسبعين وولي مسلمة بن يحيى الازدي ثم ولي محمد بن ذهير الازدي
سنة ثلاث وسبعين ثم ولي داود بن يزيد المهلبي سنة اربع وسبعين ثم اعيد موسى بن عيسى سنة
خمس وسبعين ثم عزله الرشيد سنة ست وسبعين وولي عليها جعفر بن يحيى البرمكي فاستناب
عليها عمر بن مهران وكان شيعيا رزقا لشكل اول وكان سبب ذلك ان الرشيد بلغه ان موسى بن
عيسى عزم على خلعه فقال والله لأولين عليها اخس الناس فاستدعى عمر بن مهران وولاه عليها
نيابة عن جعفر فسار عمر اليها على بغل وغلامه ابو دُرة على بغل آخر فدخلها كذلك فانتهى الى
مجلس موسى بن عيسى فجلس في اخريات الناس حتى انفضوا فاقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف
من هو فقال الك حاجة يا شيخ قال نعم اصلح الله الامير ثم مال بالكتب فدفعها اليه فلما قرأها
قال انت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حين قال اليس لي ملك مصر ثم سلم اليه العمل
وارتحل منها * ثم في سنة سبع وسبعين عزل الرشيد جعفرا عن مصر وولى عليها اسحاق بن سليمان
كذا في تاريخ ابن كثير وغيره * وذكر الاديب ابو الحسن الجزار في ارجوزته في امراء مصر خلافا في
ذلك فانه قال اعيد موسى بن عيسى سنة خمس وسبعين ثم اعيد ابراهيم بن صالح العباسي سنة
ست وسبعين ثم ولي عبد الله بن المسيب الضبي ثم ولي اسحاق بن سليمان العباسي سنة سبع وسبعين كذا قال والله
اعلم ثم عزل اسحاق سنة ثمان وسبعين وولي هرثمة بن اعين فاقام نحو ا من شهر ثم عزل وولي عبد الملك بن صالح العباسي فاقام
ثمانية وسبعين وولي عبيد الله بن مهدي العباسي سنة تسع وسبعين ثم اعيد موسى بن عيسى سنة ثمانين ثم اعيد عبيد الله بن المهدي وصرف
في رمضان سنة احدى وثمانين وولي اسمعيل بن صالح العباسي ثم ولي اسمعيل بن عيسى سنة اثنتين
وثمانين ثم صرف وولي الليث بن الفضل البيروذي ثم ولي احمد بن اسمعيل العباسي سنة سبع وثمانين
ثم ولي عبد الله بن محمد العباسي ثم ولي الحسين بن جميل الازدي سنة تسعين ثم ولي مالك بن دلهم الكلبي

سنة اثنتين وتسعين ثم ولي الحسن سنة ثلاث وتسعين ثم ولي حاتم بن هرثمة بن اعين ثم صرف في سنة خمس وتسعين وولي جابر بن الاشعث الطائي ثم ولي عباد بن نصر الكندي سنة ست وتسعين ثم ولي المطلب ابن عبد الله الخزاعي سنة ثمان وتسعين ثم ولي العباس بن موسى في السنة ثم اعيد المطلب سنة تسع وتسعين ثم ولي السري بن الحكم سنة مائتين ثم ولي سليمان بن غالب سنة احدى ثم اعيد السري بن الحكم في السنة فمات في سنة خمس ومائتين فولي بعده ابو نصر محمد بن السري ثم تغلب عليها عبد الله بن السري في سنة ست فاقام الى سنة عشر توجه اليه المامون عبد الله بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب يطول ذكرها وقد ذكر الوزير ابو القاسم المغربي ان البطيخ العبدلاوي الذي بمصر منسوب الى عبد الله بن طاهر هذا قال ابن خلكان اما لانه كان يستطيبه او لانه اول من زرعه بها ثم ولي بعده عيسى بن يزيد الجلودي ثم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثار رجلان بمصر وهما عبد السلام وابن طيس فخلعا المامون واستحوذا على الديار المصرية وتابعهما طائفة من القيسية واليمانية فولى المامون اخاه ابا اسحاق بن الرشيد نيابة بمصر مضافة الى الشام فقدمها سنة اربع عشرة وافتتحها وقتل عبد السلام وابن طيس واقام بمصر ثم ولى عليها عمير ابن الوليد التميمي ثم صرف واعيد عيسى بن يزيد الجلودي ثم ولى عبدويه بن جبلة سنة خمس عشرة ثم ولى عيسى ابن منصور مولى بني نصر وفي ايامه قدم المامون مصر في سنة ست عشرة ثم ولى نصر بن كيدر السعيدي سنة تسع عشرة ثم ولى المظفر بن كيدر ثم ولى موسى بن ابي العباس الحنفي ثم ولى مالك بن كيدر سنة اربع وعشرين ومائتين ثم اعيد عيسى بن منصور ثانية سنة تسع وعشرين ثم ولى هرثمة بن النضر الجبلي سنة ثلاث وثلاثين ثم ولى ابنه حاتم في السنة فاقام شهرا ثم ولى علي بن يحيى سنة اربع وثلاثين ثم ولى اخوه اسحاق بن يحيى الجبلي سنة خمس وثلاثين ثم ولى عبد الواحد بن يحيى مولى خزاعة سنة ست وثلاثين ثم ولى عنبسة بن اسحاق الضبي سنة ثمان وثلاثين ثم عزل وولى يزيد بن عبد الله من الموالي سنة اثنتين واربعين ثم ولى مزاحم ابن خاقان سنة ثلاث وخمسين ثم ولى ابنه احمد في السنة ثم ولى اتامر التركي في السنة ثم صرف فيها ايضا * وولى احمد بن طولون التركي ثم اضيفت اليه نيابة الشام والعواصم والثغور والرقة فاقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبنى بمصر جامعه المشهور وكان ابوه طولون من الاتراك الذين اهداهم نوح بن اسد الساماني عامل بخارى الى المامون في سنة مائتين ويقال الى الرشيد في سنة تسعين ومائة وولد ابنه احمد في سنة اربع عشرة وقيل سنة عشرين ومائتين ومات طولون سنة ثلاثين وقيل سنة اربعين * وحكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر ان طولون لم يكن ابا احمد وانما تبناه وأمه جارية تركية اسمها هاشم وكان الاتراك طلبوا منه ان يقتل المستعين ويعطوه واسطا فابى وقال والله لا يجترات على قتل اولاد الخلفاء فلما ولي مصر قال لقد وعدني الاتراك ان قتلت المستعين ان يولوني واسطا فخفت الله ولم افعل فوجدني ولاية مصر والشام وسعة الاحوال قال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتاب عنوان السير قال بعض اهل مصر جلسنا في دكان ومعنا اعمى يدعى للملاحم وذلك قبل دخول احمد بن طولون بساعة فسالناه عما يجده في الكتب لاجله فقال هذا رجل من صفته كذا وكذا يستقلد هو وولده

قريبا من اربعين سنة فاتم كلامه حتى اجتاز احمد فكانت صفته وولايته وولده كما قال وقال بعض اصحابه الزمني ابن طولون تصدقاته وكانت كثيرة فقلت له يوما ما امتدت الى اليد المطوقة بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الذاهم افامنع هذه الطبقة فقال هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف احذران تردّ يدا امتدت اليك واعط من استعطاك فعلى الله تعالى اجره وكان يتصدق في كل اسبوع بثلاثة الاف دينار سادة سوى الراتب ويجري على اهل المساجد في كل شهر الف دينار وكل الى بغداد في مدة ايامه وما فرق على العلماء والصالحين الفي الف دينار ومائتي الف دينار وكان خراج مصر في ايامه اربعة الاف الف دينار وثلاثمائة الف دينار وكان لابن طولون ما بين رجبة مالك بن طوق الى اقصى المغرب واستمر ابن طولون اميرا بمصر الى ان مات بها ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومايتين وخلف سبعة عشر ابنا قال بعض الصوفية ورأيته في المنام بعد وفاته بحال حسنة فقال ما ينبغي لمن سكن الدنيا ان يحب حسنة فيدعها ولا سيئة فيأتيها عدلي عن النار الى الجنة بتشبثي على مظلمة عيّ اللسان شديد التهيب فسمحت منه وصبرت عليه حتى قامت بحجته وتقدمت بانصافه وما في الآخرة اشد على رؤساء الدنيا من الحجاب للقسر الانصاف * وولي بعده ابنه ابو الجيش خمارويه واقام ايضا مدة طويلة ثم في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين قدم البريد فاخبر المعتضد بافقاد خمارويه ذلك بعض خدمه على فراشه وولوا بعده ولده جيشا فاقام تسعة اشهر ثم قتلوه ونهبوا داره وولوا هارون ابن خمارويه وقد التزم في كل سنة بالف الف دينار وخمسمائة الف دينار تحمل الى باب الخليفة فاقره المعتضد على ذلك فلم يزل الى صفر سنة اثنتين وتسعين فدخل عليه عماه شيبان وعدي ابنا احمد ابن طولون وهو غافل في مجلسه فقتلاه وولي عمه ابو المغانم شيبان فورد بعد اثني عشر يوما من ولايته من قبل المكتفي ولاية محمد بن سليمان الواثقي فسلم اليه شيبان الامر واستصفى اموال آل طولون وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية واقام محمد بن سليمان بمصر اربعة اشهر وولي عليها بعده عيسى ابن محمد الوشري فاقام واليا عليها خمس سنين وشهرين ونصفا ومات سنة سبع وتسعين ومايتين فولي المقتدر ابا منصور تكين الخاصة ثم صرف في سنة ثلاث وثلاثمائة وولي ذكا ابو الحسن ثم صرف واعيد تكين ثم صرف سنة تسع وولي هلال بن بدر ثم صرف في سنة احدى عشرة وولي احمد بن كيغلغ ثم صرف من عامه واعيد تكين الخاصة فاقام الى ان مات سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وورد الخبر بموته الى بغداد وان ابنه محمدا قد قام بالامر من بعده فسير اليه القاهر الخلع بتقليد الولاية واستقرارها ثم صرف وولي ابو بكر محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم صرف من عامه واعيد احمد بن كيغلغ ثم صرف سنة ثلاث وعشرين واعيد محمد بن طغج الاخشيدي * وفي هذا الوقت كاد تغلب اصحاب الاطراف عليها لضعف امر الخلافة وبطل معنى الوزارة وصارت البدو اولى تحت حكم امير الامراء محمد بن رايق وصارت الدنيا في ايدي عمالها فكانت مصر والشام في يد الاخشيد والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في ايدي بني حمدان وفارس في يد علي بن بويه وخراسان

في يد نصر بن احمد وواسط والبصرة والاهواز في يد اليزيدي وكرمان في يد محمد بن الياس والري واصبهان والجبل في يد الحسن بن بويه والمغرب وافريقية في يد ابي عمرو الغساني وطبرستان وجرجان في يد الديلم واليمن واليمامة وهجر في يد ابي طاهر القرمطي فاقام محمد بن طغج في مصر الى ان مات في ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وقام ابنه ابو القاسم انوجور قال الذهبي في العبر ومعناه بالعربية محمود مقامه وكان صغيرا فاقيم كافور الاخشيد الخادم الاسود اتابكا فكان يدبر المملكة فاستقر الى سنة تسع واربعين فمات انوجور وقام بعده اخوه علي فاستمر الى ان مات سنة خمس وخمسين فاستقرت المملكة باسم كافور يدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجاز فاقام سنتين واربعة اشهر ومات بمصر في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين قال الذهبي كان كافور خصيا حبشيا اشتراه الاخشيد من بعض اهل مصر بثمانية عشر دينارا ثم تقدم عنده لعقله ورأيه لانه صار من كبار القواد ثم لما مات استاذه كان اتابك ولده انوجور وكان صبيا فغلب كافور على الامور وصار الاسم للولد والدست لكافور ثم استقل بالامر ولم يبلغ احد من الخصيان ما بلغ كافور ومولى المظفري الذي ولي سلطنة العراق ومدحه المتنبي بقوله *

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا
فلما تبنا انسان عين زمانه ... وخلت بياضا خلفها وما آميا

وهجاه بقوله

من علم الاسود المخصي مكرمة ... اقومه البيض ام آباؤه الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود

وقال محمد بن عبد الملك الهمداني كان بمصر واعظ يقص على الناس فقال يوما في قصصه انظروا الى هوان الدنيا على الله تعالى فانه اعطاها المقصوصين ضعيفين ابن بويه ببغداد وهو اشل وكافور بمصر وهو خصي فرفع اليه قوله وظنوا انه يعاقبه فقدم له مخلعة ومائة دينار وقال لم يقل هذا الا لجفائي له فكان الواعظ يقول بعد ذلك في قصصه ما انجب من ولد حام الا ثلاثة لقمان وبلال المؤذن وكافور وقال ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوي كنت اساير كافورا يوما وهو في موكب خفيف فسقطت مقرعته من يده فبادرت بالنزول واخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال ايها الشريف اعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني حتى يفعل بي هذا وكاد يبكي انا صنيعة الاستاذ وليه فلما بلغ باب داره ودّعته وسرت فاذا انا بالبغال والجنائب عراكيها وقالت اصحابه امر الاستاذ بحمل هذا اليك وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر الف دينار ولما مات كافور ولي المصريون مكانه ابا الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فاقام شهورا حتى اتى جوهر القائد من المغرب فانتزعها منه *

ذكر امراء مصر من بني عبيد

لما توفي كافور الاخشيدي لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه واصابهم غلاء شديد أضعفهم فلما بلغ ذلك المعز أبو تميم معد بن المنصور اسمعيل وهو ببلاد افريقية بعث مولاه جوهر وهو القائد الرومي في مائة الف مقاتل فدخلوا مصر في يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فهرب أصحاب كافور واخذ جوهر مصر بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة فخطب جوهر للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر اعمالها وامر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون ان يؤذنوا بحي على خير العمل فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا وصبروا لحكم الله وشرع في بناء القاهرة والقصرين والجامع الازهر وارسل يبشر المعز بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح المعز بذلك وامتدحه شاعره محمد بن هانئ الاندلسي بقصيدة أولها *

تقول بنو العباس هل فتحت مصر ... فقل لبني العباس قد قضي الأمر

وابن هانئ هذا قد كفره غير واحد من العلماء منهم القاضي عياض في الشفا المبالغة في مدائحه من ذلك قوله في المعز *

ما شئت لا ما شاءت الاقدار ... فاحكم فانت الواحد القهار

وقوله * ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلا * ثم توجه المعز من المغرب في شوال سنة احدى وستين فوصل الاسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وتلقاه اعيان مصر اليها فخطب هناك خطبة بليغة وجلس قاضي مصر أبو الطاهر الذهلي الى جنبه فساله هل رايت خليفة افضل مني فقال لم ار أحدا من الخلائف سوى امير المؤمنين فقال له احججت قال نعم قال وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وقبر ابي بكر وعمر قال فتحيرت ماذا اقول ثم نظرت فاذا ابنه قائم مع كبار الامراء فقلت شغلني عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شغلني امير المؤمنين عن السلام على ولي العهد ونهضت اليه فسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس الى غير ثم سار من اسكندرية الى مصر فدخلها في خامس رمضان فنزل بالقصرين فكان اول حكومة انتهت اليه ان امرأة كافور الاخشيدي تقدمت اليه فذكرت له انها كانت اودعت رجلا من اليهود الصواغ قباء من لؤلؤ منسوج بالذهب وانه جحد ذلك فاستحضره وقرره فانكر اليهودي فامر ان تفتش داره فوجد القباء قد جعله في جرة ودفنها فيها فدفعه المعز اليها فقدمته اليه وعرضته عليه فابى ان يقبله منها وردّه عليها فاستحسن ذلك منه الحاضرون من مؤمن وكافر وسار اليه الحسن بن احمد القرمطي في جيش كثيف وانشد يقول

زعمت رجال الغرب اني هبتهم ... فدعى اذن ما بينهم مطلول

يا مصر انعم اسق ارضك من دم ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

والتقت معه امير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي في عرب الشام ليمنعوا مصر منه وضعف جيش المعز عن مقاومتهم فارسل حسان ووعده بمائة الف دينار انهو خذل بين

الناس فارسل اليه ان ابعث الي ما التزمت وتعال بمن معك فاذا التقينا انهزمت بمن معي فارسل اليه المعز مائة الف دينار في اكياس كثر هاز على ضرب النحاس ولبسه الذهب وجعله في اسفل الاكياس ووضع في رؤس الاكياس الدنانير الخالصة وركب في اثرها بجيشه فالتقى الناس فلما نشبت الحرب بينهم انهزم حسان بالمغرب فضعف جانب القرمطي وقوي عليه المعز فكسره واستمر المعز بالقاهرة الى ان مات في ربيع الآخر سنة خمس وستين وكان منجمه قال له في السنة التي قبلها ان عليك قطعا في هذه السنة فتوارعن وجه الارض حتى تنقضي هذه المدة فعمل له سردابا ودعا الامراء واوصاهم بولده نزار ولقبه العزيز وفوض اليه الامر حتى يعود فيما يهوه على ذلك ودخل ذلك السرداب فتوارى فيه سنة فكانت المغاربة اذا راى الفارس منهم سحابا ساريا ترجل عن فرسه واومى اليه بالسلام ظانين ان المعز في ذلك الغمام * ثم برز الى الناس بعد مضي سنة وجلس للحكم على عادته فعاجله الله في هذه السنة * وولي بعده ابنه العزيز ابو منصور نزار فاقام الى ان مات سنة ست وثمانين

ومن غرائبه انه استوزر رجلا نصرانيا يقال له عيسى بن نسطورس وآخر يهوديا اسمه ميشا فعز بسببهما اليهود والنصارى على المسلمين في ذلك الزمان حتى كتبت اليه امراة في قصة في حاجة لها تقول بالذي اعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بميشا واذل المسلمين بك لما كشفت عن ظلامتي فعند ذلك امر بالقبض على هذين واخذ من النصراني ثلاثمائة الف دينار * وولي بعده ابنه الحاكم فكان شر الخليفة لم يل مصر بعد فرعون شر منه * رام ان يدعي الالهية كما ادعاها فرعون فامر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنبر ان يقوموا على اقدامهم صفوفا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان اهل مصر على الخصوص اذا قاموا خروا سجدا حتى انه يسجد بسجودهم من في الاسواق من الرعاع وغيرهم وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا كثير التلون في اقواله وافعاله هدم كنائس مصر ثم اعادها وخرب قمامة ثم اعادها ولم يهد في ملة الاسلام بنا كنيسة في بلد الاسلام قبله ولا بعده الا ما سنذكره * وقد نقل السبكي الاجماع على ان الكنيسة اذا هدمت ولو بغير وجه لا يجوز اعادتها * ومن قبائح الحاكم انه ابتنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ثم قتلهم وخربها والزم الناس باغلاق الاسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ذلك دهرا طويلا حتى اجتاز مرة بشيخ يعمل التجارة في اثناء النهار فوقف عليه وقال الم انهكم عن هذا فقال يا سيدي اما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه واعاد الناس الى امرهم الاول * وكان يعمل الحسبة بنفسه يدور في الاسواق على حماره وكان لا يركب الا حمارا فمن وجده قد غش في معيشته امر عبدا اسود معه يقال له مسعود ان يفعل به الفاحشة العظمى * وكان منع النساء من الخروج من منازلهن وان يطلعن من الطاقات او الاسطحة ومنع الخفافين من عمل الاخفاف لهن ومنعهن من دخول الحمامات وقتل خلقا من النساء على مخالفته في ذلك وهدم بعض الحمامات

عليهم ومنع من طبخ الملوخيا وله رعونات كثيرة لا تنضبط فابغضه الخلق وكتبوا له الاوراق بالشتم له
ولاسلافه فرفي صورة قصص حتى عملوا صورة امراة من ورق بخفها وازارها وفي يدها قصة فيها من
الشتم شئ كثير فلما رآها ظنها امراة فذهب من ناحيتها واخذ القصة من يدها فلما راى ما فيها غضب
وامر بقتلها فلما تحققها من ورق ازداد غضبا الى غضبه وامر العبيد من السودان ان يحرقوا مصر
وينهبوا ما فيها من الاموال والحريم ففعلوا وقاتلهم اهل مصر قتالا عظيما ثلاثة ايام والنار تعمل في الدور
والحريم واجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وجاروا الى الله واستغاثوا به وما انجلى الحال
حتى احترق من مصر نحو ثلثها ونهب نحو نصفها وسبى حريم كثير وفعل بهن الفواحش واشترى الرجال
من سبي لهم من النساء والحريم من ايدي العبيد * قال ابن الجوزي ثم زاد ظلم الحاكم وعزله ان يدعى الربوبية
فصار قوم من الجهال اذا راوه يقولون يا واحد يا احد يا حي يا مميت قلت كان في عصرنا امير يقال
له ازدمر الطويل اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا وكاد يروم ان يبني الملكة فلو قدر الله له
بذلك فعل نحو ما فعله الحاكم * وقد اطلعني على ما في ضميره وطلب مني ان اكون معه على هذا الاعتقاد
فابطن الى ان يؤول الى السلطنة فيقوم في الخلق بالسيف حتى يهابوه فقوه على اعتقاده فضقت بذلك
ذرعا وما زلت اتضرع الى الله تعالى في هلاكه وان لا يوليه على المسلمين واستغثت بالنبي صلى الله عليه وسلم
واسال فيه ارباب الاحوال حتى قتله الله فلله الحمد على ذلك ثم كان من امر الحاكم اذ تعدى شره الى
اخته بتهمها بالفاحشة وتسمعها الفاظ الكلام فعملت على قتله وركب ليلة الى جبل المقطم ينظر في النجوم
فاتاه عبدان فقتلاه وحملاه الى اخته ليلا فدفنته في دارها وذلك سنة احدى عشرة واربعمائة *
وولي بعده ابنه ابو الحسن علي ولقب الظاهر لاعزاز دين الله فاقام الى ان توفي سنة سبع وعشرين واربعمائة
وكانت سيرته جيدة وولي بعده ابنه ابو تميم معد ولقب المستنصر وعمره سبع سنين فطالت مدته
جدا فانه اقام ستين سنة ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك في الاسلام قبله ولا بعده وكانت وفاته
سنة سبع وثمانين واربعمائة وولي بعده ابنه ابو القاسم احمد ولقب المستعلي فاقام الى ان توفي في ذي
الحجة سنة خمس وتسعين واربعمائة * وولي بعده ابنه ابو علي منصور ولقب الآمر باحكام الله قال ابن
ميسر في تاريخه ولما توفي المستعلي احضر الافضل ابا علي وبايعه بالخلافة ونصبه مكان ابيه ولقبه
بالآمر باحكام الله وكان له من العمر خمس سنين وشهر وايام فكتب ابن الصير في الكاتب السجل بانتقال
المستعلي وولاية الآمر وقرئ على رؤس كافة الاجناد والامراء وله من عبد الله وليه ابي علي الآمر
باحكام الله امير المؤمنين بن الامام المستعلي بالله الى كافة اولياء الدولة وامرائها وقوادها واجنادها
ورعاياها كاشريفهم ومشروفهم وآمرهم ومأمورهم مغربيهم ومشرقيهم اسمرهم وأسودهم كبيرهم
وصغيرهم بارك الله فيهم سلام عليكم فاني امير المؤمنين احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو واسأله ان
يصلي على جده محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين الائمة المهديين وسلم تسليما
اما بعد فالحمد لله المنفرد بالثبات والدوام * الباقي على تصرم الليالي والايام * القاضي على اعمار خلقه بالتقضي

والانصرام* الجاعل نقض الامور معقودا بكمال الاحترام* جاعل الموت حكما يستوي فيه جميع الانام* ومنهلا لا يعتصم من وروده كرامة نبي ولا امام* والقائل معزيا لنبيه ولكافة امته كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام* الذي استرعى الائمة هذه الامة* ولم تخل الارض من انوارهم لطفا بعباده ونعمه* وجعلهم مصابيح الشبه اذا غرقت دلجية مدلهمه* لتضئ للمؤمنين سبل الهداية ولا يكون امرهم عليهم غمه* يحمده امير المؤمنين حمد شاكر على ما نقله فيه من مدرج الاسافة* ونقله اليه من ميراث الخلافة* صابر على الرزية التي اطار هجومها الباب* والفجيعة التي اطال طروقها الاسف والاكتئاب* ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم انبيائه* وسيد رسله وامنائه* ومجلي غياهيب الكفر ومكشف عمائه* الذي قام بما استودعه الله من امانته* وحمله من اعباء رسالته* ولم يزل هاديا الى الايمان* داعيا الى الرحمن* حتى اذعن المعاندون* واقر الجاحدون* وجاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون* فحينئذ انزل الله عليه اتماما لحكمته التي لا يعترضها المعترضون* ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون* صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب الذي اكرمه الله بالمنزلة العلية* وانتخبه للامامة رافة بالبرية* وخصه بفوامض علم التنزيل* وجعل له ميزة التعظيم ومزية التفضيل* وقطع بسيفه دابر من زل عن القصد وضل عن سواء السبيل* وعلى الائمة من ذريتهما العترة الهادية من سلالتهما ابائنا الابرار المصطفين الاخيار* ما تصرف الاقمار* وتوالى الليل والنهار* واذا الامام المستعلي بالله امير المؤمنين قدس الله روحه كان ممن اكرمه الله بالاصطفا* وخصه بشرف الاجتبا* ومكن له في بلاده فاقتفت آثار عدله* واستخلفه في ارضه كما استخلف اباه من قبله* وايده مما استرعاه اياه بهدايته وارشاده وامده مما استحفظه عليه بمواد توفيقه واسعاده* ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده* فلم يزل لاعلام الدين رافعا* ولشبه المضلين دافعا* ولراية العدل ناشرا* وبالمذي قامرا* وللعدى قاهرا* الى ان استوفى المدة المحتومة* وبلغ الغاية الموهومة* فلو كانت الفضائل تزيد في الاعمار* او تمحى من ضروب الاقدار* او تؤخر ما سبق تقديمه في علم الواحد القهار* لحمى نفسه النفيسة كريم مجدها وشريف همتها* وكفاها خطير منصبها وعظيم هيبتها* وقوتها افضلها التي تستمد من منبع الرسالة* وصانتها خلافها التي ترتقي الى مطالع الجلالة* لكن الاعمار محررة مقسومة* والآجال مقدرة معلومة* والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون* ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون* فامير المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزية التي عظم امرها فادح* وجرح خطبها وقدح* وغدت لها النوائب واجفة* والآمال كاسفة* ومضاجع السكون منقضة* ومدامع العيون مرفضة* فانا لله وانا اليه راجعون صبرا على بلائه* وتسليما لامره وقضائه* وافتداء ممن اثنى عليه في الكتاب* انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب* وقد كان الامام المستعلي بالله قدس الله روحه عند نقلته جعل الى عقد الخلافة من بعده* واودعني مما حازه من ابيه عن جده* وعهد الي ان اخلفه في العالم* واجري الكافة في العدل والاحسان على منهجه المتعالم* واطلعني من العلوم على السر المكنون* افضى الي من الحكمة بالغامض المصون* واوصاني

بالعطف على البرية * والعمل فيهم بسيرتهم المرضية * على علمي بما جبلني الله عليه من الفضل وخصني به من ايثار العدل * وانني فيما استرعيته سائل عن تهلجه * عامل بموجب الشرف الذي عصب الله في ناصيته * وكان من القاه الي * واوجبه علي * انا على محل السيد الأجل الأفضل من قلبه الكريم * وما يجب له من التبجيل والتكريم * وان الامام المستنصر بالله كان عند ما عهد اليه * ونص بالخلافة عليه * اوصاه ان يتخذ هذا السيد الأجل خليفة * وخليلا * ويجعله للامامة زعيما وكفيلا * ويعتمد به امر النظر والتقرير * ويفوض اليه تدبير ما وراء الستر * وانه عمل بهذه الوصية * وحنى على تلك الامثلة النبوية * واسند اليه احوال العساكر والرعية * وناط امر الكافة بعزمته الماضية وهمته العلية * فكان قلمه بالسداد يرحف ولا يجف * وسيفه من دماء ذوي العناد يكف ولا يكف * ورايه في حسم مواد الفساد يرجح ولا يخف * فاوصاني ان اجعله لي كما كان له صفيا وظهيرا * وان لا استرعنه في الامور صغيرا ولا كبيرا * وان اقتدي به في رد الاحوال التي تكلفه * واسناد الاسباب التي تدبيره * والناهط ما هط الخطب ومنقله * الى غير ذلك مما استودعني اياه * والقاه الي من النص الذي يضوع نشره ورياه * نعمة من الله قضت لي بالسعد الصميم * ومنة شهدت بالفضل المبين والحظ الجسيم * والله يؤتي ملكه من يشاء * والله واسع عليم * فتعرفوا معاشر الاولياء والأمراء والقواد والاجناد والرعايا والخدام حاضركم وغائبكم * وادانيكم وقاصيكم عن الامام المنقول الحجات المحمود * واستبشروا يا مامكم هذا الامام الحاضر الموجود * وابتهجوا بكريم نظره للطلع لكم كواكب السعود * ولكم من امير المؤمنين ان لا يمضض حفنا عن مصابكم * وان يتوخى ما عاد عليكم ومناحكم * وان يحسن السيرة فيكم * ويرفع اذى من يعاديكم * ويتفقد مصلحة حاضركم وباديكم * ولامير المؤمنين عليكم ان تعتقدوا موالاته بخالص الطوية * وتجمعوا له في الطاعة بين العمل والنية * وتدخلوا في البيعة بصدور منشرحة * وآمال منفسحة * وضمائر يقينية * وبصائر في الولاء قوية * وان تقوموا بشروطها بعزيمة * وتنهضوا بفروضها بهمة * وتبذلوا الطارف والتالد في حقوق خدمته وتتقربوا الى الله سبحانه بالمناصحة لدولته * وامير المؤمنين يسال الله ان تكون خلافته كافلة بالاقبال ضامنة ببلوغ الامال في والآمال * وان يجعل ايامها داعمة بالخيرات * وقسمتها نامية على الاوقات * ان شاء الله تعالى * واقام الآمر باحكام الله خليفة الى ان قتل في ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة عدي الى الروضة في فئة قليلة فخرج عليه منها قوم بالسيوف فاخذوه وكان سيئ السيرة ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام ارمني من غلمانه فاستحوذ على الامور ثلاثة ايام ورام ان يتامر فحضر الوزير ابو علي احمد بن الأفضل بدر الجمالي فاقام الخليفة الحافظ لدين الله ابا الميمون عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم بن المستنصر بالله واستحوذ على الأمور دونه وحصره في مجلس لا يدخل اليه احد الا من يريده وخطب لنفسه على المنابر ونقل الاموال من القصر الى داره ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط فلم يزل كذلك حتى قتل الوزير فعظم امر الحافظ من حينئذ ووجد له القاب لم يسبق اليها وخطب لنفسه بها على المنبر فكان يقول صلى الله من شيدت به الدين بعد دثوره * واعززت به الاسلام بان جعلته

سبباً للظهور * مولانا وسيدنا امام العصر والزمان ابا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله قال ابن خلكان وكان الحافظ كثير المرض بعلة القولنج فعمل له سرماه الديلمي طبل القولنج ركبه من المعادن السبعة في اشرافها كل واحد منها في وقته فكان من خاصيته انه اذا ضرب به احد خرج الريح من مخرجه فكان هذا الطبل في خزائنهم الى ان ملك السلطان صلاح الدين بن ايوب اخذ الطبل المذكور كردي ولا يدري ما هو فضرب به فضرط فجعل فالقى الطبل من يده فانكسر * واستمر الحافظ على الولاية الى ان مات في جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وخمسمائة * وولي بعده ولده الظافر بالله ابو المنصور اسمعيل فاقام الى ان قتل في المحرم سنة تسع واربعين * وولي بعده ولده الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى وهو صبي صغير ابن خمس سنين فاقام الى ان توفي في صفر سنة خمس وخمسين وعمره يومئذ احدى عشر سنة وكان مدبر دولته ابو الغارات طلايع بن رزّيك وولي بعده العاضد لدين الله ابو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ وهو آخر العبيديين ومات في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وزالت دولتهم على يدي السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله تعالى * قال ابن كثير ومن الغريب ان العاضد في اللغة القاطع ومنه الحديث لا يعضد شجرها فالعاضد قطعت دولة بني عبيد * وقال ابن خلكان سمعت جماعة من المصريين يقولون ان هؤلاء القوم في اوائل ولتهم قالوا لبعض العلماء اكتب لنا القابا في ورقة نصلح للخلفاء حتى اذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الالقاب فكتب لهم القابا وآخر ما كتب في الورقة العاضد فاتفق ان آخر من ولي منهم العاضد ولم يكن للمستنصر ومن بعده من الخلافة سوى الاسم فقط لاستيلاء وزرائهم على الامور وتجرهم عليهم وتلقبهم بالقاب الملوك فكانوا معهم كالخلفاء عصرنا مع ملوكهم وكخلفاء بغداد مع بني بويه واشباههم * ومن قصيدة ابن فضل الله التي سماها حسن الوفا لمشاهير الخلفاء *

والخلفاء من بني فاطمة ... الى عبيد الله درّ فاخر
ابناء اسمعيل نجل جعفر الـ ... ـصادق في القول ابوه البائر
بالغرب مهدي تلاه قائم ... والثالث المنصور وهو الآخر
ثم المعز قائد الجيش الذي ... سار الى مصر ونعم الساتر
ثم ابنه العزيز عز مشبها ... والحاكم المعروف ثم الظاهر
وبعده المستنصر الثاني الذي ... تلاه مستعل وجاء الآمر
وحافظ وظافر وفائز ... وعاضد ثم المليك الناصر
قالوا القدسالهم معتقد ... والله عند علمه السرائر
لكنما الحاكم ممن لج في ... طغيانه فكافر وفاجر

ذكر امراء من ضبين ملكوا برقة الى ان اتخذها الخلفاء دار الخلافة

لما قتل صاحب مصر الظافر ووصلت الاخبار الى بغداد بانه مصر قتل صاحبها ولم يبق فيهم الا صبي صغير ابن خمس سنين قد ولوه عليهم ولقبوه الفائز * فكتب الخليفة المكتفي عهد الملك نور الدين محمود بن زنكي على البلاد الشامية والمصرية وارسله اليه فسار حتى اتى دمشق فحاصرها وانتزعها من يد ملكها مجير الدين بن طغتكين وشرع في فتح بلاد الشام بلدا بلدا واخذ من ايدي من استولى عليها من الفرنج فلما كان في سنة اثنتين وستين اقبلت الفرنج في محافل كثيرة الى الديار المصرية فارسل نور الدين محمود اسد الدين شيركوه بن شادي ومعه ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب فسار اليها في ربيع الآخر وقد وقع في النفوس ان صلاح الدين سيملك الديار المصرية * وفي ذلك يقول عرقلة الشاعر *

اقول والاتراك قد زمقت ... مصر الى حوب الاعاريب
رب كما ملكتها يوسف الصديق من اولاد يعقوب
يملكها في عصرنا يوسف الصناديق من اولاد ايوب
من لم يزل ضراب هام العدى ... حقا وضراب العراقيب

وسار الى الفرنج فاقتتلوا قتالا عظيما فهزم الفرنج ولله الحمد * وسار اسد الدين بعد كسر الفرنج الى الاسكندرية فملكها واستناب عليها ابن اخيه صلاح الدين وعاد الى الصعيد فملكه ثم ان الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية فضاق الحال شاور ونور العاضد اسد الدين عن الاسكندرية بخمسين الف دينار فاجابه الى ذلك وخرج صلاح الدين منها وسلمها الى المصريين وعاد الى الشام في ذي القعدة وقرر شاور للفرنج على مصر في كل عام مائة الف دينار وان يكون لهم سكنة بالقاهرة وسكن القاهرة اكثر شجعان الفرنج وتحكموا فيها بحيث كاد وان يستحوذوا عليها ويخرجوا المسلمين منها * فلما كانت سنة اربع وستين قد وامداد الفرنج في محافل هائلة فاخذوا مدينة بلبيس فقتلوا واسروا ونزلوا بها وتركوا فيها اثقالهم وجعلوها موئلا ومعقلا ثم جاؤا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب الشرقية فامر الوزير شاور الناس ان يحرقوا مصر وان ينتقلوا الى القاهرة فنهب البلد وذهب للناس اموال كثيرة وبقيت النار تعمل في مصر اربعة وخمسين يوما * فعند ذلك ارسل الخليفة العاضد يستغيث بالملك نور الدين وبعث اليه بشعور نسائه يقول ادركني واستنقذني من ايدي الفرنج والتزم له بثلث خراج مصر على ان يكون اسد الدين مقيما عندهم ولهم اقطاعات زائدة على الثلث فجهز نور الدين الجيوش وعليهم اسد الدين ومعه صلاح الدين فدخلوا القاهرة وقد رجع الفرنج لما سمعوا بوصولهم وعظم امر اسد الدين بالديار المصرية وقتل الوزير شاور وقتله صلاح الدين وفرح المسلمون بقتله لانه الذي كان يعاون الفرنج على المسلمين واقيم اسد الدين مكانه في الوزارة ولقب الملك المنصور فلم يلبث الا شهرين وخمسة ايام ومات في السادس والعشرين من جمادى الآخرة فاقام العاضد مكانه في الوزارة صلاح الدين يوسف ولقبه الملك الناصر * قال ابو شامة وصفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ عمامة بيضاء تغيسي بطرف ذهب وثوب

ديبقي بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب وطيلسان مطرز ذهب وعقد جوهر بعشرة الاف دينار وسيف محلى بخمسة الاف دينار وخرقة بثمانية الاف دينار وعليها سرج ذهب وسرسار ذهب مجوهر وفي راسها مائتا حبة جوهر وفي قوائمها اربعة عقود جوهر وفي راسها قصبة بذهب وفيها شدة بيضا باء لام بيض ومع الخلعة عدة بقج وخيل واشيا اخر ومنشور الوزارة مكتوب في ثوب اطلس ابيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وكان يوما مشهودا وارتفع قدر صلاح الدين بالديار المصرية وايتلفت عليه القلوب وخضعت له النفوس واضطهد العاضد في ايامه غاية الاضطهاد * فلما كان سنة خمس وستين حاصر الفرنج دمياط خمسين يوما فاقام صلاح الدين حتى اجلاهم وارسل نور الدين الى صلاح الدين يامره ان يخطب للخليفة المستنجد العباسي بمصر لان الخليفة بعث يعاتبه في ذلك * فلما كان سنة ست وستين اتفق موت المستنجد وقام المستضئ وشرع صلاح الدين في تمهيد الخطبة لبني العباس وقطع الاذان الذي على خير العمل من ديار مصر كلها وعزل قضاة مصر لانهم كلهم كانوا شيعة وولى قضاة القضاة بها صدر الدين بن درباس الشافعي واستناب في سائر الاعمال شافعية فلما دخل سنة سبع وستين امر الملك صلاح الدين باقامة الخطبة لبني العباس بمصر في اول جمعة من المحرم وبالقاهرة في الجمعة الثانية وكان ذلك يوما مشهودا والعجب ان اول من خطب للمعز حين اخذت مصر عمر بن عبد السميع العباسي الخطيب بجامع عمرو وبجامع ابن طولون فكان اول من خطب لبني العباس هذه النوبة شريف علوي يقال له محمد بن الحسن بن ابي الضيا البعلبكي * ولما بلغ الخبر نور الدين ارسل الى الخليفة المستضئ يعلمه بذلك فزينت بغداد وعلقت الاسواق وعملت القباب وفرح المسلمون فرحا شديدا قال ابن الجوزي وقد الفت في ذلك كتابا سميته النصر على مصر وكتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين الى الملك نور الدين يبشره بذلك

قد خطبنا للمستضئ بمصر ... نائب المصطفى امام العصر

في ابيات ذكرتها في تاريخ الخلفا * وقال بعض شعراء بغداد في ذلك *

ليهنك يا مولاي فتح تتابعت ... اليك به خوص الركائب توجف
اخذت به مصرا وقد حال دونها ... من الشرك ناس فيهم الحق يقذف
فعادت بحمد الله باسم امامنا ... تقيه على كل البلاد وتشرف
ولا غرو اذ ذلت ليوسف مصره ... وكانت الى اعدائه تتشوف
تملكها من قبضة الكفر يوسف ... وخلصها من عصبة الرفض يوسف
كشفت بها عن آل هاشم سبة ... وعارا ابى الا بسيفك يكشف

وهي طويلة قال ابو شامة انشدت هذه القصيدة للخليفة قبل موته عند تاويل منام رؤي في هذا المعنى واراد بيوسف الثاني الخليفة المستنجد فلم يخطب الا لولده المستضئ فجرى الفال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب * وارسل الخليفة المستضئ بامر الله الى الملك صلاح الدين خامة

سنية ومعها اعلام سود ولوآء معقود ففرقت على الجوامع بالشام وبلاد مصر * وكتب له تقليدا *
وهذه صورته اما بعد فان امير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذي يكون لكل خطبة قياداً * ولكل امر مهاداً *
ويستزيده من نعمه التي جعلت التقوى له زاداً * وحملته عبئة الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يال
فيه اجتهاداً * وصغرت لديه امر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عضت عليه جيادا الا وحقت فيه قوله
تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فساداً * ثم يصلي على من انزلت
الملائكة لنصره امداداً * واسرى به الى السماء حتى ارتقى سبعا شداداً * وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصرا
ولا اكذب فؤاداً * ثم من بعده على اسرته الطاهرة التي زكت اوراقا واعواداً * وورثت النور والبين بلاداً *
ووصفت بانها احد الثقلين هداية وارشاداً * وخصوصا عمه العباس المدعو له بان يحفظ نفسا
واولاداً * وان تبوئ كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تخشى نفاداً * واذا استوفى العلم مراده
من هذه المهدلة * واستد القول فيها عن فصاحته المرسلة * فانه ياخذ في انشاء هذا التقليد الذي جعله
حليفا القرطاسه * واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع من راسه * وليس ذلك الا قاضية في
المناقب التي كثرت فحسن لها مقام الاكثار * واشتبه التطويل فيها بالاختصار * وهي التي لا يفتقر
واصفها الى القول المعاد * ولم يستوعر سلوك اطوادها ومن العجب وجود السهل في سلوك الاطواد *
وتلك هي مناقبك ايها الملك الناصر السيد الاجل الكبير العالم العادل المجاهد المرابط صلاح
الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب والديوان العزيز يتلوها عليك تحديا بشكرك * ويباهي اولياءه تنويها
بذكرك * ويقول انت الذي تسكنني فتكون للدولة سهمها الصائب * وشهابها الثاقب وكنزها الذي
تذهب الكنوز وليس بذاهب * وماضرها وقد حضرت في نصرتها اذا كان غيرك هو الغائب فاشكر
اذن مساعيك التي اهلتك لما اهلتك * وفضلتك على الاولياء بما فضلتك * ولئن شورکت في الولا
بعقيدة الاهمام * فلم تشاركك في عزمك الذي انتصر للدولة * فكان له بسطة الانتصار * وفرق بين
من امد بقلبه وبين من امتد بيده في درجات الامداد * وما يعدل الله القاعدين كالذي قال لو امرتنا
لضربنا اكبادها الى برك الغماد * وقد كفاك من المساعي انك كفيت الخلافة امر منازعيها * وطمست
على الدعوة الكاذبة التي كانت تدعيها * ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقها محفوف من الباطل بمحرابين
ورأت ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السوارين اللذين اولهما كذابين * فيمصر منهما واحد ماؤه
تجري انهارها من تحته * ودعا الناس الى عبادة طاغوته وجبته * ولعب بالدين حتى لم يدر يوم جمعته *
من يوم احديه ولا يوم سبته * واعانه على ذلك قوم رمى الله بصائرهم بالعمى والصمم * واتخذوه صنما
ولم تكن الضلالة هنالك الا بعجل او صنم * فقمت انت في وجه باطله حتى قعد * وجعلت كيده
جبلا من مسد * وقلت ليده تبت فاصبح ولا يسعى يقدم ولا يبطش بيد * وكذلك فعلت بالاخر
الذي نجت باليمن فاجمته * وساءت فيه سائمته * فوضع بليته بموضع الكعبة اليمانية * وقال هذا ذو
الخلصة الثانية * فاعرف مقامك يعرف الاسلام بسبقه ام ايهما يقوم باداء حقه وهاهنا فليصبح

القلم للسيف من الحساد وليقصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الانداد ولم يحط بهذه المزية الا انه اصبح لك صاحبا وفخرك حتى طال الفخر اكما عز جانبا وقضى بولايتك فكانت بها قاضيا لما كان حده قاضيا وقد قلدك امير المؤمنين البلاد المصرية واليمنية غورا ونجدا وما اشتملت عليه رعية وجندا وما انتهت اليه اطرافها برا وبحرا وما يستنقذ من مجاريها مسلمة وقهرا واصناف اليها بلاد الشام وما تحتوي عليه من المدن الممدنة والمراكز المحصنة مستثنيا منها ما هو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين محمود رحمه الله وهو حلب واعمالها فقد مضى ابوه عن اثار في الاسلام ترفع ذكره في الذاكرين وتخلفه في عقبه في الغابرين وولده هذا قد هذبته الفطرة في القول والعمل وليست هذه الربوة الا من ذلك الجبل فليكن له منك جار يدنو منه وداد كما دنا ارضا وتصبح وهو له كالبنيان يشد بعضه بعضا والذي قدمناه من الثناء عليك رسما تجاوزتك درجة الاقتصاد والفتك عن فضيلة الازدياد فاياك ان تنظر الى سعيك نظر الاعجاب فتقول هذه بلاد ما افتحتها بعد ان اضرب عنها كثير من الاضراب ولكن اعلم ان الارض لله ولرسوله ثم للخليفة من بعده ولامته للعبد باسلامه بل المنة لله بهداية عبده وكم سلف قبلك ممن لو رام ما رمته لدنا شاسعه واجاما نعه لكن ذخره الله لك لتحظى في الاخرة بمفازه وفي الدنيا برقم طرازه فالق بيدك عند هذا القول القاء التسليم وقل لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وقد قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك في الاسلام شعارا وفي الرسم فخارا وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملابس الاولياء ما ناسب قلوبا وابصارا ومن جملتها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ويشير اليك بان الانعام قد اطاق بك اطاقة الاطواق بالاعناق ثم انك خوطبت بالملك وذلك الخطاب يقضي لصدرك بالانشراح ولاملك بالانفساح وتؤمر معه بمد يدك العليا لانضمها الى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها هي التي تكمل بها اقسام السيادة وهي التي لا مزيد عليها في الاحسان فيقال انها الحسنى وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما من ايام كريم الانتساب واجعله لها عيدا وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب هذا ولك عند امير المؤمنين مكانة بجعلك اليه حاضرا وانت نائ عن الحضور وتضمن ان تكون مشتركة بينك وبين غيرك والفضة من شيم الغيوب وهذه المكانة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما نقول الا انها لك صاحبة وانت يوسفها فاحرسها عليك حراسة تقضي بتقديمها واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها واعلم انك تقلدت امرا يفتن به تقي الملوم ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم وكثيرا ما نرى حسناته يوم القيمة وهي مقتسمة بايدي الخصوم ولا ينجو من ذلك الا من اخذ اهبة الحذار واشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم ان الولاية ميزان احدى كفتيه في الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى الله عليه وسلم يا اباذر اني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوي نظر من لم يخدع بحديث الحرص والامال وتامل الدنيا وقد سيقت اليك بحذافيرها اليس مصيرها الى زوال والسعيد من اذا جاءته فحنى بها اريحية الارتياح

للارض الجسوم* واتخذ منها وهي السم دواء وقد تتخذ الادوية من السموم* وما الاحتياط عما تختلف عليه
تلاشيه المساء والصباح* وهو كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه
الرياح* والله يعصم امير المؤمنين وولاة امره من تبعاتها التي لا يستهم ولا يسوها* واحصاها الله
ونسوها* ولك انت من الله هذا الدعاء حفظا على قدر محلك من العناية التي حدثت بصنعك* ومحلك من
الولاية التي بسطت من ذرعك* فخذ هذا الامر الذي تقلدته اخذ من لم يتعقبه بالنسيان* وكن في رعيته
ممن اذا نامت عيناه كان قلبه يقظان* وملاك ذلك كله في اسباغ العدل الذي جعله الله ثالث الحديث
والكتاب* واغنى مثوابه وحده عن اعمال الثواب* وقد يوما منه بعبادة ستين عاما في الحساب* ولم يامر
به امرا الا ازيد قوة في امره* وتحصن به من عدوه ومن دهره* ثم يجاء به يوم القيامة وفي يده كتاب امان*
ويجلس على منبر من نور عن يمين الرحمن* ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوي على ظهره الا من امسك
عنان نفسه قبل امساك عنانه* وغلبت لجة ملكه على لجة شيطانه* ومن اوكد فروضه ان تحمي السير
السيئة التي طالت مدة ايامها* وبئس الرعايا من رفع ظلاماتها فلم يجعلوا امد الانحسار ظلامها*
تلك السير هي المكوس التي انشاتها الهمم الحقيرة* ولا غنى للايدي الغنية اذا كانت ذا نفوس فقيرة*
وكلما زيد الاموال الحاصلة منها قدرا ازادها الله محقا* وقد استمرت عليها العوائد حتى الحقها الظالمون
بالحقوق الموجبة فموهها حقا* ولو ان صاحبها اعظم الناس جرما لما اغلظ في عقابه* ومثلت توبة
المراة الغامدية بمتابه* وهي اشقى ممن يكون السواد الاعظم له خصما* ويصبح وهو مطالب بما يعلم
وبما لم يحط به علما* وانت مامور بان تاتي هذه الظلامات فتمحي عن ابطالها* وتلحي اسماءها في المحو
باهمالها حتى لا يبقى لها في العيان صورة منظورة* ولا في الالسنة احاديث مذكورة* واذا فعلت
ذلك كنت ازلت عن الماضي سنة سوء سنتها ايداه* وعن الاتي متابعة ظلم وجده طريقا مسلوكا
فجرى على يداه* فبادر الى ما امرت به مبادرة من يضيق به ذراعا* ونظر الى الحياة الدنيا بعينها فرآها
في الاخرة متاعا* واحمد الله على ان قيض لك اماما هدى يقف بك على هداك* ويا خذ بحجزتك عن خطوات
الشيطان الذي هو اعدى عدوك* وهذه البلاد المنوطة بنظرك تشتمل على اطراف متباعدة* وتفتقر
في سياستها الى ايد متساعدة* ولهذا يكثر بها قضاة الاحكام* واولو التدبيرات السيوف والاقلام*
وكل من هؤلاء ينبغي ان يفتن على نار الاختبار* ويسلط عليه شاهد عدل من امانة الدرهم والدينار*
فان اضل الناس شيخ كتب المال الذي فورق من اجله الاديان* وهجرت بسببه الاولاد والاخوان*
وكثيرا ما يرى الرجل الصالح القائم وهو عابد له عبادة الاوثان* فاذا استعنت باحدهم على
شيء من امرك فاضرب عليه بالارصاد* ولا ترض بما عرفته من مبدا حاله فان الاحوال تنتقل بنقل
الاجساد* واياك ان تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد* وكذلك فامر
هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بان يامروا بالمعروف وينهوا عن المنكر محاسبين* ويعلموا ان ذلك من
دأب حزب الله الذين جعلهم الغالبين* وليبدوا اولا بانفسهم فيعدلوها عن هواها* ويامروها بما

يامرونه سواها * ولا يكونوا ممن هدى الى طريق البر وهو عنها حائد * وانصب لطب المرضى وهو محتاج
الى الطبيب وعائد * فما تنزل بركات السما الا على من خاف مقام ربه * والزم التقوى اعمال يده ولسانه
وقلبه * فاذا صلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم * وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل
قوم الا بمصباحهم * ومما يامرونه به ان يكونوا لمن تحت ايديهم اخوانا في الاصحاب * وجيرانا
في الاقتراب واعوانا في توزع الحمل الذي يثقل على الرقاب * فالمسلم اخو المسلم وان كان عليه اميرا *
واولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيرا * وليست الولاية لمن يستجد بها اكثرة اللفيف *
ويتولاها بالوطء العنيف * ولكنها لمن يمال عن جوانبه * ويوكل من اطاعه * ولمن اذا اغضب لم يثر الغضب عنده
اثر * واذا الحف في سؤاله تخلق بخلق الضجر * واذا احضر الخصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر
فذلك الذي يكون لصاحبه في اصحاب اليمين * والذي يدعى بالحفيظ العليم والقوي الامين * ومن سعادة
المرء ان تكون ولاته متاديبين بآدابه * وجارين على نهج صوابه * واذا تطايرت الكتب يوم القيمة كانوا
حسنات مثبتة في كتابه * وبعد هذه الوصية فانها هنا حسنة هي للحسنات كالام الولود *
ولطالما اغنت عن صاحبها اغناء الجود * وتيقظت لنصره والعيون رقود * وهي التي تسبغ لها الالا *
ولا يخطاها البلا * ولامير المؤمنين عناية تبعثها الرحمة الموضوعة في قلبه * والرغبة في المغفرة والرحمة
لما تقدم وتاخر من ذنبه * وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمزية افضالها * وجعلها سببا
الى التعويض عنها بعشر امثالها * وهو يامرك ان تتفقد احوال الفقرا الذين قدرت عليهم مادة الارزاق *
والبسهم التعفف ثوب الغنى وهم في ضيق من الاملاق * فاولئك اولياء الله الذين مستهم الضرا فصبروا *
وكثرت الدنيا في يد غيرهم فما نظروا اليها اذ انظروا * وينبغي لك ان تهيئ لهم من امرهم مرفقا * وتضرب
بينهم وبين الفقر موبقا * وما اطلنا لك القول في هذه الوصية الا اعلاما بانها من المهم الذي يستقبل
ولا يستدبر * ويستكثر منه ولا يستكبر * وهذا يعد من جهاد النفس في بذل المال * ويتلوه جهاد العدو
الكافر في مواقف القتال * واميرالمؤمنين يعرفك من ثوابه ما يجعل السيف في ملازمته اخا * وتستخف له
بنفسك ان كان احد بنفسه سخيا * ومن صفاته ان العمل المحبوب بفضل الكرامة التي يبقى اجره بعد صاحبه
الى يوم القيمة * وبه يمتحن طاعة الخالق على المخلوق * وكل الاعمال عاطلة لا خلوق لها وهي المختص دونها
بزينة الخلوق * ولولا فضله لما كان محشوا بشطر الايمان * ولما جعل الله الجنة له ثمنا وليست لغيره
من الاثمان * وقد علمت ان العدو هو جارك الادنى والذي يبلغك وتبلغه عينا واذنا * ولا تكون الاسلام
نعم الجار حتى يكون له بئس الجار * ولا عذر لك في ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغيرك الاعذار
واميرالمؤمنين لا يرضى منك باذ تلقاه مصلتا * او تطرق ارضه مماسيا او مصابحا * بل يريد ان تقصد
البلاد التي في يده قصد المستغير لا قصد المغير * وان تحكم فيها بحكم الله الذي قضاه على لسان سعد
في بني قريظة والنضير * وعلى الخصوص البيت المقدس فانه بلاد الاسلام القديم * واخو البيت الحرام
في شرف التعظيم * والذي توجهت اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم * وقد اصبح وهو يشكو طول

المدة فاشرق بقيته واصبحت كلمة التوحيد وهي تشكو طول الوحشة في غربتها عنه وغربته فانهض اليه
نهضة توغل في فرحة وتبدل الصعب قياده بسهمة واذ كان له عام حديبية فاتبعه بعام فتحة وهذه
الاستزادة بعد سداد ما في اليد من ثغر كان مهملا فحميت موارده او مستهدما فرفعت قواعده ومن
اهمها ما كان حاضر البحر كانه بعمورته مكشوفة وحطه مخوفة والعدو قريب منه على بعدة وكثيرا
ما يأتيه فجاءه حتى يشق برقه برعدة فينبغي ان ترتب بهذه الثغور رابطة يكثر شيعانها ويقل اقرانها
ويكون قتالها الان تكون كلمة الله هي العليا الا ان يرى مكانها وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال
اسوار وتعلم اهله ان بناء السيف امتع من بناء الاحجار ومع هذا فلا بد له من اصطول يكثر عدده
ويقوى مدده فانه العدة التي يستعين بها على كشف الماء والاستكثار من سبايا العبيد والاماء وجيشه
اخو الجيش السليماني فذاك يسري على متن الريح وهذا يجري على متن الماء ومن صفات خيله انه جمعت بين
العوم والطيار وتساوت اقدارها على اختلاف في عدة الاعمار فاذا اشرعت قيل جبال متلفعة بقطع
من الغيوم واذا انظر الى اشكالها قيل اهلة غير انها تهتدي في مسيرها بالنجوم ومثل هذا الخيل
ينبغي ان يتعالى من جيادها ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها امير بالبحر عمله من سعة صدره
ويسلك طريقه سلوك من لم يقتله بجهلها ولكن قتلها بخبره وكذلك فليكن ممن افنت الايام تجاربه
ورحمتها مناكبه وممن بذل الصعب اذا هو ساسه وان سيس لان جانبه وهذا هو الرجل الذي
يراس على القوم فلا يجد هذه بالرياسة فان في الساقة فتى السياقة او كان في الحراسة فتى الحراسة
ولقد افلحت عصابة اعتصبت من ورائه وايقنت بالنصر من رايته كما ايقنت بالنجح من رايه واعلم
انه قد اخل من الجهاد بركن يقدح في عمله وهو قيامه الذي ياتي في آخره كما ان صدق النية تاتي في اوله
وذلك هو قسم الغنائم فان الايدي قد تناولته بالاجحاف وخلطت جهادها فيه بفضولها
فلم ترجع بالكفاف والله قد جعل الظفر في قعدي حدوده المحدودة وجعل الاستيثار بالمغنم
من اشراط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به ان يكون زماننا هذا شر زمان وناسه شر ناس ولم
يستخلفنا على حفظ اركان دينه ثم نهمله اهمال مضيع ولا اهمال ناس والذي نامرك به ان تجري
هذا الامر على المنصوص من حكمه وتبرى ذمتك مما يكون غيرك الفائز بغوائده وانت الطالب باثمه
وفي ارزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الاكلة التي تكون غدا نكالا
وحميما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فتضمخ بما سطرناه لك من هذه الاساطير التي هي عزائم
مبرمات بل ايات محكمات وتحبب الى الله والى امير المؤمنين باقتفاء كتابها وابن لك بها مجدا
يبقى في عقبك اذا اصيبت البيوت في اعقابها وهذا الذي ينطق عليك بانه لم يال في الوصايا
التي اوصاها فانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ثم انه قد ختم بدعوات دعا بها امير
المؤمنين عند ختامه وسال فيها خيرة الله التي تنزل من كل امر منزلة نظامه ثم قال اني اشهدك
على من قلدته شهادة تكون عليه رقيبة وله حسيبة فاني لم امره الا بامر الله الذي التحق فيها موعظة وذكرى

ولن تبعها هدى ورحمة وبشرى * واذا اخذها فلم يحجه يوما يسأل فيه عن الحج * ولم يختلج دونه رسوله على الحوض في جملة من يختلج * وقيل له لا حرج عليك ولا اثم اذ بخوت من وزرك ان شاء الله والحرج * والتلاوم * وقال الفقيه عمارة اليمني يرثي العاضد وكان من خواصهم *

يا عاذلي في هوى ابناء فاطمة ... لك الملامة ان قصرت في عذلي
يا مدرك الثأر والمقتص من دمه ... عليهما لا على صفين والجمل

وقال بعض الشعراء يمدح بني ايوب على ما فعلوه *

الستم من بلى دولة الكفر من بنى ... عبيد بمصر اذ هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية ... مجوس وما في الصالحين لهم اصل
يسرون كفرا يظهرون تشيعا ... ليستروا شيأ ومنهم الجهل

وقال حسان عرقلة *

اصبح الملك بعد آل عبيد ... مشرقا بالملوك من آل شاذي
وغدا الشرق يحسد الغرب للقو ... م ومصر تزهو على بغداذ
ماحوها الا بعزم وحزم ... وصليل الفؤاد في الفولاذ
لا كفرعون والعزيز ومن كان ... بها كالخصيب والاستاذ

قال ابو شامة يعني بالاستاذ كافورا الاخشيدي قال وقد اوردت كتابا سميته كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد * وكذا صنف العلماء في الرد عليهم كتبا كثيرة من اجلها كتاب القاضي ابي بكر الباقلاني الذي سماه كشف الاسرار وهتك الاستار * ولما استقل السلطان صلاح الدين بارض مصر اسقط عن اهلها المكوس والضرائب وقرئ المنشور بذلك على رؤس الاشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستمائة واستولى على القصر وخزائنه وفيها من الاموال ما لا يحصى من ذلك سبعمائة بيتمة من الجوهر وقضيب زمرد طوله اكثر من شبر وسمكة نحو الابهام وحمل من ياقوت وابريق عظيم من البلور المائع الى غير ذلك من التحف ووجد خزانة كتب ليس في الاسلام لها نظير تشتمل على نحو الفي الف مجلد منها بالخطوط المنسوبة مائة الف مجلد فاعطاها القاضي الفاضل واخذ السلطان صلاح الدين في نصر السنة واشاعة الحق واهانة المبتدعة والانتقام من الروافض وكانوا بمصر كثيرين ثم تجردت همته الى الفرنج وغزوهم فكان من امره معهم ما ضاقت به التواريخ واسترد منهم ما كانوا استولوا عليه من بلاد الاسلام بالشام من ذلك القدس الشريف ففتحه بعد ان كان في يد الفرنج واجلى ما بين الشام ومصر من الفرنج ثم افتتح الحجاز واليمن من يد متغلبيه وتسلم دمشق بعد موت نور الدين فصار سلطان مصر والشام واليمن والحجاز قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى له من الفتوحات التي خلصها من يد الفرنج قلعة ابلا وطبرية عكا القدس الخليل الكرك الشوبك نابلس عسقلان بيروت صيدا بيسان غزة الداروم حصما صنوبرية الغولة مغليا الطور اسكندرية

عفوس * بامان * ارسوف * قيسارية * جبل نبل * معليكة * عقربلا * البحون * السمة * يافول * مجدل * بابابل *
الصافية * بيت نوبا * الطرون * لجب * الكوسة * بيت لحم * ريحا قرا * واحصر الدير * وبسير فلفيلية * صرير
الزيت * الوعر * الهرمس * تقليسا * الغارزية * تفزع * الكرمل * مجدل * الحارغير في جبلها ملة * الشقيف
وسيحلة يقال لها قبر زكريا وجبل وكوكب * وانطرطوس * واللاذقية * ومكسر ابيل * صهيون * جبلة *
قلعة العبد * قلعة الجاهرية بلاطنس * الشغر مكاس * وسمرسامية * وبرويه * ودرسالة * وبغراس
وصعد * وله مصنفات يطول شرحها **وافتتح** كثيرا من بلاد النوبة من يد النصارى وكانت مملكة
من المغرب الى تخوم العراق ومعها اليمن والحجاز فملك ديار مصر باسرها مع ما انضم اليها من بلاد المغرب
والشام باسرها مع حلب وماوالاها واكثر ديار ربيعة وبكر والحجاز باسره واليمن باسره ونشر
العدل في الرعية وحكم بالقسط بين البرية وبنى المدارس والخوانق واجرى الارزاق على العلماء والصلحاء
مع الدين المتين والورع والزهد والعلم وكان يحفظ القرآن والتنبيه والحماسة **وهو** الذي ابتنى قلعة
القاهرة على جبل المقطم التي هي الآن دار السلاطين ولم يكن السلاطين يسكنون قبلها الا دار
الوزارة بالقاهرة **وفتح** من بلاد المسلمين حران وسروج والرها والرقة والبيرة وسنجار ونصيبين
وآمد وملك حلبا والمواريخ وشهرزور **وحاصر** الموصل الى ان دخل صاحبها تحت طاعته **وفتح**
عسكره طرابلس الغرب وبرقة من بلاد المغرب وكسر عسكره تونس وخطب بها لبني العباس ولولم
يقع الخلف بين عسكره الذين جهزهم الى المغرب لملك المغرب باسره ولم يختلف عليه مع طول مدته احد
من عسكره على كثرتهم وكان الناس يامنون ظلمه لعدله ويرجون رفده لكثرته ولم يكن ليطل ولا لصاحب
هزل عنده نصيب وكان اذا قال صدق واذا وعد وفى واذا عاهد لم يخن وكان رقيق القلب جدا ورحل
الى الاسكندرية بولديه الافضل والعزيز لسماع الحديث من الشافعي ولم يعهد ذلك لملك بعدهارون
الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمامون الى الامام مالك لسماع الموطا * هذا كله كلام السبكي
في الطبقات قال ومن الكتب والمراسيم منه في النهي عن الخوض في الحرف والصوت وهو من انشاء القاضي
الفاضل لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآية * خرج امرنا الى الكل قائم في صف * او قاعد
او امام وخلف * ان لا يتكلم في الحرف بصوت ولا في الصوت بحرف * ومن تكلم بعدها كان الجدير بالتكليم *
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم * ويسئل النواب القبض على مخالفي
هذا الخطاب وبسط العذاب ولا يسمع المتفقه في ذلك تحرير جواب * ولا يقبل عن هذا الذنب متاب *
ومن رجع الى هذا الايراد بعد الاعلان * وليس الخبر كالعيان * رجع اخرس من ضعفة بني غسان *
وليملى بقراءة هذا الامر على المنابر وليعلم به الحاضر والبادي ليستوي فيه البادي والحاضر * والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل **ومن** صنائع السلطان صلاح الدين انه اسقط المكوس والضرائب
عن الحجاج بمكة وقد كان يؤخذ منهم شئ كثير ومن عجز عن اداء حبس فربما فاته الوقوف بعرفة وعوض
اميرها عن ذلك اقطاعا بديار مصر يحمل اليه منه في كل سنة ثمانية آلاف اردب غلة فلتكن عونا له ولاتباعه

وقرر

وقبر للجاورين ايضا غلات تحمل اليهم وصلات فرحمة الله عليه في سائر الاوقات فلقد كان اماما عادلا وسلطانا كاملا لم ير بمصر بعد الصحابة مثله لا قبله ولا بعده **وقد** كان الخليفة المستضئ ارسل اليه في سنة اربع وسبعين خلعا سنية جدا وزاد في القابه معز امير المؤمنين ثم لما ولي الخليفة الناصر في سنة ست وسبعين ارسل اليه خلعة الاستمرار ثم ارسل اليه في سنة اثنتين وثمانين يعاتبه في تلقيبه بالملك الناصر مع انه لقب امير المؤمنين فارسل يعتذر اليه بان ذلك كان من ايام الخليفة المستضئ وانه ان لقبه امير المؤمنين يلقب فهو لا يعدل عنه وتادب مع الخليفة غاية الادب قال العماد وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام الفرنج فيسرقون فاتفق ان بعضهم اختطف صبيا رضيعا من مهده ابن ثلاثة اشهر فوجدت عليه امه وجدا شديدا واشتكت الى ملوكهم فقالوا لها ان سلطان المسلمين رحيم القلب فاذهبي اليه فجاءت الى السلطان صلاح الدين فبكت وشكت امر ولدها فرق لها رقة شديدة ودمعت عيناه فامر باحضار ولدها فاذا هو يباع في السوق فرسم بدفع ثمنه الى المشتري ولم يزل واقفا حتى جيء بالغلام فدفعه الى امه وحملها على فرس الى قومها مكرمة واستمر السلطان صلاح الدين على طريقته العظيمة من مثابرة الجهاد للكفار ونشر العدل وابطال المكوس والمظالم واجرا البر والمعروف الى ان اصيب به المسلمون وانتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى ليلة الاربعاء سادس عشري صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وله من العمر سبع وخمسون سنة وعمل الشعر افيه مراثي كثيرة من ذلك قصيدة للعماد الكاتب مائتان وثلاثون بيتا * اولها

شمل الهدى والملك عم شتاته ... والدهر ساء واقلعت حسناته
بالله اين الناصر الملك الذي ... لله خالصة صفت نياته
اين الذي ماز السلطانا لنا ... يرجى نداه وتتقى سطواته
اين الذي شرف الزمان بفضله ... وسمت على الفضلا تشريفاته
اين الذي عنت الفرنج لباسه ... ذلا ومنها ادركت ثاراته
اغلال اعناق العدى اسيافه ... اطواق اجياد الورى حسناته

قال العماد وغيره لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد صوريا وستة وثلاثين درهما ولم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ولا شيا من انواع الاملاك وترك سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة واحدة وكان متدينا في ماكله ومشربه ومركبه وملبسه فلا يلبس الا القطن والكتان والصوف وكان يواظب الصلاة في الجماعة ويواظب سماع الحديث حتى انه سمع في بعض المصافات جزأ وهو بين الصفين ويتجر بذلك وقال هذا موقف لم يسمع فيه احد حديثا وبالجملة فمناقبه الحميدة كثيرة لا تستقصى الا في مجلدات وقد افرد سيرته بالتصنيف جماعة من العلماء والزهاد والادبا وكان به عرج في رجله فقال فيه ابن عنين الشاعر

سلطاننا العرج وكاتبه ... ذو عمش والوزير مخدب

قال ابن فضل الله في المسالك ومن غرائب الاتفاق ان الشيخ علم الدين السخاوي مدح السلطان صلاح الدين ومدحه الاديب رشيد الدين الفارقي وبين وفاتيهما مائة سنة وذكر اليافعي في روض الرياحين ان السلطان صلاح الدين كان من الاولياء الثلاثمائة وان السلطان محمودا كان من الاولياء الاربعين وقام بمصر من بعده ولده الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان وكان نائبا بها في حياة ابيه مدة اشتغاله بفتح البلاد الشامية فاستقل بها بعد وفاته فسار سيرة حسنة بعفة عن الفرج والاموال حتى انه ضاق ما بيده ولم يبق في الخزانة لا درهم ولا دينار فجاءه رجل يسعى في قضاء الصعيد بمال فامتنع وقال والله لا بعت دماء المسلمين واموالهم بملك الارض وسعى آخر في قضاء الاسكندرية باربعين الف دينار وحملها اليه فلم يقبلها ولم يزل الى ان مات في المحرم سنة خمس وتسعين وله سبع او ثمان وعشرون سنة ودفن في قبة الامام الشافعي فاقيم ولده ناصر الدين محمد ولقب المنصور فاستمر الى رمضان سنة ست وتسعين ثم استفتى عمه ابيه الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب بن شاذي الفقهاء في عدم صحة مملكته لكونه صغيرا ابن عشر سنين فافتوا بان ولايته لا تصح فنزع واقيم الملك العادل وقيل ان العادل اخذها من الافضل علي بن السلطان صلاح الدين وكان الافضل غلب عليها وانتزعها من المنصور وارسل العادل الى الخليفة يطلب التقليد بمصر والشام فارسله اليه مع الشهاب السهروردي فكان يصيف بالشام ويشتي بمصر وينتقل في البلاد الى ان مات يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة * ومن قول ابن عنين فيه *

ان سلطاننا الذي نرتجيه ... واسع المال ضيق الانفاق
هو سيف كما يقال ولكن ... قاطع للرسوم والارزاق

والعادل اول من سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك سكنها في سنة اربعين وستمائة ونقل اليها اولاد العاضد واقاربه في بيت في صورة حبس وكان ابنه الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي محمد ينوب عنه بمصر في ايام غيبته فاستقل بها بعد وفاته وفي هذه السنة نزلت الفرنج على دمياط واخذوا برج السلسلة وكان حصنا منيعا وهو قفل بلاد مصر وصفته انه في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه الى البحر ومن هذا البرج الى دمياط وهي على شاطئ البحر وحافة النيل سلسلة ومنه الى الجانب الآخر وعليه الجسر سلسلة اخرى ليمنع دخول المراكب من البحر الى النيل فلا يتمكن من البلاد فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين بديار مصر وغيرها ووصل الخبر الى الملك العادل وهو بعرج الصفرا فتاوه تأوها شديدا ودق بيديه على صدره اسفا وحزنا ومرض من ساعته مرض الموت ثم في سنة ست عشرة استحوذ الفرنج على دمياط وجعلوا الجامع كنيسة لهم وبعثوا بمنبره وبالربعات ورؤوس القتلى الى الجزاء فانا لله وانا اليه راجعون واستمرت بايديهم الى سنة سبع عشرة وكان الكامل عرض عليهم ان يرد اليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الشواحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك * فقدر الله انه ضاقت عليهم الاقوات فقدمت عليهم مراكب فيها ميرة فاخذها الاصطور البحري

وارسلت

وارسلت المياه على اراضي دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك ان يتصرفوا في انفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى اضيق الاماكن * فعند ذلك انابوا الى المصالحة بلا معاوضة وكان يوما مشهودا ووقع الصلح على ما اراد الكامل ومد سماطا عظيما وقام راجح الحجى فانشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا ... وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا الله الخلق فتحا بدا لنا ... مبينا وانعاما وعزا مؤيدا

الى ان قال

اعباد عيسى ان عيسى وحزبه ... وموسى جميعا يخدمون محمدا

وكان حاضرا حينئذ الملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى ابنا الملك العادل قال ابو شامة وبلغني انه لما انشد هذا البيت اشار الى الملك المعظم عيسى والاشرف موسى والكامل محمد فكان ذلك من احسن شيء اتفق وتراجعت الفرنج الى عكا وغيرها من البلدان قال الحافظ شرف الدين الدمياطي في معجمه انشدنا ابو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري لنفسه ببغداد وقد ورد كتاب من ديار مصر الى الديوان بانتصار المسلمين على الروم وفتح ثغر دمياط

انا فاتح كتاب فيه نسخة نصرة ... الخص معناها لذي فطن جلد
يقول ابن ايوب المعظم حامدا ... لرب السما الواحد الصمد الفرد
امرنا بحمد الله جل ثناؤه ... وعز اذ دوين في طالع السعد
تركنا من الاعلاج بالسيف مطعنا ... ثلاثين الفا للقشاعم والاسد
ومنهم الوف اربعون باسرنا ... فكم ملك في قبضتنا صار كالعبد
ودمياط عادت مثل ما بدأت لنا ... وبا فا ملكناها فيالك من جد
ونحن على ان نملك السيف كله ... على ثقة ممن له خالص الحمد
الا يا ابن ايوب لقد نلت غاية ... من النصر ما هت ما بلغت من المجد
قهرت فرنج الروم قهرا سماعه ... يقسم زل الرعب في الترك والسفد
وما نلت اسباب العلا عن كلالة ... ولم يأتك المجد المؤثل من بعد
ولكن ورثت الملك والفضل عن اب ... جليل وعن عم نبيل وعن جد
لجات الى ركن شديد ومعقل ... منيع وكنز جامع جوهر المجد
الى فاتح باب الرشاد ببعثه ... وخاتم ميثاق النبوة والعهد
الى الشافعي المنجي الوجيه محمد ... فاحسنت في صدق التوجه والقصد
فمهما تجد من كيد ضد مضائن ... توجه به تظفر وتنصر على الضد
فلا صد عن عز سوابق مجدكم ... كلال ولا غال الكلول شبا الحد
الى ان تذيق الروم في عقر دارهم ... زعافا وتسقي المؤمنين جنا الشهد

ولما تولى المستنصر الخلافة ارسل الى الكامل محمد الدين يوسف بن الشيخ ابى الفرج بن الجوزى ومعه كتاب عظيم فيه تقليده الملك وفيه اوامر كثيرة مليحة من انشآ الوزير نصير الدين احمد بن الناقد * رايت بخط قاضى القضاة عز الدين بن جماعة قال وقفت على نسخة تقليد من الخليفة المنصور ابى جعفر المستنصر بالله امير المؤمنين بخط وزيره ابى الازهر احمد بن الناقد فى رجب سنة نيف وعشرين وستمائة للملك الكامل **الحمد لله** الذى اطمانت القلوب بذكره * ووجب على الخلائق تجزيل حمده وشكره * ووسعت كل شئ رحمته * وظهرت فى كل امر حكمته * ودل على وحدانيته بعجائب ما احكم صنعا وتدبيرا * وخلق كل شئ فقدره تقديرا * فمد الشاكرين بنعمائه التى لا تحصى عددا * وعالم الغيب الذى لا يظهر على غيبه احدا * لا معقب لحكمه فى الابرام والنقض * ولا يؤوده حفظ السموات والارض * تعالى ان يحيط به الضمير * وجل ان يبلغ وصفه البيان والتفسير * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * واحمد الله الذى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وانقذ هاديا للخلق * واوضح به مناهج الرشد وسبل الحق * واصطفاه من اشرف الانساب واعز القبائل * وجعله اعظم الشفعاء واقرب الوسائل * فقذف صلى الله عليه وسلم بالحق على الباطل * وحمل الناس بشريعته على المحجة البيضآ والسنن العادل * حتى استقام اعوجاج كل زائغ ورجع الى الحق كل حائد عنه ومائل * وسجد لله كل شئ تفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل * صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الكرام الافاضل صلاة مستمرة بالغدوات والاصائل * خصوصا على عمه وصنو ابيه العباس بن عبد المطلب الذى اشتهرت مناقبه فى المجامع والمحافل * ودرت ببركة استسقائه اخلاف السحب الحوافل * وفاز من تنصيص الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخلافة المعظمة بما لم يفز به احد من الاوائل * والحمد لله الذى حاز مواريث النبوة والامامة * ووفر من جزيل الاقسام من الفضل والكرامة * لعبده وخليفته * ووارث نبيه ومحيى شريعته وسنته * **ولما** وفق الله نصير الدين محمد بن سيف الدين ابى بكر بن ايوب من الطاعة المشهورة * والخدم المشكورة * انعم عليه بتقليد شريف اما بحى فقلده على خيرة الله الرعاية والصلاة واعمال الحرب والمعادن والاحداث والخراج والضياع والصدقات والجوالى وسائر وجوه الجبايات والقرض والعطا والنفقة فى الاولياء والمظالم والحسبة فى بلاده وما يفتتحه ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاعين وبلاد من تبرز اليه الاوامر الشريفة بقصده من المارقين عن الاجماع المنعقد بين علماء المسلمين * ومنه امره بتقوى الله تعالى التى هى الجنة الواقية والنعمة الباقية * والملجا المنيع * والعماد الرفيع * والذخيرة النافعة فى السر والنجوى * والجدوة المقتبسة من قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى * وان يتدرع شعارها فى جميع الاقوال * ويهتدى بانوارها من مشكلات الامور والاحوال * وان يعمل بها سرا وجهرا * ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدرا * قال الله تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا * وامره بتلاوة كتاب الله تعالى متدبرا فانه من عجائبه سببا كاسبيل الرشاد والهداية فى العمل به * وان يجعله مثالا يتبعه ويقتفيه

وليلا يهتدى بمراشده الواضحة فى اوامره ونواهيه * فانه المثل الاعظم * وسبب الله المحكم * والدليل
الذى يهدى للتى هى اقوم * ضرب الله فيه لعباده جوامع الامثال * وبين لهم بهداه مسالك الرشد
والضلال * وفرق بدلائله الواضحة ونواهيه الصادقة بين الحرام والحلال * فقال عز من قائل هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال تعالى كتاب * انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته
وليتذكر اولوا الالباب واموره بالمحافظة على مفروض الصلوات * والدخول فيها على اكمل هيئة من قوانين
الخشوع والاخبات * وان يكون نظره فى موضع يحواه من الارض * وان يمثل لنفسه فى ذلك موقفه بين يدى
الله تعالى يوم العرض * قال تعالى والذين هم فى صلاتهم خاشعون وقال سبحانه ان الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا وان لا يشتغل بشاغل عن اداء فروضها الواجبة * ولا يلهو بسبب عن اقامة سننها الراتبة
فانها عماد الدين التى سمت اعاليه * ومهاد الشرع الذى درست قواعده ومبانيه * قال تعالى حافظوا على
على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
واموره ان يسعى الى صلاة الجمع والاعياد * ويقوم فى ذلك بما فرضه الله عليه وعلى العباد * وان يتوجه
الى المساجد والجوامع متواضعا * ويبرز الى المصليات الضاحية فى الاعياد خاشعا * وان يحافظ
فى تشييد قواعد الاسلام على الواجب والمندوب * ويعظم باعتماده ذلك شعائر الله التى هى من تقوى
القلوب * وان يشتمل بوافر اهتمامه واعتنائه وكمال نظره وارعايه بيوت الله التى هى محال البركات
ومواطن العبادات * والمساجد التى تاكد فى تعظيمها واجلالها حكمه * والبيوت التى اذن الله ان
ترفع ويذكر فيها اسمه * وان يرتب لها من الخدم من يتبتل لازالة ادناسها * ويتصدى لاذكاء مصابيحها
فى الظلام وايناسها * ويقوم لها بما يحتاج اليه من اسباب الصلاح والعمارات * ويحضر اليها
ما يليق من الدهن والكسوات * واموره باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى اوضح جددها
وثقف عليه السلام اودها * وان يعتمد فيها على الاسانيد التى نقلتها الثقات * والاحاديث التى صحت
بالطرق السليمة والروايات * وان يقتدى بما جاءت به من مكارم الاخلاق التى ندب صلى الله عليه
وسلم الى التمسك بسببها * ورغب امته فى الاخذ بها والعمل بادبها * قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقال سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واموره بمجالسة اهل العلم
والدين * واولى الاخلاص فى طاعة الله واليقين * والاستشارة بهم فى عوارض الشك والالتباس *
والعمل بارائهم فى التمثيل والقياس * فان فى الاستشارة بهم عين الهداية * وامنا من الضلال والغواية
ولا يلقح عقم الافهام والالباب * ويقتدح زناد الرشد والصواب * قال الله تعالى فى الارشاد الى فضلها
والامر فى التمسك بحبلها وشاورهم فى الامر واموره بمراعات احوال الجند والعسكر فى ثغوره *
وان يشملهم بحسن نظره وجميل تدبيره * مستصلحا شانهم بادامة التلطف والتعهد * مستوضحا
احوالهم بمواصلة التفحص عنها والتفقد * وان يسوسهم بسياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم *
ويهديهم فى انتظامها واتساقها الى الصراط المستقيم * ويحملهم على القيام بشرائط الخدم *

والتلزم بها باقوى الاسباب وامتن العصم * ويبعثهم الى مصلحة التواصل والايتلاف * ويصدهم عن موجبات التخاذل والاختلاف * وان يعتمد فيهم شرائط الحزم فى الاعطآء والمنع * وما تقتضيه مصلحة احوالهم من اسباب الخفض والرفع * وان يثيب المحسن منهم على احسانه * ويسبل على المسئ ما وسعه العفو واحتمل الامر ذيل صفحه وامتنانه * وان ياخذ برأى ذوى التجارب منهم والحنكة * ويجتنى بمشاورتهم ثمر البركة * اذ فى ذلك امن من خطإ الانفراد * وتزحزح عن مقام الزيغ والاستبداد * وامره بالتيقظ لما يليه من البلاد * ويتصل بنواحيه من ثغور اولى الشرك والعناد * وان يصرف بجامع الالتفات اليها * ويخصها بوفور الاهتمام والتطلع عليها * وان يشمل ما بيلاده من الحصون والمعاقل بالاحكام والاتقان وينتهى فى اسباب مصالحها الى غاية الوسع والامكان * وان يمتحنها بالميرة الكثيرة والذخائر * ويمدها من الاسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر * وان يتخير لحراستها من الاهناء الثقات * ويسدها بمن ينتجبه من الشجعان الكماة * وان يؤكد عليهم فى استعمال اسباب الحيطة والاستظهار * ويوقظهم الى الاحتراس من غوائل الغفلة والاغترار * وان يكون المشار اليهم ممن تربوا فى ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد * وتدربوا فى نصب الحبائل للمشركين والاخذ عليهم بالمراصد * وان يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد وكثرة العدد * والتوسعة فى النفقة والعطاء والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم فى التقصير والعناء اذ فى ذلك حسم لمادة الاطماع فى بلاد الاسلام * وردع لكثير المعاندين من عبدة الاصنام * فمعلوم ان هذا الغرض اولى ما وجهت اليه العنايات وصرفت * واحق ما قصرت عليه الهمم ووقفت * فان الله تعالى جعله من اهم الفروض التى الزم القيام فيها بحقه * واكبر الواجبات التى كتب العمل بها على خلقه * فقال سبحانه وتعالى هاديا فى ذلك الى سبيل الرشاد * ومحرضا لعباده على قيامهم له بفرض الجهاد * ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب الى قوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وقال تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا لا يخيف فيه المشركين ويخيفونه كان له كاجر ساجد لا يرفع رأسه الى يوم القيمة واجر قائم لا يقعد الى يوم القيمة واجر صائم لا يفطر وقال صلى الله عليه وسلم غدوة فى سبيل الله او روحة خير مما طلعت عليه الشمس هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حق من سمع هذه المقالة فوقف لديها فكيف بمن كان قال عليه السلام الا اخبركم بخير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها * وامره باقتفاء اوامر الله تعالى فى رعاياه * والاهتداء الى رعاية العدل والانصاف والاحسان بمراشده الواضحة ووصاياه * وان يسلك فى السياسة بهم سبيل الصلاح * ويشملهم بلين الكنف وخفض الجناح * ويديم ظل رعايتهم على مسلمهم ومعاهدهم * ويزحزح الاقذآء والشوائب عن مناهلهم فى العدل ومواردهم * وينظر فى مصالحهم نظرا يساوى فيه بين الضعيف والقوى * ويقوم باودهم قياما تهتدى به وتهديهم الى الصراط السوى * قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية * وامره باعتماد اسباب الاستظهار والامنة * واستقصآء الطاقة المستطاعة والقدرة الممكنة * فى المساعدة

على قضاء تفث حجاج بيت الله الحرام * وزوار نبيه عليه افضل الصلاة والسلام * وان يمدهم بالاعانة
في ذلك على تحقيق الرجا وبلوغ المرام * ويحرسهم من التخطف والاذى في حالتي الظعن والمقام * فان الحج
احد أركان الدين المشيدة * وفروضه الواجبة المؤكدة * قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا وامره بتقوية ايدي العالمين بحكم الشرع في الرعايا * وتنفيذ ما يصدر عنهم من الاحكام
والقضايا * والعمل بأقوالهم فيما يثبت لذوي الاستحقاق * والشد على ايديهم فيما يرونه من المنع
والاطلاق * وانه متى تأخر احد الخصمين عن اجابة داعي الحكم او تقاعس في ذلك لما يلزم من الاداء والغرم
جذبه بعنان القسر الى مجلس الشرع * واضطره بقوة الانتصار الى الاداء بعد المنع * وان يتوخى عمال
الوقوف التي تقرب المتقربون بها * واستمسكوا في ظل ثواب الله بمتين سببها * وان يمدهم بجميل المعاونة
والمساعدة * وحسن الموازرة والمعاضدة * في الاسباب التي تؤذن بالعمارة والاستمداد * ويعود عليها
بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء * قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وامره ان يتخير من
اولي الكفاية والنزاهة من يستخلصه للخدم والاعمال * والقيام بالواجب من اداء الامانة والحراسة
والتمييز لبيت المال * وان يكونوا من ذوي الاطلاع بشرائط الحدم المعينة وامورها * والمهتدين
الى مسالك صلاحها * قال الصلاح الصفدي في تاريخه حكى صاحب كتاب الاشعار بما
للملوك من النوادر والأشعار * قال كان الملك الكامل ليلة جالسا فدخل عليه مظفر الاعمى فقال له اخبرني مظفر
قد بلغ الشوق منتهاه * فقال مظفر وما درى العاذلون ما هو * فقال السلطان ولم جيب راى هواك *
فقال مظفر * وما تغيرت عن هواه * فقال السلطان رياضة النفس في احتمالي * فقال مظفر وروضه
الحسن في حلاه * فقال السلطان اسمر لدن القوام الحي * فقال مظفر يعشقه كل من يراه * فقال السلطان
وريقه كلها مدام * فقال مظفر ختامها المسك من لماه * فقال السلطان ليلته كلها وقاد * فقال مظفر
وليلتي كلها انتباه * فقال السلطان وما يرى ان اكون عبدا * فقام مظفر على قدميه * وقال بالملك الكامل
احتماه * العالم العامل الذي في كل صلاة نرى اياه * ليث وغيث وبدر تم * ومنصب جل مرتقاه * قال
الحافظ عبد العظيم المنذري انشأ الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وعمر القبة على ضريح الشافعي
واجرى الماء من بركة الحبش الى حوض السبيل والسقاية على باب القبة المذكورة ووقف غير ذلك من
الوقوف على انواع البر وله المواقف المشهودة بدمياط وكان معظما للسنة واهلها قال الذهبي وكان
له اجازة من السلفي وخرج له ابو القاسم بن الصقراوي اربعين حديثا سمعها منه جماعة وقال ابن
خلكان اتسعت المملكة للملك الكامل حتى قال الخطيب مكة مرة عند الدعاء له سلطان مكة وعبيدها
واليمن وزبيدها * ومصر وصعيدها * والشام وصنادیدها * والجزيرة ووليدها * سلطان القبلتين
ورب العلامتين * وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل ابو المعالي ناصر الدين محمد خليل امير المؤمنين
وكانت وفاته بدمشق يوم الاربعا حادي عشري رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة واقيم بعده
ولده الملك العادل ابو بكر وكان نائب ابيه بمصر مدة غيبته فبلغ ذلك اخاه الاكبر الملك الصالح

نجم الدين ايوب بن الكامل صاحب حصن كيفا فقدم وبرز العادل الى بلبيس قاصدًا للقتال فاختلفت عليه الامرآ فقيدوه واعتقلوه وارسلوا الى الصالح ايوب فوصل اليهم فملكوه وذلك في صفر سنة سبع وثلاثين فاقام في الملك عشر سنين الا اربعة اشهر وكان مهيبًا جدًا دبر المملكة على احسن وجه وبنى المدارس الاربعة بين القصرين وعمر قلعة بالروضة واشترى الف مملوك واسكنهم بها وسماهم البحرية وهو الذي اكثر من شرآ الترك وعتقهم وتاميرهم ولم يكن ذلك قبله فقام الشيخ عز الدين بن عبد السلام القومة الكبرى في بيع اولئك الامرآ وصرف ثمنهم في مصالح المسلمين وقال بعض الشعرآ *

الصالح المرتضى ايوب اكثر من ... تراك بدولته يا شر مجلوب
لما واخذ الله ايوبا بفعلته ... قال الناس كلهم في ضر ايوب

ولما تولى الخليفة المستعصم نفذ الصالح اليه رسوله يطلب تقليدًا بمصر والشام فجاءه التشريف والطوق الذهب والمركوب فلبس التشريف الاسود والعمامة والجبة وركب الفرس وكان يومًا مشهورًا فلما كان سنة سبع واربعين هجمت الفرنج على دمياط فهرب من كان فيها واستحوذ واعليها والملك الصالح مقيم بالمنصورة لقتالهم فادركه اجله ومرض ومات بها ليلة النصف من شعبان فاخفت جاريته شجرة الدر موته وبقيت تعلم بعلامته سوآ واعلمت اعيان الامرآ فارسلوا الى ابنه الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا فقدم في ذي القعدة وملكوه فوكب في عصائب الملك وقاتل الفرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين الفا ولله الحمد وكان في عسكر المسلمين الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت النصرة اولا للفرنج وقويت الريح على المسلمين فقام الشيخ عز الدين باعلى صوته مشيرا بيده الى الريح يا ريح خذيهم عدة مرار فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتها وكان الفتح وغرق اكثر الفرنج وصرخ من المسلمين صارخ الحمد لله الذي اورانا في امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر له الريح وكان ذلك في يوم الاربعا ثالث المحرم واسر الفرنسيس ملك الفرنج وحبس مقيدًا بدار ابن لقمان ووكل يحفظه طواشي يقال له صبيح ثم نفرت قلوب العسكر من المعظم لكونه قرب مماليكه وابعد مماليك ابيه فقتلوه في يوم الاثنين سابع عشر المحرم واسوه بارجلهم وكانت مملكة شهرين قال ابن كثير وقد رؤى ابوه الصالح في النوم بعد قتل ابنه وهو يقول

قتلوه شر قتله ... صار للعالم مثله
لم يراعوا فيه الا ... لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قريب ... لاقل الناس اكله

فكان كذلك وقع بعد ذلك قتال بين المصريين والشاميين وعدم من المصريين طائفة كثيرة واتفقوا بعد قتل المعظم على تولية شجرة الدر أم خليل جارية الملك الصالح فملكوها وخطب لها على المنابر فكان الخلفاء يقولون بعد الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان الملك الصالح ونقش اسمها على الدينار والدرهم

وكانت

وكانت تعلم على المناشير وتكتب والدة خليل ولم يل مصر في الاسلام امراة قبلها ولما وليت تكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام في بعض تصانيفه على ما اذا ابتلى المسلمون بولاية امراة واوسل الخليفة المستعصم يعاتب اهل مصر في ذلك ويقول ان كان ما بقي عندكم رجل تولونه فقولوا لنا نرسل اليكم رجلا ثم اتفقت شجرة الدر والامرا على اطلاق الفرنسيس بشرط ان يرد دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانمائة الف دينار عوضا عما كان بدمياط من الحواصل ويطلقوا اسرى المسلمين فاطلق على هذا الشرط فلما سار الى بلاده اخذ في الاستعداد والعود الى دمياط فدامت الامرا على اطلاقه وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح وكتب بها اليه

قل للفرنسيس اذا جئته	مقالة الصدق من قؤول نصيح
اجرك الله على ما جرى	من قتل عباد بشرع المسيح
اتيت مصرا تبتغي ملكها	تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم	ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم	بحسن تدبيرك بطن الضريح
تسعين الفا لا ترى منهم	الا قتيلا او اسيرا جريح
وفقك الله لامثالها	لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم بذا راضيا	فرب غش قد اتى من نصيح
وقل لهم اذا عزموا عودة	لاخذ ثار او لعقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باق والطواشي صبيح

فلم ينشب الفرنسيس ان اهلكه الله وكفى المسلمين شره واقامت شجرة الدر في المملكة ثلاثة اشهر ثم عزلت نفسها واتفقوا على ان يملكوا الملك الاشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الملك الكامل فملكوه وله ثمان سنين وذلك في يوم الاربعا ثالث جمادى الاولى سنة ثمان واربعين وجعل عز الدين ايبك التركماني مملوك الصالح اتابكه وخطب لهما وضربت السكة باسمهما وعظم شان الاتراك من يومئذ ومدوا ايديهم الى العامة واحدث وزيره الاسعد الفائزي ظلامات ومكوسا كثيرة ثم ان عز الدين خلع الملك الاشرف واستقل بالسلطنة في سنة اثنتين وخمسين ولقب الملك المعز وهو اول من ملك مصر من الاتراك وممن جرى عليه الرق فلم يرض الناس بذلك حتى ارضى الجند بالعطايا الجزيلة واما اهل مصر فلم يرضوا بذلك ولم يزالوا يسمعونه ما يكره اذا ركب ويقولون لا نريد الا سلطانا رئيسا ولد على الفطرة وكان المعز تزوج شجرة الدر ثم انه خطب ابنة صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته في اواخر ربيع الاول سنة خمس وخمسين واقيم بعده ولده علي ولقب المنصور وعمره نحو خمس عشرة سنة فاقام سنتين وثمانية اشهر وفي ايامه اخذ التتار بغداد وقتل الخليفة *

ثم ان الامير سيف الدين قطز مملوك المعز قبض على المنصور واعتقله في اواخر ذي القعدة سنة سبع

وخمسين وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر بعد ان جمع الامراء والعلماء والاعيان واقروا بان المنصور صبي لا يصلح للملك لاسيما في هذا الزمان الصعب الذي يحتاج الى ملك شهم مطاع لاجل اقامة الجهاد والتتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء اهلها الى مصر يطلبون النجدة واراد قطز أن يأخذ من الناس شيئا ليستعين به على قتالهم فجمع العلماء فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شيء حتى لا يبقى في بيت المال شيء وتبيعوا مالكم من الحوائص والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا في ذلك هم والعامة واما اخذ اموال العامة مع بقاء ما في ايدي الجند من الاموال والآلات الفاخرة فلا ولم يكن قطز هذا مرقوق الاصل ولا من اولاد الكفر تملك الجزري في تاريخه كان قطز في رق ابن الزعيم غضب به استاذه فبكى فقيل له تبكي من لطمة فقال انما ابكي من لعنة ابي وجدي وهما خير منه فقيل من ابوك واحد كافر فقال ما انا الا مسلم بن مسلم انا محمود ابن محمود بن اخت خوارزمشاه من اولاد الملوك وخرج المظفر بالجيوش في شعبان سنة ثمان وخمسين متوجها الى الشام لقتال التتار وشاوريشه ركن الدين بيبرس البندقداري فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع المصاف يوم الجمعة خامس عشري رمضان فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر فطار الناس فرحا ثم دخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا فاحبه الخلق غاية المحبة وقال بعض الشعراء في ذلك

هلك الكفر في الشام جميعا ... واستجد الاسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفر الملك الارو ... ع سيف الدين عند دحوضه

وقال الامام ابو شامة رحمه الله في ذلك شعرا

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام اهلكهم وبدد شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه

وساق بيبرس وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع عن ذلك فنافر بيبرس ووقعة الوحشة بينهما فاضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق في سادس عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين بين الغراقي والصالحية وتسلطن بيبرس ولقب بالملك القاهر ودخل مصر وازال عن اهلها ما كان المظفر احدثه عليهم من المظالم واشار عليه الوزير زين الدين ان يغير هذا اللقب وقال ما تلقب به احد فافعل فابطل السلطان هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر وقد نظم الاديب جمال الدين المصري المعروف بالجزار الشاعر المشهور ارجوزة سماها العقود الدرية في الامراء المصرية ضمنها امراء مصر من عمرو بن العاصي الى الملك الظاهر هذا فقال

الحمد لله العلي ذكره ... ومن يفوق كل امر أمره

احمده وهو ولي الحمد ... على توالي بره والرفد

ثم الصلاة بعد هذا كله ... على اجل خلقه ورسله
محمد خير بني عدنان ... ومن اتاه الوحي بالتبيان
دامت عليه صلوات ربه ... ثم على عترته وصحبه
يا سائلي عن امراء مصر ... منذ حباها عمر لعمرو
خذ من جوابي ما يزيل اللبسا ... واحفظه حفظ ذاكر لا ينسا
اول من كان اليه الامر ... مفوضا بعد الفتوح عمرو
وابن ابي سرح تولى امرها ... وقيس ساس نفعها وضرها
ثم تولى النخعي الاشتر ... وابن ابي بكر كما قد ذكروا
ثم اعيدت بعده لعمرو ... ثانية وعتبة في الاثر
وعقبة ثم الامير مسلمه ... وابن يزيد وهو نجل علقمه
ثم تولى الامر عبد الرحمن ... وبعده تأمر ابن مروان
اذ كان ولاها اباه ... وهو بمصر حوله ذووه
ثم لعبد الله تعزى الامره ... وبعده نجل شريك قره
ثم تولى بعده عبد الملك ... نقلا صحيحا غير نقل مؤتفك
وابن بشر جيل الامير ايوب ... وبشر قال الامر اليه منسوب
ثم اخو بشر الامير حنظله ... ثم غدا مجد والامر له
والمر نجل يوسف وحفص ... من بعده جا بذاك النص
ثم فتى رفاعة عبد الملك ... ثم الوليد صنوه كل ملك
ثم ابن خالد يعد تاليه ... ثم ابن صفوان تولى ثانيه
وحفص قد عاد اليها واليا ... وقام حسان الامير تاليا
ثم تولى حفص وهي الثالثه ... وابن سهيل جا فيها وارثه
وابن عبيد واسم المغيره ... دبر اقليما غدا اميره
ثم ابن مروان ولي لخم ... وكان للدولة اي ختم
وصالح اول من تولى ... ثم ابن عون ونعم المولى
ثم اعيد صالح لمصر ... ثانية بنهيه والامر
ثم ابو عون لها اعيدا ... ثانية وادرك المقصودا
وجا موسى بعده ابن كعب ... محكما في سلمها والحرب
ثم اتى محمد بن الاشعث ... فاسمع لما حدثته وعث
ثم حميد وهو ابن قحطبه ... ثم يزيد نال ايضا منصبه

وقام عبد الله فيها يُحمَدُ ... ثم اخوه بعده محمّد
ثم غدا الامير موسى بن علي ... وبعده عيسى بن لقمان ولي
وواضح وكان مولى المنصور ... وبعد ذاك ابن يزيد منصور
وجا يحيى بعده ابن محمود ... وسالم في الامر آمعدود
وبعده ابراهيم نجل صالح ... ولم يزل ينظر في المصالح
وجا موسى وهو نجل مصعب ... وبعده اسامة بها حُجِبْ
والفضل نجل صالح ايضا ولي ... وبعده نجل سليمان علي
ثم حوى موسى بن عيسى حرمه ... ثم تولاها ابن يحيى مسلمه
وابن زهير واسمه محمّد ... وجا داود وهذا مُسْنَد
وجا موسى نجل عيسى ثانيه ... ونال في امرتها امانيه
كذاك ابراهيم ايضا ولي ... فيها كما قد قيل بعد العزل
وحاز عبد الله منها الافاق ... وابن سليمان المسمى اسحاق
ثم اتى هرثمة وهو الملك ... وبعده ابن صالح عبد الملك
ثم عبيد الله نجل المهدي ... وكان رتب حلها والعقد
وبعده موسى بن عيسى ثالثه ... حتى رأى من دهره حوادثه
ثم عبيد الله نجل المهدي ... ثانية في حلها والعقد
وجا اسمعيل نجل صالح ... يامر في الغادي بها والرايح
وبعده سُمَيّة بن عيسى ... تحدوا اليه القاصدون العيسا
ثم تولى الليث نجل الفضل ... واحمد من بعده ذو الفضل
وجا عبد الله يقفو جُنده ... ثم الحسين بن جميل بعده
ثم تولى مالك ثم الحسن ... كلاهما اوضح في العدل السَّنَن
ثم غدا الامير فيها حاتم ... وجابر بالامر فيها قائم
ثم لعباد غدت تنتسب ... وبعده امرها المطلب
ثم تولى امرها العباس ... وفوض الامر اليه الناس
ثم اعيد الامر للمطلب ... ثانية ثم السري فاعجب
ثم سليمان له الامر حصل ... ثم السري بعدما كان انفصل
ثم تولى ابن السري الامرا ... وطال ما ساسها وسرا
ثم عبيد الله وهو ابن السري ... وبعده ابن طاهر فحرّر
وبعده عيسى فتى يزيد ... ثم عمير من بني الوليد

قد كان ولّاها له لما قدم ... على البلاد ابن الرشيد المعتصم
وعاد عيسى وهو فيها والٍ ... وعبدويه ذو المحل العالي
وقد تولى بعده ابن منصور ... عيسى وهذا الامر امر مشهور
وعند ذاك قدم المأمون ... لمصر والدنيا له تدين
في سنة تعد سبع عشره ... وماتين بعد عام الهجره
ثم تولى نصر وهو كيدر ... ثم توليها ابنه المظفر
ثم تولى ابن ابي العباس ... موسى بلا شك ولا التباس
ومالك بن كيدر ثم على ... وبعده عيسى بن منصور ولي
وبعده هرثمة بن النضر ... وحاتم وكان رب الأمر
ثم على بخل يحيى ثانيه ... وجا اسحاق بن يحيى تاليه
وبعده الامير عبد الواحد ... وهو ابن يحيى فارض بالفوائد
وبعده عنبسة بن اسحاق ... ثم يزيد حاز منها الافاق
ثم تولى امرها مزاحم ... ثم ابنه احمد فيها القائم
ونال ارجوزها ما يقصد ... ثم ابن طولون الامير أحمد
ثم ابو الجيش ابنه من بعده ... ثم اتى جيش ولي عهده
ثم تولى بعده هارون ... وبعده من جده طولون
وبعده عيسى فتى محمد ... ثم تكين صار رب الشوذد
ثم تولاها ذكاء الاعور ... ثم تكين وهو وقت آخر
ثم هلال وهو ابن بدر ... اصبح فيها وهو رب الأمر
ثم تولى احمد بن كيغلغ ... ثم تكين اذ له الامر بلغ
ثم اتى محمد بن طغج ... واحمد ثانيه في النهج
ثم تولاها ابن طغج ثانيه ... ثم ابو القاسم جا تاليه
ثم اتى الاخشيد من بعد علي ... وبعد ذاك الامر كافور ولي
وبعد كافور تولى احمد ... ثم اتى جوهر وهو أيد
ثم تولاها المعز اذ اتى ... ثم العزيز بجله خير فتى
ثم ابنه الحاكم ثم الظاهر ... وكلهم في المأثرات باهر
ثم تولى امرها المستنصر ... وهو لعمري يقظ مستبصر
ثم تولى امرها المستعلي ... وكان رب عقدها والحل
وبعد ذاك قد حواها الآمر ... ولم تكد تعصى له اوامر

ثم تولاها الامام الحافظ ... وهو على تدبيرها محافظ
وحفا اسمعيل وهو الظافر ... ثم ابنه الفائز ثم ابنه الآخر
اعني بما فلت الامام العاضدا ... محررا فاغتنم الفوائدا
وشيركوه مدة يسيره ... تناهز الشهرين منه السيره
ثم تولاها الصلاح يوسف ... ثم العزيز وابنه مستضعف
ثم اتى الافضل نور الدين ... وبعده العادل ذو التمكين
ثم ابنه الكامل ثم العادل ... كلاهما بالحكم فيها عادل
ثم اتى الصالح وهو الاعظم ... ثم تولاها ابنه المعظم
وبعده ام خليل ملكت ... وطابت الافعال فيها وزكت
والملك الاشرف كان طفلا ... فلم يدبر عقدها والحلا
ثم استبد الملك المعز ... ثم ابنه ووافقته العز
ثم حواها الملك المظفر ... وحظه من نصره موفر
ثم حوى الامر الملك الظاهر ... لا زال للاعدا وهو قاهر

* ذكر من قام بمصر من الخلفاء العباسية *

كان لانقراض الخلافة ببغداد وما جرى على المسلمين بتلك البلاد مقدمات نبه عليها العلماء منها انه في يوم الثلاثا ثامن عشر ربيع الآخر سنة اربع واربعين وستمائة هبت ريح عاصفة شديدة بمكة فالقت ستارة الكعبة المشرفة فما سكنت الريح الا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ومكثت احدى وعشرين يوما ليس عليها كسوة * وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير وكان هذا فالا على زوال دولة بني العباس ومنذرا بما سيقع بعد هذا من كائنة التتار لعنهم الله * ومنها قال ابن كثير في سنة سبع واربعين طغى المآ ببغداد حتى اتلف شيأ كثيرا من المحال والدور الشهيرة وتعذرت اقامة الجمعة بسبب ذلك * وفي هذه السنة هجمت الفرنج على دمياط فاستحوذوا عليها وقتلوا خلقا من المسلمين * وفي سنة خمسين وقع حريق بحلب احترق بسببه ستمائة دار فيقال ان الفرنج لعنهم الله القوه فيها قصدا * وفي سنة اثنتين وخمسين قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وردت الاخبار من مكة شرفها الله بان نارا ظهرت في ارض عدن في بعض جبالها بحيث انه يطير شررها الى البحر في الليل ويصعد منها دخان عظيم في اثناء النهار فتاب الناس واقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا في افعال الخير والصدقات * وفي سنة اربع وخمسين زادت دجلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من اهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس في المراكب واستغاثوا بالله وعاينوا التلف ودخل الماء من اسوار البلاد وانهدمت دار الوزير

وثلاثمائة وثمانون ذراعا وانهدم مخزن الخليفة وهلك شئ كثير من خزانة السلاح * قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى وكان ذلك من جملة الامور التي هي مقدمة لواقعة التتار * وفي هذه السنة في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة * واقام على هذه الحالة يومين فلما كان ليلة الاربعاء عقب الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الارض والحيطان واضطرب المنبر الشريف واستمرت تزلزل ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة خامس الشهر ظهر من الحرة نار عظيمة وسالت اودية منها مسيل الماء وسالت الجبال نارا وسارت نحو طريق الحاج العراقي فوقفت واخذت تاكل الارض اكلا ولها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل الى الضحوة واستغاث الناس ونبيهم صلى الله عليه وسلم واقلعوا عن المعاصي واستمرت النار فوق الشهر وخسف القمر ليلة الاثنين منتصف الشهر وكسفت الشمس في غده وبقيت اياما متغيرة اللون ضعيفة النور واشتد فزع الناس وصعد علماء البلد الى الامير يعظونه فطرح المكس ورد على الناس ما كان تحت يده من اموالهم * وقال سيف الدين علي بن عمر بن قزل المشد في هذه النار *

الا سلما عني على خير مرسل ... ومن فضله كالسيل يحظ من علي
واشرف من شدت اليه رحالنا ... لتورد هيم الشوق اعذب منهل
تحملن منا كل اشعث اغبر ... فيا عجبا من رحلها المتحمل
الى سيد جات بعالي محله ... ومعجزة آي الكتاب المنزل
نبي هدانا للهدى بادلة ... فهمنا معانيها بحسن التأول
محمد المبعوث والغي مظلم ... فاصبح وجه الرشد مثل السنبلي
وقولا له اني اليك لشيق ... عسى الله يدنيني من محلك محمل
فهذا اشواقي وتسكن لوعتي ... واصبح عن كل الغرام بمعزل
ولما نفى عني الكرى خبر التي ... اضاءت بأذناب ثم رضوى ويذبل
ولاح سناها من جبال قريظة ... لسكان تيما فاللوى فالمعقنقل
واخبرت عنها في زمانك منذرا ... بيوم عبوس قمطرير معطرك
فقلت كلاما لا يبين لقائل ... سواك ولا يسطيعه رب مقول
ستظهر نار بالحجاز مضيئة ... كاعناق عيس نحو بصرى لخيل
فكانت كما قد قلت حقا بلا مرى ... صدقت وكم كذبت كل معطل
لها شرر كالبرق لكن شعيبها ... فكالرعد عند السامع المتأمل
واصبح وجه الشمس كالليل كاسفا ... ويدر الدجى في ظلمة ليس تنجلي
وغابت نجوم الجو قبل غروبها ... وكدرها دور الدخان المسلسل
وهبت سموم كالجحيم فاذبلت ... من الباسقات الشم كل مذلل

وابت من الايات كل عجيبة ... وزلزلت الارض نود اى تزلزل
وايقن كل الناس ان عذابهم ... تعجل فى الدنيا بغير تمهل
واعولت الاطفال مع امهاتها ... فيا نفس جودى يا مدامع اهملى
جزعت قيام الناس حولى واقبلوا ... يقولون لا تهلك اسى وتحمل
لعل اله الخلق يرحم ضعفهم ... وما اظهروه من عظيم التذلل
وتاب الورى واستغفروا الذنوبهم ... ولاذوا بعفو الكريم المبجل
شفعت لهم عند الاله فاصبحوا ... من النار فى امن وبر معجل
اغاثهم الرحمن منك بنفحة ... الذ وأشهى من جنى ومعسل
طفا النار نور من ضريحك ساطع ... فصادت سلاما لا تضر بمصطلى
وعاش رجا الناس بعد مماتهم ... فيالك من يوم اغر محجل
فيا راحلا عن طيبة ان طيبة ... هى الغاية القصوى لكل مؤمل
تقاضبك ذكراها فان الذى بها ... اجل حبيب وهى اشرف منزل
دخلت اليها محرما وملبيا ... واضربت عن سقط الدخول فحوملى
مواقف اما تربها فهى عنبر ... واما تلاعها فهو نبت القرنفل
يضوع شذاها ثم يعبق نشرها ... لما راوحتها من جنوب وشمال
فيا خير مبعوث واكرم شافع ... وانجح مامول وافضل موئل
عليك سلام الله بعد صلاته ... كما شفع المسك العبيق بمندل

* وقال بعضهم فى ذلك *

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا ... لقد احاطت بنا يا رب يا ساءُ
نشكو اليك خطوبا لا نطيق لها ... حملا ونخشى بها حقا احقاءُ
زلازلا تخشع الصم الصلاد لها ... وكيف يقوى على الزلزال الشمّاءُ
اقام سبعا ترج الارض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواءُ
بحر من النار تجرى فوقه سفن ... من الهضاب لها فى الارض ارساءُ
كانما فوقه الاجبال طافية ... موج عليه لفرط الهيج عشاءُ
ترى لها شررا كالقصر طائشة ... كانها دمة تنصب هصلاءُ
تنشق منها قلوب الصخر اذ زفرت ... رُعبا وترعد مثل السعف اصواءُ
منها تكاثف فى الجو الدخان الى ... ان عادت الشمس منه وهى دهماءُ
قد اثرت سفعة فى البدر لفحتها ... فليلة التم بعد النور ليلاءُ

* وقال آخر فى هذه النار وغرق بغداد *

سبحان من اصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار
اغرق بغداد بالمياه كما ... احرق ارض الحجاز بالنار

قال ابو شامة والصواب ان يقال

في سنة اغرق العراق وقد ... احرق ارض الحجاز بالنار

وذكر ابن الساعي ان النجاب لما جاء الى بغداد ينبر هذه النار قال له الوزير الى اي الجهات ترى شررها قال الى جهة الشرق قال ابو شامة وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق المسجد الشريف النبوي ابتدأ حريقه من زاويته الغربية من الشمال وكان دخل احد القومة الى خزانة ثم ومعه نار فعلقت في الاكلات واتصلت بالسقف سرعة ثم دبت في السقوف فاعجلت النار عن قطعها فما كان الا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد اجمع ووقعت بعض اساطينه وذاب رصاصها واحترق سقف الحجرة النبوية الشريفة واحترق المنبر الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عليه قال ابو شامة وعدد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من الايات وكانها كانت منذرة عما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات وقال ابو شامة في ذلك

نار من ارض الحجاز مع حرق المسجد مع تغريق دار السلام

بعد ست من المئين وخمسين ... لدى اربع جرى في العام
ثم اخذ التتار بغداد في اول ... عام من بعد ذاك وعام
لم يعن اهلها والكفر اعوا ... ن عليهم يا ضيعة الاسلام
وانقضت دولة الخلافة منها ... فصار مستعصم بغير اعتصام
فحنانا على الحجاز ومصر ... وسلاما على بلاد الشام

وفي تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال احد الزهاد قال كنت بمصر فبلغني ما وقع ببغداد من القتل الذريع فانكر ذلك بقلبي وقلت يا رب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب له فرايت في المنام رجلا وفي يده كتاب فاخذته فاذا فيه *

دَعِ الاعتراضَ فما الامرُ لك ... ولا الحكمُ في حركات الفلك
ولا تسال الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

اجرى الله تعالى عادته ان العامة اذا زاد فسادها وانتهكوا حرمات الله ولم تقم عليهم الحدود ارسل الله عليهم آية في اثر آية فان لم ينجع ذلك فيهم اتاهم بعذاب من عنده وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا وقد وقع في هذه السنين ما يشبه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة القتال وانا خائف من عقبى ذلك فاللهم سلم سلم فاول ما وقع في سنة ثلاث وثمانين حصول قحط عظيم بارض الحجاز وفي سنة خمس وثمانين لم يزد النيل القدر الذي يحصل به الري ولا ثبت المدة التي يحتاج الى ثبوته فيها فاعقب ذلك غلاء الاسعار في كل شيء وفي سنة ست وثمانين في سابع عشر المحرم زلزلت مصر زلزلة

منكرة لما دوى شديد وقع بسببها قطعة من المدرسة الصالحية على قاضي الحنفية شمس الدين بن عبد وكان من خيار عباد الله فقتلته وفي ليلة ثالث عشر رمضان من هذه السنة نزلت صاعقة من السماء على المسجد الشريف النبوي فاحرقته باسره وما فيه من خزائن وكتب واحرقت الحجرة الشريفة والمنبر والسقوف ولم يبق سوى الجدران واحترق فيه جماعة من اهل الفضل والخير وكان امرا مهولا وفي هذه السنة وقع بالغربية بَرَدٌ كبار بحيث قتل كثيرا من الطير وقيل ان وزن البردة سبعون درهما وفي سنة سبع وثمانين ورد الخبر بان صاعقة نزلت بحلب وبان الغناء وقع ببغداد وبلاد الشرق عظيما جدا حتى قيل انه عد ببغداد من تاخر من الرجال فكانوا ماتين واثنين واربعين نفسا وفي ذي الحجة وردت الاخبار بانه حصل بمكة في يوم الاربعاء رابع عشر ذي القعدة سيل عظيم بحيث دخل البيت الشريف فكان فيه قامة واخرب بيوتا كثيرة وهدم جملة من اساطين الحرم ووجد في المسجد من الغرقا سبعون انسانا * وخارج المسجد خمسمائة نفس واستمر الماء في المسجد الى يوم السبت ولم تصل الجمعة * وكتب القاضي برهان الدين بن ظهيرة الى مصر كتابا بذلك يقول فيه ان هذا السيل الرهيب مثله لا في جاهلية ولا في اسلام وانه ذرع موضع وصوله في المسجد فكان سبع اذرع وثلث ذراع وقد قلت في ذلك هذه الابيات

في عام ست اتى المدينة في	المسجد نار افنته بالحرق
وعام سبع اتى لمكتسي	المسجد سيل قد عم بالغرق
وقبلها القحط بالحجاز فشا	ومصر قد زلزلت من الغرق
واهبط النيل غير منتفع	به وضاقت معايش الفرق
فهذه جملة اتت نذرا	مستوجبات للخوف والقلق
فليحذر الناس ان يحل بهم	ما حل بالاولين من حنق

ولما اخذت التتار بغداد وقتل الخليفة وجرى ما جرى اقامت الدنيا بلا خليفة ثلاث سنين ونصف سنة وذلك من يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة ست وخمسين وهو يوم قتل الخليفة المستعصم رحمه الله الى اثنا سنة تسع وخمسمائة فلما كان في رجب من هذه السنة قدم ابو القاسم احمد بن امير المؤمنين الظاهر بامر الله وهو عم الخليفة المستعصم واخو المستنصر وقد كان معتقلا ببغداد ثم اطلق فكان مع جماعة الاعراب بالعراق ثم قصد الملك الظاهر حين بلغه ملكه فقدم عليه الديار المصرية فصحبه جماعة من امراء الاعراب عشرة منهم الامير ناصر الدين مهنا وكان دخوله الى القاهرة في ثاني رجب فخرج السلطان للقائه ومعه القاضي تاج الدين والوزير والعلماء والاعيان والشهود والمؤذنون فتلقوه وكان يوما مشهودا وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بانجيلهم ودخل من باب النصر بابهة عظيمة فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة في الايوان بقلعة الجبل والقاضي والوزير والامراء على طبقاتهم واثبت نسب الخليفة على القاضي تاج الدين فلما ثبت قام قاضي القضاة قائما واشهد على نفسه بثبوت النسبة الشريفة ثم كان اول من بايعه شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ثم السلطان الملك الظاهر

ثم القاضي تاج الدين ثم الامراء والدولة وركب فدست الخلافة بمصر والامراء بين يديه والناس حوله وشق القاهرة وكان يوما مشهودا ولقب المستنصر بالله بلقب اخيه وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة وكتبت بيعته الى الآفاق وانزل بقلعة الجبل هو وحشمه وخدمه فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب ركب في ابهة القواد وجاء الى الجامع بالقلعة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ودعا للسلطان ثم نزل فصلى بالناس وكان وقتا حسنا ويوما مشهودا ثم في يوم الاثنين رابع شعبان ركب الخليفة والسلطان والقاضي والوزراء والامراء واهل الحل والعقد الى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة فالبس الخليفة السلطان بيده خلعة سودا وعمامة سودا وطوقا في عنقه من ذهب وقيدا من ذهب في رجليه وفوض اليه الامور في البلاد الاسلامية وما سيفتحه من بلاد الكفر ولقبه بقسيم امير المؤمنين وصعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكتاب منبرا فقرأ عليه تقليد السلطان وهو من انشائه وصورته * الحمد لله الذي اخفى على الاسلام ملابس الشرف * واظهر بحجة دوله وكانت خافية بما استكن عليها من الصدف * وشيد ما وهى من علائه حتى انسى بيد ذكر من سلف * وقيض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلف * احمده على نعمه التي وقعت الاعين منها في الروض الانف * والطافه التي وقف الشاكر عليها فليس له عنها منصرف * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف امنا * وتسهل من الامور ما كان حزنا * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جبر من الدين وهنا * ورسوله الذي اظهر من المكارم فنونا لا افنا * صلى الله عليه وعلى آله الذين اضحت مناقبهم باقية لا تفنى * واصحابه الذين احسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة بالحسنى * وبعد فان اولى الاولياء بتقديم ذكره * واحقهم ان يصبح القلم راكعا وساجدا لتسطير مناقبه وبره * من سعى فاضحى سعيه للمجد متقدما * ودعى الى طاعته فلبى من كان بمجده اوثما * وما بدت يد في المكرمات الا كان لها زندا ومعصما ولا استباح بسيفه حمى وغى الا اضرم منه نارا واجرى منه دما * ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني شرفه الله واعلاه * ذكره الديوان العزيز النبوي الامامي المستنصري اعز الله سلطانه تنويها بشريف قدره * واعترافا بصنيعه الذي تنفد العبارة المنشية ولا تقوم بشكره * وكيف لا وقد اقام الدولة العباسية بعد ان اقعدتها زمانة الزمان * واذهبت ما كان لها من محاسن واحسان * وعتت دهرها المسيء لها فاعتب * وارضى عنها من وقر كان نهارا عليها صولة مغضب * فاعاد لها اسما بعد ان كان عليها حربا * وصرف اليها اهتمامه فرجع كل متضايق من امورها واسعا رحبا * ومنح امير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعطفا * واظهر من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يخفى * وابدى من الاهتمام بامر الشريعة والبيعة امرا لو رامه غيره لامتنع عليه * ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع به قبل وصوله اليه * ولكن الله ادخر هذه المنقبة ليثقل بها ميزان ثوابه * ويخفف بها يوم القيامة حسابه والسعيد من خفف من حسابه * فهذه منقبة ابى الله الا ان يخلدها في صحيفة صنعه * ومكرمة تضمنت لهذا البيت الشريف جمعه *

بعد ان حصل الايأس من جمعه * وامير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع * ويعترف انه لولا اهتمامك
لاتسع الخرق على الراقع * وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية * والديار البكرية والحجازية
واليمنية والفراتية * وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجدا * وفوض امرها جندها ورعاياها اليك حتى
اصبحت بالمكارم فردا * ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون يستثنى * ولا جهة من الجهات
تعد في الاعلى ولا في الادنى * فلاحظ امور الامة فقد أصبحت لها احاطا ملاء * وخلص نفسك من التبعات
اليوم فغدا تكون مسئولا لا سائلا * ودع الاغترار بامر الدنيا فما نال احد منها طائلا * وما رآها
احد بعين الحق الا رآها حائلا زائلا * فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة * وقدم لنفسه زاد
التقوى فقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة * وابسط يدك بالاحسان والعدل فقد امر الله بالعدل
وحث على الاحسان * وكرر ذكره في مواضع القرآن * وكفر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه واثاما * وجعل
يوما واحدا منها كعبادة العابدين عاما * وما سلك احد سبيل العدل الا واجتنيت ثماره من افنان
ورجع الامر به بعد بعد تداعي اركانه وهو مشيد الاركان * وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد
من تحصن من حوادث الزمان * وكانت ايامه في الايام ايام من الاعياد * واحسن في العيون من الغرر
في وجه الجياد * واحلى من العقود اذا حلى بها عاطل الاجياد * وهذه الاقاليم المنوطة بك تحتاج
الى نواب وحكام * واصحاب راى من اصحاب السيوف والاقلام * فاذا استعنت باحد منهم في امورك
فنقب عليه تنقيبا * واجعل عليه في تصرفاته رقيبا * واسئل عن احواله ففي يوم القيمة تكون عنه مسئولا
وبما اجترم مطلوبا * ولا تولهم الامن تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا * وامرهم بالأناة
في الامور والرفق * ومخالفة الهوى اذا ظهرت ادلة الحق * واذ يقابلوا الضعفا في حوائجهم بالبشر
الباسم والوجه الطلق * واذ لا يعاملوا احدا على الاحسان والاساءة الا بما يستحق * وان يكونوا
لمن تحت ايديهم من الرعايا اخوانا * وان يوسعوهم برا واحسانا * واذ لا يستحلوا حرماتهم اذا استحل
الزمان لهم حرمانا * فالمسلم اخو المسلم ولو كان اميرا عليه وسلطانا * والسعيد من نصح ولاته في الخير
على منواله * واستنوا بسنته في تصرفاته واحواله * وتخلوا عنه ما تعجز قوته عن حمل اثقاله * ومما
يؤمر به ان يمحى ما احدث من سيئ السنن * وجدد من المظالم التي هي من اعظم المحن * وان يشترى باطلها
المحامد فان المحامد رخيصة بأغلى ثمن * ومهما جبي بها من الاموال فانما هي باقية في الذم حاصلة * ولجياد
الخزائن واذا ضحت بها حالية فانما هي على الحقيقة منها عاطلة * وهل اشقى ممن احتقب اثما * واكتسب
بالمساعي الذميمة ذما * وجعل السواد الاعظم له يوم القيامة خصما * وتحمل ظلم الناس فيما صدر
عنه من اعماله وقد خاب من حمل ظلما * وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني
ان تكون ظلامات الانام مردودة بعدله وعزائمه تخفف ثقلا لا طاقة له بحمله * فقد اضحى على
الاحسان قادرا * وصنعت له الايام ما لم تصنعه لغيره ممن تقدم من الملوك وان جاء آخرا * فاحمد
الله على ان وصل الى جانبك امام هدى اوجب لك مزية التعظيم * ونبه الخلائق على ما فضل الله

به من هذا الفضل العظيم * وهذه امور يجب ان تلاحظ وترعى * وانا اوالي عليها حمد الله فان الحمد يجب
عليها عقلا وشرعا * وقد تبين انك صرت في الامور اصلا وصار غيرك نوعا * ومما يجب ايضا تقديم
ذكره امر الجهاد الذي اضحى على الامة فرضا * وهو العمل الذي يرجع به مسود الصحائف مبيضا * وقد
وعد الله المجاهدين بالاجر العظيم * واعد لهم عنده المقام الكريم * وخصهم بالجنة التي لا لغو فيها ولا
تاثيم * وقد تقدمت لها في الجهاد يد بيضا اسرعت في سواد الجهاد * وعرفت منك عزيمة هي امضى مما
تجنه ضمائر الاغماد واشهى الى القلوب من الاعياد * وبك صان الله حمى الاسلام من ان يبتذل * وبعزمك
حفظ على المسلمين نظام هذه الدول * وسيفك اثر في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل * وبك يرجى
ان يرجع من الخلافة ما كان عليه في الايام الاول * فايقظ لنصرة الاسلام رجفنا ما كان غافيا ولا
هاجعا * وكن في مجاهدة اعداء الله اماما متبوعا لا تابعا * وايد كلمة التوحيد فما تجد في تاييدها الا
مطيعا متابعا * ولا تخل الثغور من اهتمام بامرها تنسم لك الثغور * واحتفال يبدل ما درج من ظلمتها
بالنور * واجعل امرها على الامور مقدما * وشيد منها كل ما غادره العدو منهدما * فهذه حصون بها
يحصل الانتفاع * وهي على العدو قاعية افتراق الاجتماع * واولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا *
والعدو له ملتفتا ناظرا * لاسيما ثغور الديار المصرية فان العدو وصل اليها واتى وراح خاسرا *
واستاصلهم الله فيها حتى ما اقال منهم عاثرا * وكذلك امر الاسطول الذي يرجح خيله كالاهلة *
وركائب مسابقه بغير سابق مستقلة * وهو اخو الجيش السليماني فاذ ذاك غدت الرياح له حاملة
وهذا تكفلت بحمله الياه الشايلة * واذا لحظها جارية في البحر كانت كالاعلام * واذا شبهها قال
هذه ليالي تقلع بالايام * وقد سناك الله لك من السعادة كل مطلب * واتاك من اصالة الراي الذي يريك
المغيب * وبسط بعد القبض منك الامل * وخشط بالسعادة ما كان من كسل * وهداك الى مناهج الحق
وما زلت مهتديا اليها * والزمك للمراشد ولا تحتاج الى تنبيه عليها * والله يمدك باسباب نصره
ويوزعك بشكر نعمه فان النعمة تستتم بشكره * ثم ركب السلطان بهذه الابهة والقيد في رجليه والطوق
في عنقه والوزير بين يديه على راسه لتقليد الامراء والدولة مشاة سوى القاضي والوزير فشق القاهرة
وقد زينت له وكان يوما عظيما * ثم طلب الخليفة من السلطان ان يجهزه الى بغداد فرتب له جندا واقاما
له كل ما يحتاج اليه وعز عليه الف الف دينار وكسا وسار السلطان صحبته الى دمشق فدخلها
يوم الاثنين سابع ذي القعدة وصلى فيها الجمعة * ثم رجع السلطان الى مصر وسار الخليفة ومعه ملوك
الشرق ففتح الحديثة * ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فقصدوا فاقتتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة فلا
يدرى اقتل ام هرب وذلك في ثالث المحرم سنة ستين فكانت خلافته دون ستة اشهر وكان ممن شهد الوقعة
معه وهرب فيمن هرب ابو العباس احمد بن الامير ابي علي الحسن التجيبي بن الامير علي بن الامير ابي بكر بن امير المؤمنين
المسترشد بالله فقصد الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكاتب فيه الملك الظاهر فطلبه فقدم القاهرة
ومعه ولد وجماعة فدخلها في سابع عشري ربيع الآخر فتلقاه السلطان واظهر السرور به وانزله بقلعة

الجيل واغدق عليه واستمر بقية العام بلا مبايعة والسكة تضرب باسم المستنصر المقتول اول العام فلما كان يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين جلس السلطان مجلسا عاما وجاء ابو العباس المذكور راكبا الى الايوان الكبير وجلس مع السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه فقرئ نسبه على الناس ثم اقبل على السلطان وبايعه بإمرة المؤمنين ثم اقبل هو على السلطان وقلده الامور ثم بايعه الناس على طبقاتهم ولقب الحاكم بامر الله وكان يوما مشهودا * قيل كان من الغد يوم الجمعة خطب الخليفة بالناس فقال في خطبته الحمد لله الذي اقام لآل العباس ركنا وظهيرا * وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا * احمده على السراء والضراء * واستعينه على شكر ما اسبغ من النعماء * واستنصره على الاعداء * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء * وائمة الاقتداء الاربعة الخلفاء وعلى العباس عمه * وكاشف غمه * وعلى السادة الخلفاء الراشدين * والائمة المهديين * وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين * ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض الاسلام * والجهاد محتوم على جميع الانام * ولا يقوم علم الجهاد * الا باجتماع كلمة العباد * ولا سبيت الحرم الا بانتهاك المحارم * ولا سفكت الدماء الا باركتاب المآثم * فلو شاهدتم اهل الاسلام * حين دخلوا دار السلام واستباحوا الدماء والاموال * وقتلوا الرجال والاطفال * وهتكوا حرم الخلافة والحريم * واذاقوا من استبقوا العذاب الاليم * فارتفعت الاصوات بالبكاء والعويل * وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل * فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه * وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه * فشمروا ساق الاجتهاد * في احياء فرض الجهاد * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فلم تبق معذرة في القعود عن اعداء الدين * والمحاماة عن المسلمين * وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الاجل العالم العادل المجاهد والمؤيد كهف الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار * وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار * فاصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود * والدولة العباسية به متكاثرة الجنود * فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة واخلصوا نياتكم تنصروا * وقاتلوا اولياء الشيطان تظفروا * ولا يردعنكم ما يجري في الحرب من النكال والمعاقبة للمتقين * والدهر يومان والآخرة للمؤمنين * جمع الله على التقوى امركم * واعز بالايمان نصركم * واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم * ثم خطب الثانية ونزل فصلى بالناس وكتب بيعته الى الآفاق ليخطب له وتكتب السكة باسمه قال ابو شامة فخطب له بجامع دمشق وبسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم قال ابن فضل الله ونقش اسمه على السكة وضرب بها الدينار والدرهم قال ثم خاف الظاهر عاقبة امره فامسكه عنده في القلعة وعند حريمه وخدمه وعلمانه موسعا عليه في النفقات والكساوى يترددا اليه العلماء والقراء على اكمل ما يكون من انواع الاكرام وملاحظة جانب الاجلال والمهابة ممنوعا من اجتماع احد من اهل الدولة ثم اسقط اسمه من سكة النقود وابقاه على المنابر ثم لاحظه الملك الاشرف خليل بن قلاوون

اتم من تلك الملاحظة ورعى لودنعه الخلافة فيه حقها من جميل المحافظة انتهى قال غيره وقد خطب بالقلعة مرة ثانية يوم الجمعة رابع شوال سنة تسعين بسؤال الملك الاشرف له فى ذلك * وذكر فى خطبة توليته السلطنة للاشرف ثم خطب مرة ثالثة بالمنصورية بحضرة السلطان والقضاة وحض على غزو التتار واستنقاذ بلاد العراق من ايديهم وذلك فى المحرم سنة تسعين ثم خطب مرة رابعة فى التاسع والعشرين من ربيع الاول سنة احدى وتسعين وحث على الجهاد والنفير وصلى بالناس الجمعة وجهر بالبسملة قال الذهبى فى العبر آخر خليفة خطب يوم الجمعة الراضى بالله ولم يخطب بعده خليفة الى الحاكم العباسى هذا فانه خطب فى خلافته انتهى * قال ابن فضل الله ثم لما ملك المنصور لاجين زاد فى اكرامه وصرفه فى الركوب والنزول فبرز الى قصر الكبش وسكن به ثم انه حج فى سنة سبع وتسعين فاعطاه المنصور لاجين سبعمائة الف درهم ورجع من الحج فاقام بمنزله الى ان مات ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة ودفن بجوار السيدة نفيسة فى قبة بنيت له وهو اول خليفة مات بها من بنى العباس * وارسل نائب السلطنة الامير سلار خلف كل من فى البلد من الامراء والقضاة والعلماء والصوفية ومشايخ الزوايا والربط وغيرهم حتى حضروا الصلاة عليه وولى الخلافة بعده بعهد منه ولده ابو الربيع سليمان ولقب المستكفى بالله وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية وسارت البشارة بذلك الى جميع الاقطار والممالك الاسلامية قال ابن كثير وقدم البريد من القاهرة سادس جمادى الآخرة فاخبر بوفاة امير المؤمنين الحاكم ومبايعة المستكفى وانه حضر جنازته الناس كلهم مشاة فخطب يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة للخليفة المستكفى بجامع دمشق وكتب له تقليد بالخلافة وقرئ بحضرة السلطان والدولة يوم الاحد العشرين من ذى الحجة ولم يكن السلطان امضى له عهد والده حتى سال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وهو قاضى القضاة يومئذ هل يصلى للخليفة ام لا فقال الشيخ تقى الدين نعم يصلى وانما احتيج الى ذلك لانه كان صغير السن لم يبلغ عشرين سنة فان مولده فى اربع وثمانين وستمائة وكان له اخ اسن منه فكان ينازعه الامر فلما اشار الشيخ باستخلافه امضى عهد والده وهذه صورة العهد * الحمد لله الذى رفع المستكفى به لما انتصب بشريف همته للحل الاسما * ومنح الامة به ربيع خفض العيش وجزم امرهم على الصلاح والتوفيق جزما * وادام الائمة من قريش ونظم لآل حكم احكامهم فى جيد الزمان نظما * وجعل الناس تيما لهم فى هذا الامر فغيرهم بالخلافة للعظمة لا يدعى ولا يسمى * فالحاكم المحسن المسترشد المستظهر بذخيرة الدين القائم بامر الله القادر المقتدر المعتضد الموفق المتوكل المعتصم الرشيد المهدى الكامل من اقتفى لسنن سنتهم رسما * استودع الخلافة فى بنى العباس الذى كان لنبيه الكريم عما * وفرج عنه ليلة العقبة بمبايعة الانصار كربة وغما * فبشره بان الخلافة فى عقبه فعمه بالسرور عما * فلما انتهى ذلك السر فى العوالم الى الحاكم قيل وقد انكست هيبة الخلافة عن معرفة حقوقها العظيم من كل عظيم فما * فقهناها سليمان وكلا آتيناه حكما وعلما * احمده حمد من لم يثن عزم طاعته وطاعة رسوله واولى الامر عزما *

وموروثها من يشاء من خلقه اختيارا وورثا * واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي دعا الى المودة اولى القربى
ومن افضل من قرابته زكاة واقرب رحما * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وخلفائه وعترته الذين هم
اعدل البرية حكما * وبعد فان للملك السلام * منذ اسجد لآدم ملائكته الكرام * في سالف الزمان
قدما * جعل طاعة خلفائه في بلاده على سائر عباده حتما * كيف لا وبهم يعمر الوجود * وتقام الحدود وتهدم
اركان الجحود هدما * فحيا بهم قاصي البلاد ودانيها صادف قرب وفاتهم ان لبس القمر لبلة التم حلة السواد
واخفى جرما * ولما كان سنة من تقدم من الائمة الخلفاء اذا خاف ان يهجم عليه الحمام بغتة * او تهدد اليه
الايام المواسقا * تفويض الامر بولاية العهد على الخلق لخير ذويه وبنيه بخدة * وحزما * اشهد على نفسه
الشريفة مولانا الامام الحاكم الحاكم عليه تقواه * للمراقب الله في سره ونجواه * الحاكم بامر الله امير المؤمنين
خليفة رب العالمين * ابن عم سيد المرسلين * وارث الخلفاء الراشدين * ابو العباس احمد بن الامير الحسن
ابن الامير ابي بكر بن الامير علي التقي بن امير المؤمنين الراشد بالله بن امير المؤمنين المسترشد بالله ابي
منصور الفضل بن امير المؤمنين المستظهر بالله ابي العباس احمد بن امير المؤمنين ابي القاسم عبد الله
ابن المرحوم الذخيرة للدين ولي عهد المسلمين محمد بن الامام القائم بامر الله ابي عبد الله محمد بن القادر بالله
ابي العباس احمد بن امير المؤمنين ابي الفضل جعفر المقتدر بالله بن امير المؤمنين المعتضد بالله ابي العباس بن
الامير محمد الموفق بالله ابي احمد ولي عهد المسلمين بن امير المؤمنين جعفر المتوكل بن امير المؤمنين ابي اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد
ابن امير المؤمنين محمد المهدي بن امير المؤمنين عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن علي السجاد بن عبد الله حبر الامة بن العباس بن عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وسلم اعز الله به الدين * وامتع ببقاء نسله الشريف الاسلام والمسلمين * وهو
في حالة يسوغ معها الشهادة عليه * ويرجع في الامور المنوطة بالخلافة الشريفة اليه * انه عهد الى
ولده لصلبه الامام المستكفي بالله ابي الربيع سليمان شيد الله به اركان الايمان * ونصر ببركة
سلفه العصابة المحمدية على اهل الكفر والطغيان * وجعله ولي عهده * واستخلفه من بعده لما علمه من
اهليته وعدالته * وكفالته وصلاحه لذلك وكفايته * وشخصه لشهود هذا المكتوب الشريف
ونبه على استحقاقه لذلك ومحله العالي المنيف عهدا صحيحا شرعيا * معتبرا تاما مرعيا * وفوض
اليه امر الخلافة المعظمة تفويضا شرعيا صريحا * وعقد له عقد ولاية العهد على الامة عقدا صحيحا
وقبل ذلك منه القبول الشرعي المعتبر المرضي فالله تعالى يجمع به كلمة الاسلام ويصحبه في خلافته
الشريفة رايا موفقا * ويقمع ببركة سلفه الكرام اهل الطغيان ويهيئ له من امره مرفقا * بمنه وكرمه
آمين * والحمد لله رب العالمين * وصلواته على سيد المرسلين * نبيه وآله وصحبه اجمعين * وبه شهد
في اليوم المبارك السابع عشر من جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة احسن الله العقبى في ختامها *
واجرى الخيرات فيما بقي من شهورها وايامها * وشهد عليه بذلك اربعة شهود ورسموا خطوطهم
تحت تسمية العهد بما نصه اشهدني مولانا الامام * جامع كلمة الايمان * ناظم شمل الاسلام *
سيد الخلفاء الاعلام * امام المسلمين * والمناضل عن شريعة سيد المرسلين * الحاكم بامر الله امير

المؤمنين * اعز الله به الدين * وامتع ببقائه الاسلام والمسلمين على نفسه الزكية الشريفة وهو على الحالة
التي تسوغ معها عمل الشهادة عليه بما نسب اليه اعلاه وشخص لي مولانا وسيدنا الامام المستكفي بالله
امير المؤمنين في التاريخ المذكور فيه وثبت هذا العهد على قاضي القضاة شمس الدين الحنفي وكتب صورة
الاسجال بما نصه ثبت اشهاد مولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين سليل الائمة المهديين بركة
الاسلام والمسلمين المنتظم به عقد جواهر زواهر احكام الدين ابن عم سيد المرسلين ابي العباس احمد الراقي
بهمة شرفه اعالي الدرجات المنقول برحمة الله ومنه وحسن سيرته الى روضات الجنات المشار اليه باعاليه
قرن الله بمن خلفه خلفه تاييدا وتسديدا وتوفيقا وقرب له الى مشاهدة ابن عمه والخلفاء الراشدين
في دار كرامته طريقا * مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا * واشهاد ولده لصلبه ولي عهده المختار للخلافة الشريفة المعظمة من بعده مولانا
الامام المستكفي بالله ابي الربيع سليمان * ثبت الله به اركان الايمان * وسلك به مسالك الخلفاء الراشدين
وابائه الطاهرين التابعين لهم باحسان * وبارك للامة المحمدية فيه ونصرهم ببركة سلفه على اهل الطغيان
على انفسهما الشريفة المكرمة الطاهرة الزاكية المعظمة بجميع ما نسب اليهما في كتاب العهد الشريف
المسطر باعاليه على ما نص وشرح فيه المؤرخ بالسابع عشر من جمادى الاولى سنة تاريخ هذا الاسجال
ثبوتا صحيحا شرعيا معتبرا قاما مرعيا عند سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى الكريم الحامد فيض
فضله العميم قاضي القضاة حاكم الحكام مفتي الانام حجة الاسلام عمدة العلماء الاعلام شمس الدين
خالصة امير المؤمنين ابي العباس احمد بن الشيخ الصالح الورع الزاهد برهان الدين ابي اسحاق ابراهيم بن عبد
الغني الحنفي عامله الله بلطفه الخفي * الناظر في الحكم بالقاهرة ومصر المحروستين وسائر اعمال الديار المصرية
بالتولية الصحيحة الشرعية ادام الله ايامه الزاهرة * وجمع له بين خيري الدنيا والاخرة * وذلك بثبوت
الشهود المعلم لهم بالاداء اعلاه بعد ان اقام كل واحد منهم شهادته بذلك بشروط الاداء المعتبرة وذلك
انه شهد على مولانا الامام الحاكم بامر الله المشار اليه تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه فسيح الجنان
وهو على الحالة التي تسوغ معها الشهادة عليه احسن الله في آخرته اليه فقبل ذلك منه واعلم له ما جرت
به العادة من علامة الاداء والقبول على الرسم المعهود في مثله وحكم مولانا قاضي القضاة شمس الدين
الحاكم المذكور وقاه الله كل محذور وبذلك كله الحكم الشرعي المعتبر المرعي واجاز ذلك وامضاه * واختاره
وارتضاه * والزم ما اقتضاه مقتضاه * بسؤال من جازت مسئلته * وشوفعت في الشريعة المطهرة
اجابته * وذلك بعد استيفاء الشرائط الشرعية والقواعد المحررة المرعية * وتقدم الدعوى المعتبرة
المرضية * وتقدم هذا الحاكم وفقه الله لمراضيه * واعانه على ما هو متوليه بكتابة هذا الاسجال *
فكتب عن اذنه الكريم على هذا المنوال * بعد قراءته وقراءة ما يحتاج الى قراءته من كتابة العهد الشريف
المسطر اعلاه على شهود هذا الاسجال وهو وهم سيتمونه لذلك في اليوم المبارك من العشر الاخير من جمادى
الاولى سنة احدى وسبعمائة احسن الله تقضيها في خير وعافية وبايعه السلطان والقضاة

والاعيان والبس جبة سوداء وطرحة سوداء وخلع على اولاد أخيه خلع الامراء واشهد عليه انه ولى الملك
الناصر جميع ما ولاه والده وفوضه اليه ثم نزل الى داره بالكبش ونقش اسمه على سكة الدينار والدرهم
ثم رسم السلطان فى جمادى الآخرة بان ينتقل الخليفة واولاده وجميع من يلوذ به الى القلعة اكراما لهم
فنزلوا فى دار بن واجرى عليهم الروايب الكثيرة واستمر هو وهو والسلطان كالاخوين يلعبان بالاكر
ويخرجان الى المتنزهات وساروا معا الى غزوة التتار ونوبة غازيان حتى وشى الواشى بينهما فتغير خاطر
الناصر منه وذلك فى سنة ست وثلاثين فامره ان ينتقل من القلعة الى مناظر الكبش حيث كان ابوه
ساكنا ثم امره ان يخرج الى قوص فيقيم بها وذلك فى ثامن عشر ذى الحجة سنة سبع وثلاثين فخرج اليها
هو واولاده واهله وهم قريب من مائة نفس ورتب له على واصل المكارم اكثر مما كان له بمصر وتوجع
الناس لذلك كثيرا قال الحافظ ابن حجر وكان بطول مدته يخطب له على المنابر حتى فى مدة اقامته بقوص
واستمر بها الى ان مات فى شعبان سنة اربعين وسبعمائة ودفن بها وقد عهد بالخلافة الى ابنه احمد واشهد
عليه اربعين عدلا واثبت ذلك على قاضى قوص فلما بلغ الناصر ذلك لم يلتفت الى ذلك العهد وطلب ابن
اخى المستكفى ابراهيم بن ولى العهد المستمسك بالله ابى عبد الله محمد بن الحاكم بامر الله ابى العباس احمد وكان
جده الحاكم عهد الى ابنه محمد ولقبه المستمسك بالله فمات فى حياته فعهد الى ابنه ابراهيم هذا ظنا انه
يصلح للخلافة فرآه غير صالح لما هو فيه من الانهماك فى اللعب ومعاشرة الاراذل فنزل عنه وعهد الى ولد
صلبه المستكفى وهو عم ابراهيم وكان ابراهيم قد نازعه لما مات الحاكم فلم يلتفت الى منازعته اعتمادا
على قول الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فاقام على ضغينته حتى كان هو السبب فى الوقيعة بين عمه وبين
الناصر وجرى ما جرى فلم يمض الناصر عهد المستكفى لولده وبايع ابراهيم هذا فى يوم الاثنين ثالث
رمضان ولقب الواثق بالله وراجم الناس السلطان فى امره ورسموه بسوء السيرة خصوصا
قاضى القضاة عز الدين بن جماعة فانه جهد كل الجهد فى صرف السلطان عنه فلم يفعل وما زالوا بهم حتى بايعوه
ثم ان الله فجع الناصر بموت أعز أولاده الامير انوك فكان ذلك اول عقوباته ولم يتمتع بالملك بعد
وفاة المستكفى فاقام بعده سنة واياما واهلكه الله وقد قيل ان وفاة المستكفى كانت سنة احدى
واربعين فعلى هذا لم يتم الحول على الناصر حتى مات بعد ثلاثة اشهر سنة الله فيمن مس احدا من الخلفاء
بسوء فان الله يقصمه عاجلا ومما يدخره له فى الآخرة من العذاب اشد ثم ان الله انتقم من الناصر
فى اولاده فسلط عليهم الخلع والحبس والتشريد فى البلاد والقتل فجميع من تولى الملك من ذريته اما ان
يخلع عاجلا واما ان يقتل فاول ولد تولى بعده عوجل بخلعه ونفيه الى قوص حيث كان سير الخليفة ثم
قتل بها وغالب من تولى من ذريته لم تطل مدته كما سياتى وقد اقام الناصر فى السلطنة بعد نفيه
واربعين سنة وتولى من ذريته اثنا عشر نفرا لم يتموا هذه المدة بل عجلوا واحدا فى اثر واحد فاشبههم
الاملوك الفرس حيث قال الكاهن لكسرى لما سقطت من ايوانه اربع عشرة شرافة ليلة ولد النبى صلى
الله عليه وسلم يملك منكم اربعة عشر ملكا ثم يذهب الملك منكم فقال كسرى الى ان يمضى اربعة عشر

ملكا

ملكا يكون امورا وامورا فانقرضوا في اقصر مدة وكان آخرهم فيما ذكر من عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم ان الله
نزع الملك من ولد قلاوون وأعطاه بعض مماليكهم ولم يعد اليهم الى وقتنا هذا وبعض ذريته احيا الى الآن
في اسوء حال دينا ودنيا ومن تامل بدائع صنع الله رأى العجب العجاب ولكن اكثر الناس لا يعلمون وانما
يتذكر اولوا الالباب ولما حضر الناصر الوفاة ندم على ما فعل من مبايعة ابراهيم فاوصى الامراء برد
العهد الى ولد عهد المستكفي فلما تسلطن ولده ابوبكر المنصور عقد مجلسا يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة
وطلب الواثق ابراهيم وولى العهد احمد بن المستكفي والقضاة وقال بن يستحق الخلافة شرعا فقال ابن جماعة
ان الخليفة المستكفي المتوفى بمدينة قوص اوصى بالخلافة من بعده لولده احمد واشهد عليه اربعين عدلا
بمدينة قوص وثبت ذلك عندي بعد ثبوته على نائبي بمدينة قوص فخلع السلطان الواثق حينئذ وبايع
احمد وبايعه القضاة قال الحافظ ابن حجر ولقب اولا المستنصر ثم لقب الحاكم بامر الله لقب جده
وكتب له ابن فضل الله صورة المبايعة وهي هذه بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله الى قوله عظيما * هذه بيعة رضوان * وبيعة احسان * وبيعة رضى يشهدها البهائم ويشهد
عليها الرحمن * بيعة يلزم طائرها العنق * ويحوم سائرها وكل ابنائها البرارى والبحار مشحونة الطرق
بيعة يصلح الله بها الائمة * ويمنح بسببها النعمة * ويجارى الرفاق * ويسرى الهنا في الافاق * ويتزاحم
زهر الكواكب على حوض المجرة الدفاق * بيعة سعيدة ميمونة * بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة *
بيعة صحيحة شرعية * بيعة ملحوظة مرعية * تسابق اليها كل نية * وتطاوع كل طوية * ويجمع عليها
شتات البرية * بيعة يستهل بها العام * ويتهلل البدر التمام بيعة متفق على الاجماع عليها * والاجماع
يبسط الايدى اليها * انعقد عليها الاجماع * فاعتقد صحتها من سمع الله واطاع * وبذل في تمامها
كل امرء ما استطاع * حصل عليها اتفاق الابصار والاسماع * ووصل بها الحق الى مستحقه واقر
الخصم وانقطع النزاع * تضمنها كتاب مرقوم يشهده المقربون * وتلقاه الائمة الاقربون * الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس * واليه نحمد
الله والى بني العباس * اجمع على هذه البيعة ارباب العقد والحل * من اصحاب الكلام فيما قل وجل *
وولاة الامور والحكام * وارباب المناصب والاحكام * وحملة العلم والاعلام * وحماة السيوف
والاقلام * واكابر بني عبد مناف * ومن انخفض قدره واناف * وسرات قريش ووجوه بني هاشم
والبقية الطاهرة من بني العباس * وخاصة الائمة وعامة الناس * بيعة ترى الملوين خيامها *
ويخفق بالمآزمين اعلامها * ويتقرفع عرفات بركاتها * وتعرف بمنى ويؤمن عليها يوم الحج الاكبر *
ويوم ما بين الركن والمقام والمنبر * ولا يبتغى بها الا وجه الله الكريم * بيعة لا يحل عقدها * ولا
ينبذ عهدها * لازمة جازمة * دائبة دائمة * تامة عامة * شاملة كاملة * صحيحة صريحة * متعينة
مرجحة * لا من يوصف بجهل ولا قضا * ولا من يرجع اليه في اتفاق ولا امضا * ولا امام مسجد ولا
خطيب * ولا ذي فتوى يسأل فيجيب * ولا من حمى المساجد ولا من ضمهم اجمة المحاريب *

ولا من يجهد قداحي فيخطئ او يصيب * ولا يجاري بحر بث * ولا متكلم في قديم وحديث * ولا معروف بدين ولا صلاح ولا فرسان حرب وكفاح * ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح * ولا ضارب بصفاح ولا سباع بعدم ولا طائر بجناح * ولا مخالط الناس ولا قاعد في عزلة * ولا جمع بكثير ولا قلة * ولا من يستقل بالجوز الواوة * ولا من يقل فوق الفرقدين واوه * ولا باد ولا حاضر * ولا مقيم ولا سائر * ولا اول ولا آخر * ولا مستتر في باطن ولا معلن في ظاهر * ولا عرب ولا عجم * ولا راعي ابل ولا غنم * ولا صاحب اناة ولا بداد * ولا ساكن في حضر وبادية بداد * ولا صاحب عهد ولا جداد * ولا يلج في البحار الزاخرة والبراري القفار * ولا من تعوقل صهوات الخيل * ولا من يسبل على البحاجة الذيل * ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل * ولا من تظله السماء وتقله الارض * ولا من تدل عليه الاسماء على اختلافها وترفع درجات بعضهم على بعض * حتى آمن بهذه البيعة وامن عليها * وآمن بها ومن الله عليه وهداه اليها * وأقر بها وصدق * وخفض لها بصره خاشعا واطرق * ومد اليها يده بالمبايعة * ومعتقده بالمتابعة * ورضي بها وارتضاها * واجاز حكمها على نفسه وامضاها * ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها * وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وانه لما استأثر الله بعبده سليمان ابي الربيع الامام المستكفي بالله امير المؤمنين كرم الله مثواه وعوضه عن دار السلام بدار السلام * ونقله من شك به عن شهادة الاسلام بشهادة الاسلام * حيث اثره بقربه ومهد لجنبه * واقره على ما قدمه من حسن عمله وكسبه * وحازله في جواره فريقا * وانزله مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا * الله اكبر ليومه لولا مخلفه كانت تضيق الارض بما رحبت * وتجزى كل نفس بما كسبت * وتتبا كل سريرة ما ادخرت وتاجت * لقد اضطرم سعرا لانه في الجوانح * لقد اضطرب منبر وسرير لولا خلفه الصالح لقد اضطرب مامور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة الصالح * ولم يكن في النسب العباسي ولا في البيت المسترشدي ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا ابائهم وجدود * ولا من تلده اخرى الليالي وهمها قرعير ولود * من تسلم اليه امة محمد عقد نياتها وسرطوياتها الا واحد * واين ذا الا الواحد * هو والله من تحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الاطهار * وتراث اجداده ولا شيء هو الا ما اشتملت عليه رداء الليل والنهار وهو ولد المنتقل الى رتبه * وولد الامام الذاهب لصلبه * المجمع على انه في الايام فرد الانام * وواحد وهكذا في الوجود الامام * وانه ليجاز لما ازرت عليه جيوب المشارق والمغارب * والفائز بملك ما بين المشارق والمغارب * الراعي في صفيح السماء هذه الدرة المنيفة * الراقي بعد الائمة الماضين ونعم الخليفة * المجتمع فيه شروط الامامة * المتضح لله وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم الى يوم القيامة * الذي يفضح السحاب نائله * والذي لا يقره عاذره ولا يغيره عاذله * والذي ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان ذو زمان الا قال ناصره وقام قائمه * ولا قعد على سرير الخلافة الا عرف انه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه * نائب الله في ارضه والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه * وتابع عمله الصالح ووارث علمه * سيدنا ومولانا عبد الله وليه * ابو العباس الامام الحاكم بامر الله امير

المؤمنين * ايد الله ببقائه الدين * وطوق سيفه رقاب الملحدين * وكبت تحت لوائه المعتدين * وكتب له النصر الى يوم الدين * وكبت بجهاده على الاذقان طوائف المفسدين * واعاذ به الارض ممن لا يدين بدين واعاد بعدله ايام ابائه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين * الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون * وعلى كانوا يعملون * ونصر انصاره * وقدر اقتداره * واسكن في القلوب سكينته ووقاره * ومكن له في الوجود وجمع له اقطاره * ولما انتقل الى الله ذلك السيد ولقي اسلافه * ونقل الى سرير الجنة عن سرير الخلافة * وخلا العصر من املاء يمسك ما بقي من نهاره * وخليفة يغالب مريد الليل بانواره * ووارث نبي عز مثله ومثل ابائه استغنى بعد ابن عمه خاتم الانبياء عن نبي يقفي اثاره * ومضى ولم يعهد فلم يبق اذ لم يوجد النص الا الاجماع * وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نزاع * اقتضت المصلحة الجامعة عقد بمجلس كل طرف منه معقود * وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود * وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * فحضر من لم يبايعه بعده بمن تخلف * ولم يبايعه وقد مد يده طايعا لمريدها وقد تكلف * واجمعوا على راى واحد استخار والله فيه فخار * واخذ يمين تمد لها الايمان * ويشتبها الايمان * ويعطى عليها المواثيق * وتعرض امانتها على كل فريق * حتى تقلد كل من حضر في عنقه هذه الامانة * وحط على المصحف الكريم يده وحلف بالله وأتم ايمانه * ولم يقطع ولا استثنى ولا تردد * ومن قطع عن غير قصد اعاد وجدد * وقد نوى كل من حلف ان النية في يمينه نية من عقدت له * هذه البيعة ونية من حلف له * وتذمم بالوفاء له في ذمته وتكفله على عادة ايمان البيعة وشروطها واحكامها المردة واقسامها المؤكدة * بان يبذل لهذا الامام المفترض الطاعة الطاعة * ولا يفارق الجمهور ولا يظهر عن الجماعة الجماعة * وغير ذلك مما تضمنته نسخ الايمان المكتتب فيها اسم من حلف عليها * مما هو مكتوب بخطوط من يكتب منهم * وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتبوا واذنوا ان يكتب عنهم * حسبما يشهد به بعضهم على بعض * وتتصادق عليه اهل السماء والارض * بيعة تم بمشيئة الله تمامها * وعلم بالصواب المغدق غمامها * وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن * ووهب لنا الحسن * ثم الحمد لله الكافي عبده * الوافي لمن تضاعف على كل موهبه حمده * ثم الحمد لله على نعمه برعية امير المؤمنين فواز ديادها ويرهب الاوان يقاتل اعداء الله بامدادها * ويراب بها من اثر في بر ما لكه ما بان من عبانيه امدادها * فلله على نحمده والحمد لله ثم الحمد لله كلمة لا يمل من ترديدها * ولا تخل بما ابتعث السهام من سدادها * ولا تبطل الا على ما يوجب تكثير اعدادها * وتكبيرا قد اراح اهل الوداد ها * وتصغير التحقير لا التخييب لاتلادها * ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تتعايس بدماء الشهداء وامداد امدادها * وتتنافس طور الشباب وغرر الشباب على استمدادها * وتتجانس رقومها المدبجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها * والليالي من مزدانها والاعداء من حدادها * صلى الله عليه وعلى جماعة اهله ومن سلف من ابنائها وسلف من اجدادها * ورضي الله عن الصحابة اجمعين * والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وبعد فان امير المؤمنين لما البسه الله من ميراث النبوة ما كان يجده * ووهب من الملك

السليمانى ما لا ينبغى لاحد من بعده * وعلمه منطق الطير مما يحق خاتم النطائق من بدائع البيان * وسخر له من البر
على متون الخيل ما سخره من الريح لسليمان * واتاه من خاتم الانبيا ما امتد به ابوه سليمان وتصرف *
واعطاه من الفخار به ما اعلاه عن كل مخلوق ولم يتخلف * وجعل له من لباس العباس ما يقضى سواده
بسؤدد الاجداد * وينقض على ظل الهرب ما افضل من سويداء القلب وسواد البصر من السواد * ويمد
ظله على الارض وكل مكان دار ملك وكل مدينة بغداد وهو فى ليلة السبعاد * وفى نهاره العسكرى
وفى كرمه جعفر وهو الجواد * نديم الابتهال الى الله فى توفيقه * والابتهاج بما يغص كل عدو بريقه *
ويبدأ يوم المبايعة بما هو الاهم من مصالح الاسلام * وصالح الاعمال فيما يجلى به الابهام * ويقدم التقوى
امامه * ويقرر عليها احكامه * ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس * ومن لا يحمل امره
طائعا على العين يحمله غصبا على الراس * ويعجل امير المؤمنين بما استقر به النفوس * ويرد به كيد الشيـ
ـطان يؤوس * ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غنى عن هذا ولكنه يسوس * وامير المؤمنين يشهد الله وخلقه
عليه انه قرر فى كل امر من ولاة امور الاسلام على حاله * واستمر به فى مقيله تحت كنف ظلاله * على
اختلاف طبقات ولاة الامور * وطرقات الممالك والثغور * برا وبحرا * سهلا ووعرا * شرقا وغربا *
بعدا وقربا * وكل جليل وحقير * وقليل وكثير * وصغير وكبير * ومملك ومملك وامير * وجندى يرى له
سيف شهير ورمح ظهير * ومع من هؤلاء من وزرا وقضاة وكتاب * ومن له تدقيق فى انشاء
وتحقيق فى حساب * ومن يتحدث فى بريد وخراج * ومن يحتاج اليه ومن لا يحتاج * ومن فى التدريس
والمدارس والربط والزوايا والخوانق * ومن له اعظم التعلقات وادنى العلائق * وسائر ارباب
المراتب * واصحاب الرواتب * ومن له من الله رزق مقسوم * وحق معلوم او معلوم * استمرارا لكل امرئ
على ما هو عليه * حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه * فمن ازداد تاهيله * زاد تفضيله * والا فالله
لا يريد الا وجه الله * ولا يحابى احدا فى دين الله * ولا يجابى حقا فى حق فان المحاباة فى الحق مداجاة
على المسلمين وحكما هو مستمر الى الآن * مستقر على حكم الله فيما فهمه الله له فهمه سليمان * لا يغير امير
المؤمنين فى ذلك ولا فى بعضه مغيرا شكرا لله على نعمه وهكذا يجازى من شكر * ولا يكدر على احد موردا
نزه الله نعمه الصافية عن الكدر * ولا يتاول فى ذلك متاول الا من جحد النعمة او كفر * ولا يتعلل متعلل
فان امير المؤمنين يعوذ بالله ويعيذ ايامه من الغير * وآمر المؤمنين اعلاه الله امره الزيعلن الخطبا
بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر فى الآفاق * وان يضرب باسمهما النقود ويسير بالاطلاق *
ويرشح بالدعا لهما عطف الليل والنهار * ويصرح منه بما يشرق وجه الدرهم والدينار * وقد اسمع
امير المؤمنين فى هذا الجمع المشهود ما يستاقله كل خطيب * ويتداوله كل بعيد وقريب * ومختصره ان
الله امر باوامر ونهى عن نواه وهو رقيب * وستفرغ لها الاولياء السجايا * ويقرع الخطبا لها شعوب
الوصايا * وتتصل بها المزايا * ويخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا هو تستمر به السمار ويرنم الحادى
والملاح * ويرقى سحرها فى الليل القمر ويرقى على جبين الصباح * ويعظها مكة بطحاها ويجى نجدها

فتاه * ويلقنها كل اب فهمه ابنه ويسأل كل ابن نجيب اباه * وهو لكم ايها الناس من امير المؤمنين من سد عليكم
بينه واليكم ما دعاكم به الى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ولامير المؤمنين عليكم الطاعة ولولا
قيام الرعايا ما قبل الله اعمالها * ولا امسك بها البحور ودحى الارض وارسى جبالها * ولا انفقت الارزاق
على من يستحق وجاءت اليه الخلائق تجر أذيالها * واخذها دون بني ابيه ولم تكن تصلح الا له * ولم يك
يصلح الا لها وقد كفاكم امير المؤمنين السؤال بما فتح لكم من ابواب الارزاق * واسباب الارتزاق *
واجرى لكم على وفاقكم وعلمكم مكارم الاخلاق * واجراكم على عوائدكم ولم يمسك خشية الانفاق *
ولم يبق لكم على امير المؤمنين الا ان يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم * ويعمل بما
يبعث به من يحج اطال الله بقاء امير المؤمنين من بعده ويزيد على من تقدم * ويقيم فروض الحج والجهاد *
ويقيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد * وامير المؤمنين يقيم على عادة آبائه موسم الحج في كل عام * ويشمل
برء سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام * ويجهز السبيل على حالته ويرجو اذ يعود على حاله
الاول في سالف الايام * ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل الى ثالثهما في البيت المقدس ساكب
الغمام * ويقيم معونة قبور الانبياء صلى الله عليهم وسلم اينما كانوا واكرمهم في الشام * وبالحج والجمعات
هي فيكم على قديم سنتها * وقويم سنتها * وستزيد في ايام امير المؤمنين لمن يضم اليه * وفيما يتسلم من
بلاد الكفر ويسلم منهم على يديه * واما الجهاد فكفى باجتهاد القائم عن امير المؤمنين بامور ه *
المقلد عنه جميع ما وراء سريره * وامير المؤمنين قد وكل منه خلد الله ملكه وسلطانه عينا لا تنام *
وقلما سيفا لو اغفت بوارقه ليلة واحدة عن الاعداء سلت خياله عليهم الاحلام * وسيؤكد امير المؤمنين
في ارتجاع ما غلب عليه المصري وقد قدم الوصية بان يوالي الغزو العدو والتحذول برا وبحرا * ولا يكف
عمن ظفر به منهم قتلا ولا اسرا * ولا يفك اغلالا ولا اصرا * ولا يفك يرسل عليهم من البر من الخيل
عقبانا * وفي البحر غربانا * يحل كل منهما من كل فارس صقرا * ويحمي الممالك ممن يخرق اطرافها باقدام *
ويحول اكنافها باقدام * وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور وما يحتاج اليه من آلات
القتال وامهات للممالك التي هي مرابط البنود * ومرابض الاسود والامراء والعساكر والجنود *
وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح الممدود * ويتفقد احوالهم بالعرض * بما لهم من خيل العقد
ما بين السماء والارض * وما لهم من زرد وموضون * وبيض منها ذائب ذهب فكانت كانها بيض مكنون *
وسيوف قواضب ورماح وانها من الدما خواضب * وسهام تواصل القسي وتقارفها فتحن حنين مفارق
ويزمجر القوس زمجرة مغاضب * وهذه جملة اراد بها امير المؤمنين اطابة قلوبكم * واطالة ذيل
التطويل على مطلوبكم * ودماؤكم واموالكم واعراضكم في حماية الامام اباح الشرع للطمع * ويزيد
الاحسان اليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر * واما جزئيات الامور فقد علمتم بان من بعد عن امير
المؤمنين نحى عن مثل هذه الذكرى وانتم على تفاوت مقاديركم وديعة امير المؤمنين * وكلكم سواء
في الحق عند امير المؤمنين * وفيه عليكم اداء النصيحة * وابدا الطاعة بسريرة صحيحة * فقد دخل كل

منكم فى كنف امير المؤمنين وتحت رقه* ولزمه حكم بيعته والزم طائره فى عنقه* ويستعمل كل منكم فى الوفاء
بما اصبح به عليما* ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما* هذا قول امير المؤمنين وقال وهو
يعمل فى ذلك كله بما تحمل عاتقه من الاعمال* وعلى هذا عهد اليه وبه يعهد* وما سوى ذلك فجور لا يشهد*
به عليه ولا يشهد* وامير المؤمنين يستغفر الله على كل حال* ويستعيذ به من الاعمال* ويساله ان يعمده
لما يحب من الاعمال* ولا يعدله حبل الاعمال* ويختم امير المؤمنين قوله بما امر الله به من العدل والاحسان
والحمد لله وهو من الخلق احمد وقد اتاه الله ملك سليمان* والله يمتع امير المؤمنين بما وهبه* ويملكه
اقطار الارض ويورثه بعد العمر الطويل عقبه* فلا يزال الخلافة العليا قعوده* ولدست الخلافة
به ابهة الجلالة كانه حاماتها منصوره* ولا اودى مهديه ولا رشيده* ومن قصيدة ابن فضل الله
التى سماها حسن الوفا* بمشاهير الخلفا*

وطار منهم نحو مصر قشعم	قد جاءها كما يجئ الطائر
قال اخ مستنصر والدى	ووالده وهو الامام الظاهر
فلقبوه مثله مستنصرا	وذاك انجد هذا الناصر
وكان منه الظاهر السلطان اذ	خوف ومن باسائه يحاذر
فبايعوا الحاكم بعد ان اتت	وفرقا التفت به العشائر
وهو ابو العباس احمد الرضى من	ولد الراشد نجم زاهر
وقام مستكفى كفاه ربه	جميع ما يخاف نائى آمر
وبعده الواثق ابراهيم لا	عاد ولا دارت له الدوائر
والحاكم الآن امام عصرنا	يحشر عدلنا اتى له نناصر

ثم فى يوم الاثنين ثانى محرم سنة اثنتين واربعين حضر الخليفة الحاكم والسلطان المنصور والقضاة بدار
العدل فجلس الخليفة على الدرجة العليا وعليه خلعة خضرا وفوق عمامته طرحة سوداء مرقومة بالذهب
وجلس السلطان دونه فقام الخليفة وخطب خطبة افتتحها بقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
الآية وبقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية ثم اوصى الامراء بالرفق بالرعية واقامة الحق وتعظيم
شعائر الاسلام ونصرة الدين ثم قال فوضت اليك جميع احكام المسلمين* وقلدتك جميع ما تقلدته
من امور الدين فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقرا الآية وجلس ثم خرج بخلعة سوداء البسها الخليفة
السلطان بيده ثم قلده سيفا عربيا ثم اخذ علاء الدين بن فضل الله كاتب السر فى قراءة عهد الخليفة
للسلطان حتى فرغ منه ثم قدمه الى الخليفة فكتب عليه ثم كتب بعده القضاة الاربعة بالشهادة عليه
واستمر الخليفة فى منصبه الشريف الى ان مات بالطاعون شهيدا فى منتصف سنة ثلاث وخمسين
ولم يعهد بالخلافة لاحد فجمع الامراء مشيخة ورفعته القضاة وطلب جماعة من بنى العباس فوقع الاختيار
على اخيه ابى بكر بن المستكفى فبايعوه ولقب المعتضد بالله وكنى ابا الفتح وضم اليه نظر المشهد النفيسى

فاقام الى ان مات ليلة الاربعاء ثامن عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وستين قال بدر الدين بن حبيب في ترجمته
امير المؤمنين * وقائد المذعنين * وامام الائمة * وقدوة المتكلمين في براءة الذمة * علت اركانه * وبسقت
اغصانه * وتحلت به ديار مصره * وصغت الى رأيه ملوك عصره * رأس وساد * ومنح وافاد * وفاز
في حلل النعيم * وهدي الى سلوك الطريق المستقيم * واعتضد بالله في اموره * ولم يحتف عن الناس
بحجبه ولا ستوره * واستمر سائرا في منهاج عزه وبقائه * الى ان لحق بعد عشرة اعوام بالخلفاء الكرام
من آبائه * وعهد بالخلافة لولده ابي عبد الله محمد فقام بعده ولقب المتوكل على الله **هذه**
صورة العهد بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذي ميز آبائنا الخلفاء برتب العدالة * والبس من ذكرنا
منهم على ستر العفاف خلعها المدالة * ورفع قدره على اقرانه حين سلك سبل الرشاد التي اوضحها له *
احمده على نعمه التي هي على عبده منها له * واشكره شكرا استزيد به نعمه وافضاله * واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له شهادة امرء اخلص بها نيته ومقاله * واشهد ان محمدا عبده ورسوله
المخصوص بعموم الرسالة * والمبعوث باوضح حجة ودلالة * والصادق الامين الذي اخلص لله اقواله
وافعاله * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اولي الصدر والاصالة * والمفاخر الباهرة والجلالة *
وسلم تسليما كثيرا * ورضي الله عن اول الخلفاء بعد نبينا محمد المصطفى الذي صحبه بوفاء شيخ الوقار
ومعدن الجود والافتخار * وانيس سيد المرسلين في الغار * ذي الكرم العريق * والراي الوثيق والاخلاص
والتصديق * السابق للنبوة والرسالة بالتصديق الملكي بعتيق * هو الامام ابو بكر الصديق * وعن يمنى
نبيه حمزة والعباس * المطهرين من الدنس والارجاس * ويعد فالخلافة اشرف ملابس اهل
الديانة * واذهى حلل الصيانة * وهي اصل كل سيادة يتوصل اليها * ورياسة جل الاعتماد عليها * اذ
هي اجل المناصب واتمها * واشرفها وارفعها واسناها * وانفسها واعلاها واغلاها * ومن
لوازمها ان لا يؤتى تقليدها الا من اتصف بصفاتها المرضية * وتحلى بحلاها المرعية * ورقي بجميل
سيرته الى مراتبها العلية * ولما كان من ياتي اسمه في هذا المكتوب ممن هو حقيق بها لا محالة * وجدير
بان يبلغه حسن الظن منها آماله * اذ كان متصفا بصفاتها الحميدة * متقيدا بآدابها السديدة * وقد
لاحت عليه آثار الخلافة وظهرت * وذاعت محامده واشتهرت * وقامت الادلة باهليته لتقليدها
وانه كفؤ لتناول تقليدها * استخار الله سيدنا ومولانا الامام المعتضد بالله المستمسك بتقواه
المراقب له في سره ونجواه * امير المؤمنين * خليفة رب العالمين * ابن عم سيد المرسلين * ابو الفتح ابو بكر
ابن سيدنا ومولانا المستكفي بالله ابي الربيع سليمان امير المؤمنين * اعز الله به الدين * وامتع ببقائه
الاسلام والمسلمين * واشهد على نفسه الكريمة * اسبغ الله عليه نعمه العميمة * انه عهد الى ولده المصلى به
الامام المتوكل على الله ابي عبد الله محمد نصر الله به الاسلام وايده * ونفع به نفعا مستقرا مؤيدا * وجعله
ولي عهده * ورضيه خليفة على الرعية من بعده * لما علم من ديانته وعدالته * وكفالته وكفايته ومروءته
وحسن قصده عهدا صحيحا شرعيا * تاما معتبرا مرضيا * وفوض اليه امر الخلافة تفويضا صريحا

وعقد له ولاية العهد على الرعية عقدا صحيحا شرعيا قبل ذلك قبولا شرعيا جعله الله لشريعة نبيه محمد ناصرا
مؤيدا وجمع به كلمة الاسلام وصدر الاشهاد بذلك في اليوم المبارك يوم الثلاثا الثالث عشر من ربيع
الاول سنة ثلاث وستين وسبعمائة فاستمر الى ان قتل الاشرف شعبان واقيم ولده المنصور على وكالة
اينبك البدري مدبر دولته وقد حقد على المتوكل امورا فطلب نجم الدين زكريا بن ابراهيم بن ولي العهد
المستمسك بن الخليفة الحاكم يوم الاثنين رابع ربيع الاول سنة تسع وسبعين فخلع عليه واستقر خليفة
بغير مبايعة ولا اجماع ولقب المعتصم بالله ثم في العشرين من الشهر كلم الامراء اينبك فيما فعله
مع المتوكل ورغبوه في اعادته الى الخلافة فاعاده وخلع زكريا فكانت خلافته خمسة عشر يوما ثم لم
يتم الشهر على اينبك حتى اتفق العساكر على خلافه والخروج عليه فهرب ثم ظفر به في تاسع ربيع الآخر
فقيد وسجن بالاسكندرية وكان آخر العهد به وقال فيه الاديب شهاب الدين بن العطار

من بعد عز اذل اينبكا ... وانحط بعد السمو منفتكا
وراح يبكي الدما منفردا ... والناس لا يعرفون اين بكا

واستمر المتوكل في الخلافة الى رجب سنة خمس وثمانين فبلغ الظاهر برقوق انه واطأ جماعة ان يقتلوه
اذا لعب الاكرة ويقوموا بنصرة الخليفة واستبداده بالامر وان الخليفة ذكر انه ما فوض اليه السلطنة
الا كرها وانه لم يسر في ملكه بالعدل فاستدعى برقوق بالقضاة ليفتوه في الخليفة بشيء فامتنعوا واقاموا
فخلع هو الخليفة بقوته وسجنه بالقلعة ثم طلب عمر بن ابراهيم بن المستمسك بن الحاكم وبايعه بالخلافة
ولقب الواثق بالله ثم في ذي القعدة من السنة اخرج المتوكل من السجن واقام بداره مكرما واستمر
الواثق في الخلافة الى ان مات يوم الاربعا تاسع عشري شوال سنة ثمان وثمانين فتكلم الناس برقوق
في اعادة المتوكل فابى واحضر اخا عمر زكريا الذي كان اينبك ولاه تلك الايام اليسيرة فبايعه ولقب
المعتصم بالله فاستمر الى يوم الخميس ثاني جمادى الاولى سنة احدى وتسعين فندم برقوق على ما صنع
بالمتوكل فخلع زكريا واعاد المتوكل الى الخلافة وحلف القضاة كلا من الخليفة والسلطان ثلاثا خوفا على
المولاة والمناصحة واقام زكريا بداره الى ان مات مخلوعا في جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة
وقرئ تقليد المتوكل بالمشهد النفيسي في ثاني عشر الشهر بحضرة القضاة والامراء وقرر له السلطان
دارا بالقلعة يسكنها ويركب الى داره بالمدينة متى شاء واستمر المتوكل في خلافته هذه الى ان مات
ليلة الثلاثا ثامن عشري رجب سنة ثمان وثمانمائة قال المقريزي وهو اول من اثري من خلفاء
مصر وكثر ماله ورزق اولادا كثيرة يقال انه جاءه مائة ولد ما بين مولود وسقط ومات عن عدة
اولاد ذكور واناث ولي الخلافة منهم خمسة ولا نظير لذلك واكثر اخوته ولوا الخلافة فيما تقدم
اربعة واتفق المتوكل هذا انه عاد الى الخلافة بعد خلعه مرتين ولم يقع ذلك لاحد فيما تقدم الا
للمقتدر فقط ورايت في تاريخ عالم حلب للحب ابن الوليد بن الشحنة انه في سنة سبع وتسعين وسبعمائة
ارسل ابو يزيد بن عثمان الى الخليفة المتوكل بهدايا وتحف فطلب تشريف منه بان يكون سلطان الروم

بجهزله ذلك وذكر الحافظ ابن حجر في ابناء الغمر انه مولد المتوكل هذا في سنة نيف واربعين وسبعمائة والله
لما تسلطن برقوق المرة الاولى حسن له جماعة من اهل الدولة وغيرهم طلب الملك فكاتب الامراء والعربان
مصرا وشاما وعراقا وبث الدعاة في الافاق فبلغ ذلك برقوق فخلعه وسجنه فخرج يلبغا الناصري على
برقوق بسبب ذلك فافرج عنه برقوق واعاده الى الخلافة وفرح الناس به فرحا كثيرا فلما انتصر
الناصري وزالت دولة برقوق قال الناصري للخليفة يحضر من الامراء يا مولانا امير المؤمنين
ما ضربت بسيفي هذا الا في نصرتك وبالغ في تعظيمه وتبجيله فتبرم المتوكل من الدخول في الملك واشار
باعادة حاجي بن شعبان وكان المتوكل عهد بالخلافة لولده احمد ولقبه المعتمد على الله ثم خلعه وعهد
الى ابنه ابي الفضل العباسي فاستقر في الخلافة بعده ولقب المستعين بالله فاقام الى ان خرج شيخ
على الناصر فرج وظفر به وذلك في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة فاشهد على الخليفة بخلع الناصر
من الملك لما ثبت عليه من الكفريات والانحلال والزندقة وحكم ناصر الدين بن العديم بسفك دمه
واتفق راى الامراء على سلطنة الخليفه واستقلاله بالامر فلم يوافقهم الخليفة الا بعد شدة وتوثق
منهم بالايمان فبايعه الامراء كلهم وحلفوا له على الوفا ولم يغير لقبه وجلس على كرسي الملك وقام الكل بين
يديه وذلك بالشام وقرر بكتمر جلق في نيابة الشام وقرقماس في نيابة حلب وسودون الجلب في نيابة
طرابلس وشيخ ونوروز في ركابه يديران الامر ونادى مناد على الخليفة الا ان فرج بن برقوق قد خلع من
السلطنة ومن حضر الى امير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين فهو آمن فتسلل الناس من الناصر وكتب
المستعين الى القاهرة باجتماع الكلمة له وعزل الجلال البلقيني عن قضاة الشافعية وولى بدله شهاب
الدين الباعوني فعقدها عليه البلقيني حتى فصل معه بعد ذلك ما فعل ثم ارسل المستعين كتابا ثانيا
الى من بالقاهرة من الامراء فارسل الى الجامع المطولي فقراه خطيبه ابن النقاش على المنبر ثم ارسل
الى الجامع الازهر فقراه خطيبه الحافظ ابن حجر على المنبر ثم فر الناصر الى حلب فقام فارس على الاسواق
فنادوا وانصر الله امير المؤمنين فلما سمع الرماة ذلك تخوفوا على انفسهم ولم يغيبوه ثم قبض على الناصر
وقتل بحكم ابن العديم ثم ان المستعين صرف بكتمر جلق عن نيابة الشام وقرر فيها نوروز وقرر بكتمر اميرا
كبيرا بالقاهرة وصدرت الكتب من المستعين الى امراء التركمان والعربان والعشير ومفتتحها من عبد الله
وليه الامام المستعين بالله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين المفترضة
طاعته على الخلق اجمعين اعز الله ببقائه الدين الى فلان ثم توجه هو والعسكر الى القاهرة فدخلوا
في يوم الثلاثا ثاني ربيع الآخر بعد ان تلقاهم الناس الى قطيا والى الصالحية والى بلبيس وحصل للناس
من الفرج بذلك ما لا مزيد عليه ونادى في الناس برفع المظالم والمكوس وعمل الحافظ ابو الفضل
ابن حجر في المستعين قصيدته المشهورة وهي

الملك اصبح ثابت الاساس ... بالمستعين العادل العباسي
رجعت مكارمه الى عهد الحمى ... لحمها من بعد طول تناسي

ثم فدرسيع الآخر المسيون في ... يوم الثلاثا حف بالاعراس
بقدوم مهدى الانام امينهم ... ماموز غيب طاهر الانفاس
ذو البيت طاف به الرجا فهل ترى ... من قاصد منرد في اليأس
فرع تنما من هاشم في روضة ... زاكي المنابت طيب الاغراس
بالمرتضى والمجتبى والمشترى ... للمجد الحالي به والكاسي
من أسرة اسروا الخطوب وطهروا ... مما يغيرهم من الادناس
اسد اذا حضروا الوغى واذا خلوا ... كانوا بمجلسهم ظباء كناس
مثل الكواكب نورهم مابينهم ... كالبدر اشرق في دجى الاغلاس
ويكفه عند العلامة آية ... قلم يضيء اضاءة المقباس
فلبشره للوافدين بباسم ... يدعى والاجلال بالعباس
فالحمد لله المعز لدينه ... من بعد ما قد كاد في ابلاس
بالسادة الاطهار اوار كان العلا ... من بعد مدرك ثاره ومواسي
نهضوا باعباء المناقب وارتقوا ... في منصب العلياء ثم كراسي
تركوا العدى صرعى تعترك الردى ... فالله يحرسهم من الوسواس
واما مهم بجلاله متقدم ... تقدير بسم الله في القرطاس
لولا نظام الملك في تدبيره ... لم يستقم في الملك حال الناس
كم من امير قبله خطب العلا ... وبجهده رجعته بالافلاس
حتى اذا جاء المعالي كفؤها ... خضعت له من بعد فرط شماس
طاعت له ايدى الملوك واذعنت ... من نيل مصر اصابع المقياس
فهو الذى قد رد عنا البؤس في ... دهره لا واكل الباس
وازال ظلما عم كل معمم ... من سائر الانواع والاجناس
بالخاذل المدعو صنديد فعاله ... بالناصر المتناقض الايناس
كم نعمة لله كانت عنده ... فكانها في غربة وتناسي
مازال سيء الشر بين ضلوعه ... كالنار او صحبته للارماسي
كم سن سيئة عليه لثامها ... حتى العتيمة ماله من آسي
مكر ابى اركانه لكنها ... للغدر قد بنيت بغير أساسي
كل امرء يفشي ويذكر تاره ... لكنه للشر ليس بناسي
املى له رب الورى حتى اذا ... اخذوه لم يغلته مر الكاس
واذا النامنه المليك بعالك ... ايامه صدرت بغير قياس

فاستبشرت ام القرى والارض من ... شرق وغرب كالعذيب وفاس
ايات مجد لا يحاول جحدها ... في الناس غير الجاهل الخناس
ومناقب العباس لم تجمع سوى ... لحفيده ملك الورى العباسي
لاشكر والمستعين رياسة ... في الملك من بعد الجحود الناسي
فبنو امية قد اتى من بعدهم ... في سالف الدنيا بنو العباس
واتى اشج بني امية ناشرا ... للعدل من بعد المثير الخاسي
مولاي عبدك قد اتاك راجيا ... منك القبول فلا ترى من باس
لولا المهابة طولت امداحه ... لكنها جاءته بالقسطاس
فادام رب الناس عزك دائما ... بالحق محروسا برب الناس
وبقيت تسمع للمديح لخادم ... لولاك كان من الهموم يقاسي
عهد صفا ودا وزمزم حاديا ... وسعى على العينين قبل الراس
امداحه في آل بيت محمد ... بين الورى مسكية الانفاس

ولما دخل الخليفة القاهرة شقها والامراء بين يديه فاستمر الى القلعة فنزل بها ونزل شيخ الاصطبل بباب السلسلة ثم في ثامن ربيع الآخر صعد شيخ والامراء الى القصر وجلس الخليفة على تخت الملك فخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يعهد مثله وفوض اليه امر المملكة بالديار المصرية في جميع الامور وكتب له ان يولي ويعزل من غير مراجعة واشهد عليه بذلك ولقب نظام الملك فكانت الامراء اذا فوضوا من الخدمة بالقصر تزلوا في خدمة شيخ الى الاصطبل فاعيدت الخدمة عنده ويقع عنده الابرام والنقض ثم يتوجه دواداره الى المستعين فيعلم على المناشير والتواقيع ثم انه يقدم اليه باذ لا يمكن الخليفة من كتابة العلامة الا بعد عرضها عليه فاستوحش الخليفة عليه وضاق صدره وكثر قلقه فلما كان في شعبان سال شيخ الخليفة ان يفوض اليه السلطنة على العادة فاجاب بشرط ان ينزل من القلعة الى بيته فلم يوافقه شيخ على النزول بل استنظره اياما ثم انه نقل المستعين من القصر الى دار من دور القلعة ومعه اهله ووكل به من يمنعه الاجتماع بالناس فبلغ ذلك نوروز فجمع القضاة والعلماء في سابع ذي القعدة واستفتاهم عما صنعه شيخ بالخليفة فافتوه بعد جواز ذلك فاجمع على قتال شيخ واستمر المستعين في القلعة الى ذي الحجة سنة ست عشرة وهو باق على الخلافة فلما اعزم شيخ الى الشام تخشى من غائلته واراد خلعه فراجع البلقيني في ذلك وكان في نفسه من المستعين لكونه عزله فرتب له دعوى شرعية وحكم بخلعه من الخلافة وبايع بالخلافة اخاه ابا الفتح داود ولقب المعتضد بالله وسير المستعين الى الاسكندرية فاقام بها الى ان مات شهيدا بالطاعون في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين واستقرت الخلافة باسم المعتضد وكان من سروات الخلفاء بنيلا ذكيا فاضلا يجالسه العلماء والفضلاء ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه جوادا سمحا وطالت مدته في الخلافة نحو

ثلاثين سنة فلما حضرته الوفاة عهد بالخلافة الى شقيقه ابى الربيع سليمان ولقب المستكفى بالله وكان والدى خصيصا به فكتب له العهد بيده وهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشهد على نفسه الشريفة حرسها الله وحماها * وصانها من الاكدار ورعاها * سيدنا ومولانا الواقف الشريفة الطاهرة الزكية * الامامية الاعظمية العباسية النبوية المعتضدية * امير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين * ووارث الخلفاء الراشدين * المعتضد بالله تعالى ابو الفتح داود أعز الله به الدين وامتع ببقائه الاسلام والمسلمين * انه عهد الى شقيقه المقر العالى المولوى الاصيلى العربى الحسيبى النسيبى السليلى سيدى ابى الربيع سليمان المستكفى بالله عظم الله شانه بالخلافة المعظمة وجعله خليفة بعده ونصبه اماما على المسلمين عهدا شرعيا * معتبرا مرضيا * نصيحة للمسلمين * ووفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحدين * واقتداء بسنة الخلفاء الراشدين * والائمة المهديين * وذلك لما علم من دينه وخيره وعدالته وكفالته واهليته * واستحقاقه بحكم انه اختبر حاله وعلم طويته * وانه لله يدين الله به انه اتقى الله من رآه وانه لا يعلم صدر منه ما ينافى استحقاقه لذلك وانه ان ترك الامر هملا من غير تفويض للمشار اليه ادخل اذ ذاك المشقة على اهل الحل والعقد فى اختيار من ينصبونه للامامة ويرتضونه لهذا الشان فبادر الى هذا العهد شفقة عليهم وقصد البراءة ذمتهم ووصول الامر الى من هو أهله لعلمه ان العهد كان غير محوج الى رضى سائر أهله ووجب على من سمعه وتحمل ذلك منه ان يعلم به ويأمر بطاعته عند الحاجة اليه ويدعو الناس الى الانقياد له فسجل ذلك على من حضره حسب اذنه الشريف وسطر عن امره قبل ذلك سيدى المستكفى ابو الربيع سليمان المسمى فيه عظم الله شانه قبولا شرعيا ومات المعتضد يوم الاحد رابع ربيع الأول سنة خمس واربعين واستقر المستكفى وكان من صلحاء الخلفاء وعبادهم صالحا دينا عليه كثير التعبد والصلاة والتلاوة كثير الصمت حسن السيرة وكان الظاهر جقمق يعتقده ويعرف له حقه فاقام الى ان مات ليلة الجمعة سلخ ذى الحجة سنة اربع وخمسين ولم يعهد بالخلافة لأحد وكان والدى خصيصا به جدا فلم يعش بعده الا اربعين يوما ومشى السلطان فى جنازة المستكفى الى تربته وحمل نعشه بنفسه وبايع بعده بالخلافة اخاه ابا البقاء حمزة ولقب القائم بامر الله وكان سهما صارما اقام ايهة الخلافة قليلا ثم ان الجند خرجوا على الاشرف اينال فقام معهم وحدثته نفسه بطلب الملك فانهزم الجند ولم يحصل من يد هم شئ فغضب عليه الاشرف وطلبه الى القلعة وعاتبه فى ذلك فحكى ان الخليفة قال خلعت نفسى وعزلتك وكان غلطة منه فقال شيخنا قاضى القضاة علم الدين البلقينى وكان حريصا على جر الخلافة الى اخى الخليفة يوسف لكونه زوج ابنته فقال قد بدا بخلع نفسه فانخلع وثنى بخلعه السلطان وهو غير خليفة فلم ينفذ عزله وحكم بصحة خلعه وذلك فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وبايع اخاه ابا المحاسن يوسف ولقب المستنجد بالله وسير القائم الى الاسكندرية الى ان مات بها سنة ثلاث وستين ودفن عند شقيقه المستعين ومن الاتفاق الغريب

انهما اخوان شقيقان كل منهما رام السلطنة وكل منهما خلع وسكن الاسكندرية ودفنا معا وحكم بخلعهما قاضيان اخوان ذلك خلعه الجلال البلقيني وهذا اخوه العلم البلقيني واستمر المستجد في الخلافة ساكنا بمنزل اخوته الى ان توفي الظاهر خشقدم فدعاه الى ان يسكن عنده في القلعة واستمر ساكنا بها الى ان مات يوم السبت رابع عشري المحرم سنة اربع وثمانين وثمانمائة وعهد بالخلافة الى ابن اخيه سيدي عبد العزيز أبي العز يعقوب بن المتوكل على الله فلما كان يوم الاثنين سادس عشري المحرم طلع الى القلعة وحضر القضاة والامراء فامضوا احمد عمه ولبس تشريف الخلافة ونزل الى داره والقضاة والامراء بين يديه وكان يوما مشهودا وكان اراد أن يتلقب بالمستعز بالله ثم وقع التردد بينه وبين المستعين او المتوكل واستقر الحال على ان لقب المتوكل على الله وهو الآن عين بني العباس وشامتهم لم يزل مشارا اليه محبوبا في قلوب الناس وله اشتغال على المدى وضين من المشايخ وأجازله باستدعائي جماعة من المسندين وقد رجوت له عنهم جزءا حدث به والفت برسمه كتاب الاساس في فضل بني العباس وكتاب رفع الباس عن بني العباس ابقاه الله بقاء جميلا وادامه على دياع المسلمين ظلا ظليلا وتقف عن اخذ ما يحتمل من مشهد السيدة نفيسة من النذور من شمع وزيت وغيرهما وصرفه الى مصالح المكان من عمارة وغيرها وكان الخلفاء قبله يأخذون لانفسهم غالبه والباقي يفرقونه على من شاؤا من الزامهم فرفع ذلك من امثاله

فصل قال ابن فضل الله في المسالك ان قاعدة الخلافة اول ما كانت المدينة شرفها الله مدة ابي بكر وعمر وعثمان فلما انتهت الخلافة الى علي انتقل من المدينة الى الكوفة واتخذها قاعدة خلافته وربما استوطن البصرة وجاء ابنه الحسن والكوفة قاعدة خلافته على ما كان عليه ابوه فلما ولي معاوية انتقلت قاعدة الخلافة الى دمشق واستقرت قاعدة لبني امية واذ كان هشام قد سكن الرصافة وعمر ابن عبد العزيز خناصرة فانهما لم يكونا قاعدتي خلافة لانهما سكناها غير مفارقين لدمشق بل هي القاعدة والمعتمدة بانها مستقر الخلافة ولم تزل كذلك الى آخر الدولة الاموية فلما ملك السفاح سكن الانبار فسلما ولي المنصور بنى لها هاشمية وسكنها ثم بغداد فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه الى المعتصم فبنى سر من راى فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم بنى ابنه هارون الواثق الحي جانبها الهارونية فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم بنى اخوه جعفر المتوكل الى جانبها الجعفرية فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم عادت قاعدة الخلافة الى بغداد في زمن المعتمد الى المستعصم الذي قتله التتار فانتقلت قاعدة الخلافة الى مصر قال فانظر كيف تنقلت قواعد الخلافة من بلد الى بلد بتنقل الزمان وقد كانت بخارى قاعدة السلطنة ومن بني ساسان ثم صارت غزنة مكان محمود بن سبكتكين وبنيه ثم همذان زمان الدولة السلجوقية ثم خوارزم مكان الملوك الخوارزمية ثم دمشق زمان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ثم مصر من زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب والى اليوم واذا اعتبرت احوال البلاد تجد السعادة قد نظرت هذه مرة ثم تلك اخرى كما قال الشاعر

واذا نظرت الى البقاع رايتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

واعلم ان مصر من حين صارت دار الخلافة عظم امرها وكثرت شعائر الاسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء وهذا سر من اسرار الله اودعه في الخلافة النبوية حيث ما كانت يكون معها الايمان والكتاب كما اخرج

دل هذا الحديث على ان الايمان والعلم يكونان مع الخلافة اينما كانت فكانا اولا بالمدينة زمن الخلفاء الراشدين ثم انتقلا الى الشام زمن خلفاء بني امية ثم انتقلا الى بغداد زمن خلفاء بني العباس ثم انتقلا الى مصر حين سكنها خلفاء بني العباس ولا يظن ان ذلك بسبب الملوك فقد كانت ملوك بني ايوب اجل قدرا واعظم خطرا من ملوك جاءت بعدهم بكثير ولم تكن مصر في زمانهم كبغداد وفي اقطار الارض الآن من الملوك من هو اشد بأسا واكثر جندا من ملوك مصر كالهند والعراق والروم والمغرب وليس الدين قائما ببلادهم كقيامه بمصر ولا شعائر الاسلام في اقطارهم ظاهرة كظهورها في مصر ولا نشر السنة والحديث والعلم فيها كما في مصر بل البدع عندهم فاشية والفلسفة بينهم مشهورة والسنة والاحاديث دائرة والمعاصي والخمور واللواط منها كثيرة *

* ذكر سلاطين مصر الذين فوض اليهم خلفاء مصر العباسيون *

فاستبدوا بالامر دونهم * اولهم الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتح بيبرس البندقداري ولما فوض اليه خليفة مصر لقبه قسيم امير المؤمنين وهو اول من لقب بها وكان الملوك قديما يكتب احدهم من جملة الخليفة مولى امير المؤمنين اي عتيقه ويكتب هو الى الخليفة خادم امير المؤمنين فان زيد في تعظيمه لقب ولي امير المؤمنين ثم صاحب امير المؤمنين ثم خليل امير المؤمنين وهو اعلى ما لقب به ملوك بني ايوب فلقب الظاهر هذا قسيم امير المؤمنين وهو اجل من تلك الالقاب وكان في الظاهر محاسن وغيرها وظلم اهل الشام غير مرة وافتاه جماعة بموافقة هواه فقام الشيخ محيي الدين النووي في وجهه وانكر عليه وقال افتوك بالباطل وكان بمصر منقمعا تحت كلمة الشيخ عز الدين ابن عبد السلام لا يستطيع ان يخرج عن امره حتى انه قال لما مات الشيخ ما استقر ملكي الا الآن ومن محاسنه ما حكاه ابن كثير في تاريخه انه حضر في يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ستين الى دار العدل في محاكمة في بئر بين يدي القاضي تاج الدين بن بنت الاعز فقام الناس سوى القاضي فانه اشار اليه ان لا يقوم فقام هو وخصمه بين يدي القاضي وتداعيا وكان الحق بيد السلطان وله بينة عادلة به فانتزعت البئر من يد الغريم وهو احد الامراء والظاهر هو الذي اكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق وكان الخليفة المستعصم شرع فيه بعد ان احترق فقتل قبل ان يتم فجهز الظاهر في رمضان سنة احدى وستين شناعا واخشابا وآلات وطيف بها بالديار المصرية فرحة بها وتعظيما لشانها ثم سار وا بها الى المدينة الشريفة وارسل منبرا فنصب هنالك وحج في سنة سبع وستين فغسل الكعبة بيده

لما ما الورد وزار المدينة الشريفة فراى الناس يتصدقون بالقبر النبوى فقاس ما حوله بيده وارسل في العام
الذى يليه درابزينا من خشب فاد برحول القبر الشريف وللظاهر فتوحات كثيرة وملك الروم وجلس
بقيسارية على تخت السلجوق ولبس التاج وضرب باسمه الدينار والدرهم وهو الذى جعل القضاة
اربعة من كل مذهب قاض ولم يعهد ذلك قبله فى ملة الاسلام وهو الذى جدد صلاة الجمعة بالجامع
الازهر وبجامع الحاكم وكانا مهجورين من زمن العبيديين فاساء فى ذلك كل الاساءة كما سنبينه
بعد هذا وامر فى ايامه باراقة الخمور وابطال المفسدات والخواطى واسقاط المكوس المرتبة عليها
فاحسن فى ذلك كل الاحسان وفى ايامه طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة وذلك فى سنة
خمس وسبعين وكان يوما مشهودا وهو اول من فعل ذلك بالديار المصرية وكان له صدقات كثيرة من
ذلك كل سنة عشرة الاف اردب قمح للفقراء والمساكين وارباب الزوايا وكان يخرج كل سنة جملة
مستكثرة يستفك بها من حبس التقاضى من المفلسين وكان يرتب فى اول رمضان مطابخ لانواع الاطعمة
برسم الفقراء والمساكين ووقف وقفا على تكفين اموات الغرباء واجرى على اهل الحرمين وطرق الحجاز
ما كان انقطع فى ايام غيره من الملوك وله انواع من المعروف واوقاف البر نقلت من خط شيخنا الامام
تقى الدين الشمنى قال نقلت من خط الشيخ كمال الدين الدميرى نقل من خط الشيخ جمال الدين بن هشام
قال من غريب ما رايت على كراديس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك فى اواخرها
صورة قصة رفعها الفقير الى رحمة ربه محمد بن مالك يقبل الارض وينهى الى السلطان ايده الله جنوده
وابد سعوده انه اعرف اهل زمانه بعلوم القراآت والنحو واللغة وفنون الادب واسأله ان يعينه
نفودا من سيد الشلاطين ومبيد الشياطين خلد الله ملكه * وجعل المشارق والمغارب ملكه * على
ما هو بصدده من افادة المستفيدين * وافادة المسترشدين * بصدقة تكفيه هم عياله * وتغنيه
عن التسبب فى صلاح حاله * فقد كان فى الدولة الناصرية عناية يتيسر بها الكفاية مع ان الدولة
من الدولة الظاهرية كجدول من البحر المحيط او الخلاصة من الوسيط والبسيط وقد نفع
الله بهذه الدولة الظاهرية الناصرية خصوصا وعموما * وكشف بها عن الناس اجمعين غموما * ولم
بها من شعث الدين ما لم يكن ملموما * فمن العجائب كون المملوك من مرتد خيرها وعن عين عنايتها غائبا
محروما * مع انه من الزمر المخلصين الدعاء بدوامها * واقوم الموالين بمراعاة ذمامها * لا برحت انوارها
زاهرة * وسيوف انصارها قاهرة ظاهرة * واياديها مبذولة موفورة * واعاديها مخذولة مقهورة
بمحمد وآله وكان الشيخ محيى الدين النووى يكثر المكاتبات اليه ويعظه فى امور المسلمين قال الشيخ
علاء الدين بن العطار كتب الشيخ محيى الدين ورقة الى الظاهر يبيبرس تتضمن العدل فى الرعية وازالة
المكوس وكتب فيها معه جماعة ووضعها فى ورقة كتبها الى الامير بدر الدين بيليك الخزندار بايصال
ورقة العلماء الى السلطان وصورتها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله يحيى النووى
سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الامراء بدر الدين ادام الله الكريم له الخيرات

وتولاه بالحسنات وبلغه من اقصى الآخرة والاولى كل آماله وبارك له فى جميع احواله آمين وينهى
الى العلوم الشريفة ان اهل الشام فى هذه المحنة فى ضيق عيش وضعف حال بسبب قلة الامطار
وغلاء الاسعار وقلة الغلات والنبات وهلاك المواشى وغير ذلك وانتم تعلمون انه يجب الشفقة
على الرعية ونصيحته فى مصلحته ومصلحتهم فان الدين النصيحة وقد كتب خدمة الشرع الناصحون
للسلطان المحبوبون له كتابا يذكره النظر فى احوال رعيته والرفق بهم وليس فيه ضرر بل هو نصيحة
محضة وشفقة وذكرى لاولى الالباب * والمسؤل من الامير ايده الله تعالى تقديمه الى السلطان
ادام الله له الخيرات ويتكلم عنده من الاشارة بالرفق بالرعية بما يجده مدخرا له عند الله تعالى
يوم يجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه وهذا الكتاب ارسله العلماء امانة ونصيحة للسلطان اعز الله انصاره ويجب عليكم
ايصاله للسلطان اعز الله انصاره وانتم مسئولون عن هذه الامانة ولا عذر لكم فى التاخر عنها ولا حجة
لكم فى التقصير عنها عند الله تعالى وتسئلون عنها يوم القيمة يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم يفر المرء من
اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وانتم بحمد الله تحبون الخير وتحرصون
عليه وتسارعون اليه وهذا من اهم الخيرات وافضل الطاعات وقد اهلتم له وساقه الله اليكم وهو
فضل من الله ونحن خائفون ان يزداد الامر شدة ان لم يحصل النظر فى الرفق بهم قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال الله تعالى وما تفعلوا من خير فان
الله به عليم والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا فاذا فعلتم هذا فاجركم على الله ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلما وصلت الورقتان اليه اوقف
عليهما السلطان فرد جوابهما ردا عنيفا مؤلما فكدرت خواطر الجماعة الكاتبين فكتب رضى الله عنه
جوابا لذلك الجواب وهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آل محمد من عبد الله يحيى النووى ينهى ان خدمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان اعز الله انصاره
فجاء الجواب بالانكار والتوبيخ والتهديد وفهمنا منه ان الجهاد ذكر فى الجواب على خلاف حكم الشرع
وقد اوجب الله ايضاح الكلام عند الحاجة اليها فقال تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فوجب علينا حينئذ بيانه وحرم علينا السكوت
وقال تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم وذكر فى الجواب ان الجهاد ليس مختصا
بالاجناد وهذا امر لم ندعه وكان الجهاد فرض كفاية فاذا قرر السلطان له اجنادا محضورين ولهم
اجناد معلومة من بيت المال كما هو الواقع تفرغ باقى الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والاجناد
وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرها مما يحتاج الناس كلهم اليه فجهاد الاجناد مقابل بالاجناد
المقررة لهم ولا يحل ان يؤخذ من الرعية شئ ما دام فى بيت المال شئ من نقد او متاع او ارض او

ضياع تباع او غير ذلك وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان أعز الله انصاره متفقون على هذا وبيت المال بحمد الله محمود زاده الله عمارة وسعة وخيرا وبركة في حياة السلطان المقرونة بكمال السعادة والتوفيق والتسديد والظهور على اعداء الدين وما النصر الا من عند الله وانما يستعان بالجهاد وغيره بالافتقار الى الله تعالى واتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم وما لزمه احكام الشرع وجميع ما كتبناه اولا وثانيا هو النصيحة التي نعتقدها وندين الله بها ونسال الله الدوام عليها حتى نلقاه والسلطان يعلم انها نصيحة له وللرعية وليس فيها ما يلام عليه ولم نكتب هذا للسلطان الا لعلمنا انه يحب الشرع ومتابعة اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق بالرعية والشفقة عليهم واكرامه لآثار النبي صلى الله عليه وسلم وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه واما ما ذكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد فكيف يقاس ملوك الاسلام واهل الايمان والقرآن بطغاة الكفار وباي شئ كنا نذكر طغاة الكفار وهم لا يعتقدون شيا من ديننا واما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه واي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ولا علم لهم به وكيف يؤاخذون بما لو كان فيه ما يلام عليه واما انا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا اكثر منه ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان فاني اعتقد ان هذا واجب علي وعلى غيري وما ترتب على الجواب فهو خير وزيادة عند الله تعالى انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد وقد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول الحق حيث ما كنا وان لا نخاف في الله لومة لائم ونحن نحب السلطان في كل الاحوال وما ينفعه في آخرته ودنياه ويكون سببا لدوام الخيرات له ويبقى ذكره على ممر الايام ويخلد به في الجنة ويجد نفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا واما ما ذكر من تمهيد السلطان للبلاد ودوامه بالجهاد وفتوح الحصون وقهر الاعداء فهذا بحمد الله من الامور الشائعة التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة وطارت في اقطار الارض فلله الحمد وثواب ذلك مدخر للسلطان الى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ولا حجة لنا عند الله تعالى اذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

وكتب الى الملك الظاهر لما احتيط على املاكه مشورة بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وقد اوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان اعز الله انصاره ونصيحة عامة للمسلمين ففي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدين النصيحة لله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم ومن نصيحة السلطان وفقه الله تعالى لطاعته واولاه كرامته ان ينهى اليه الاحكام اذا جرت على خلاف قواعد الاسلام واوجب الله تعالى الشفقة على الرعية والاهتمام بالضعفة وازالة الضرر عنهم قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وفي الحديث الصحيح انما تنصرون وترزقون بضعفائكم وقال صلى الله عليه وسلم من كشف عن مسلم كربة من كرب الدنيا كشف

الله عنه كربة من كرب يوم القيمة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه وقال صلى الله عليه وسلم من
ولي من امر امتي شيأ فرفق بهم فارفق الهم به ومن شق عليهم فاشقق الهم عليه وقال صلى الله عليه وسلم
كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن
الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وقد انعم الله علينا وعلى سائر المسلمين بالسلطان اعز الله انصاره
فقد اقامه لنصرة الدين والذب عن المسلمين واذل له الاعداء من جميع الطوائف وفتح عليه الفتوحات المشهورة
في المدة اليسيرة واوقع الرعب منه في قلوب اعداء الدين وسائر المارقين ومهد له البلاد والعباد * ودمغ
بسيفه اهل الزيغ والفساد * وأمده بالاعانة واللطف والسداد * فلله الحمد على هذه النعم المتظاهرة
والخيرات المتكاثرة * ونسأل الله الكريم دوامها لنا وللمسلمين * وزيادتها في خير وعافية آمين * وقد
اوجب الله شكر نعمه ووعد الزيادة للشاكرين فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقد لحق المسلمين بسبب
هذه الموطة على املاكهم انواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها وطلب منهم اثبات ما لا يلزمهم فهذه الموطة
لا تحل عند أحد من علماء المسلمين بل من في يده شئ فهو ملكه لا يحل الاعتراض عليه ولا يكلف باثبات
وقد اشتهر من سيرة السلطان انه يحب العمل بالشرع فيوعى نوابه فهو اولى من عمل به والمسؤل اطلاق
الناس من هذه الموطة والافراج عن جميعهم فاطلقهم اطلقك الله من كل مكروه فهم ضعفة وفيهم
الايتام والارامل والمساكين والضعفة والصالحون وبهم تنصر وتغاث وترزق وهم سكان الشام والحباء
جيران الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم وسكان ديارهم فانهم حرمات من جهات ولو راى السلطان
ما يلقى الناس من الشدائد لاشتد حزنه عليهم واطلقهم في الحال ولم يؤخرهم ولكن لا تنهى اليه الأمور
على حقيقتها فيا لله اغث المسلمين يغثك الله وارفق بهم يرفق الله بك وعجل لهم الافراج قبل وقوع الامطار
وتلف غلاتهم فان اكثرهم ورثوا هذه الاملاك عن اسلافهم ولا يمكنهم تحصيل كتب شرا وقد ذهبت
كتبهم واذا رفق السلطان بهم حصل له دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رفق بامته ونصره على
اعدائه فقد قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويتوفر له من رعيته الدعوات وتظهر في مملكته البركات
ويبارك له في جميع ما يقصده من الخيرات وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة
حسنة فله أجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها
الى يوم القيمة ونسأل الله الكريم ان يوفق السلطان للسنن الحسنة التي يذكر بها الى يوم القيمة ويجنبه
من السنن السيئة فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان ونرجو من فضل الله تعالى ان يلهمه فيها
القبول والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب اليه لما رسم بان الفقيه لا يكون منزلا في اكثر
من مدرسة واحدة بسم الله الرحمن الرحيم خدمة الشرع ينهون ان الله تعالى امر بالتعاون على البر والتقوى
ونصيحة ولاة الامور وعامة المسلمين واخذ على العلماء العهد وتبليغ احكام الدين ومناصحة المسلمين
وحث على تعظيم حرماته واعظام شعائر الدين واكرام العلماء واتباعهم وقد بلغ الفقهاء انه رسم في حقهم
بان يغيروا عن وظائفهم ويقطعوا عن بعض مدارسهم فتكدرت بذلك احوالهم وتضرروا بهذا التضييق

عليهم

عليهم وهم محتاجون ولهم عيال وفيهم الصالحون والمشتغلون بالعلوم وان كان فيهم طائفة لا يلحقون مراتب
غيرهم فهم منتسبون الى العلم ويشاركون فيه ولا يخفى مراتب اهل العلم وشأ الله تعالى عليهم وبيانه مزيتهم
على غيرهم وانهم ورثة الانبياء صلوات الله عليهم فان الملائكة عليهم السلام تضع اجنحتها لهم ويستغفر
لهم كل شئ حتى الحوت في الماء والطائر بالجناب العالي اكرام هذه الطائفة والاحسان اليهم ومعاضدتهم
ورفع المكروهات عنهم والنظر بما فيه من الرفق بهم فقد ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اللهم من ولي من امر امتي شيأ فرفق بهم فارفق به وروى ابو عيسى الترمذي باسناده عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه كان يقول لطلبة العلم مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجالا يأتونكم يتفقهون فاستوصوا بهم خيرا والمسؤل ان لا يغير
على هذه الطائفة شئ ويستجاب دعوتهم لهذه الدولة القاهرة وقد ثبت في صحيح البخاري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم وقد احاطت العلوم بما اجاب
به الوزير نظام الملك حين انكر عليه السلطان صرفه الاموال الكثيرة في جهة طلب العلم فقال اقمت لك
جندا لا ترد سهامهم بالاسحار فاستصوب فعله وساعده عليه والله الكريم يوفق الجناب دائما
لصيانة والمسارعة الى طاعته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وقال بعضهم لما خرج الظاهر بيبرس الى قتال التتار بالشام اخذ فتاوى العلماء بانه يجوز له اخذ مال
من الرعية ليستنصر به على قتال العدو فكتب له فقهاء الشام بذلك فقال هل بقي احد فقيل نعم بقي
الشيخ محيي الدين النووي فطلبه فحضر فقال اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع فقال ما سبب امتناعك
فقال انا اعرف انك كنت في الرق للامير بندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت
اذ عندك الف مملوك كل مملوك له خيامة من ذهب وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلي فاذا
انفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا عن الخوائص وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي
افتيتك باخذ المال من الرعية فغضب الظاهر من كلامه وقال اخرج من بلدي يعني دمشق فقال السمع
والطاعة وخرج الى نوى فقال الفقهاء ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده
الى دمشق فرسم برجوعه فامتنع الشيخ وقال لا ادخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر قال الذهبي
كان الظاهر خليقا للملك لولا ما كان فيه من الظلم قال والله يرحمه ويغفر له فان له ايامًا بيضا في الاسلام
ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة واستمر الملك الظاهر الى ان مات يوم الخميس سابع عشري
المحرم سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وقام بعده في الملك ولده الملك السعيد ناصر الدين ابو
المعالي محمد وسنه ثمان عشرة سنة وكان ابوه عقد له في حياته ولقبه هذا اللقب واستنابه على مصر
ايام سفره فاستقل بالسلطنة من يوم موته واستمر الى سنة ثمان وسبعين فاختلف عليه الامراء
وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة واشهد على نفسه بذلك وذلك في يوم سابع عشر ربيع الآخر
واقيم مكانه اخوه بدر الدين سلامش ولقب الملك العادل وعمره سبع سنين وجعل اتابكه

الامير سيف الدين قلاوون الصالحي الالفي سمي بذلك لانه اشترى بالف دينار وضربت السكة باسمه
على وجه وباسم اتابكه على وجه ودعي لهما معا في الخطبة فاقام الى يوم الثلاثا حادي عشر شهر رجب
من هذه السنة فاجتمع الامراء بالقلعة وخلعوا العادل قال صاحب التشريف وهو السادس من دولة
الاتراك فان اولهم المعز ايبك وكل سادس من الخلفاء والملوك لابد انه يخلع واقاموا بعده قلاوون
الصالحي ففوض اليه الخليفة ولقب الملك المنصور وكتب له تقليد هذه صورته من انشا القاضي
محيي الدين عبد الظاهر الحمد لله الذي جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات * وناسخة لعقود اولي
الشك والشبهات * الذي رفع بعض الخلق على بعض درجات * واهل لامور البلاد والعباد من جاءت
خوارق تملكه بالذي ان لم يكن من المعجزات فمن الكرامات * ثم الحمد لله الذي جعل الخلافة العباسية
بعد القطوب حسنة الابتسام * وبعد التشويب جميلة الاحتشام * وبعد التشريد لها دار سلام
اعظم من دار المسلام * والحمد لله على ان اشهدها مصارع اعدائها * واحمد لها عواقب اعادة نصرتها
وايدائها * ورد شبيبتها بعد ان ظن كل احد ان شعارها الاسود ما بقي منه الا ما اصابته العيون
في جفونها والقلوب في سويدائها * ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها
اللسان * ويتعطر بنفحاتها الافواه والاذان * وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها الى اعلا مكان *
ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمنا به وشرف لنا الانتساب * واعزنا به حتى نزل فينا محكم
الكتاب * صلى الله عليه وعلى آله الذين انجاب الدين عنهم عن انجاب * ورضي الله عن صحابته الذين
هم اعز صحاب * صلاة توفي قائلها اجره بغير حساب يوم الحساب * وبعد حمد الله على ان احمد
عواقب الامور * واظهر الاسلام سلطانا اشتدت به من الامة الظهور وشفيت الصدور * واقام
الخلافة العباسية في هذا الزمن المنصور * كما اقامها فيما مضى بالمنصور * واختار لاعلاء دعوتها
من يحيي معالمها بعد العفا ورسومها بعد الدثور * وجمع لها الآن ما كان جمح عليها فيما قبل من خلاف
كل ناجم * ومنعها ما كانت تبشرها به الملاحم * وانفذ كلمتها في ممالك الدولة العلوية بخير سيف
مسنون ما محى الغرائم * وما مزج بين طاعتها في القلوب وذكرها في اللسان وكيف لا والمنصور
هو الحاكم * واخرج لحياطة الامة المحمدية ملكا تقسم البركات من يمينه * وتقسم السعادات بنور
جبينه * ويقهر الاعداء بفتكاته * ويمهر عقائل المعاقل بصعر راياته * ذي السعد الذي ما زال
سعده يشف حتى ظهر * ومفخره يرف الى ان بهر * وجوهره ينتقل من جيد الى جيد حتى يملأ الجيدين *
وسره يكمن في كل قلب حتى علم العلم اليقين * والحمد لله الذي جعل بنا تمكينه في الارض بعد حين *
فاختاره الله على علم * واصطفاه من بين عباده بما جبله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم * واتى الله
به الامة المحمدية في وقت الاحتياج غوثا * وفي ابان الاستمطار غيثا * وفي حين عبث الاشبال
في غيرة الافتراس ليثا * فوجب على كل من له في اعناق المحمدية بيعة الرضوان * وعند ايمانهم
مهملفة الايمان * ومن حيث وجبت البيعة باستحقاقه لميراث منصب النبوة * من تصح به كل

رسمية شرعية يؤخذ لنا بها قوة * ومن هو خليفة الزمان والعصر * ومن بدعواته تنزل عليكم معاشر كافة المسلمين ملائكة النصر * ومن نسبه ينسب نبيكم صلى الله عليه وسلم منتسب * وحسبه بحسبه ممتزج * ان يفوض له ما فوض الله اليه من امر الخلق * ليقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق * وان يوليه ولاية شرعية تصح بها الاحكام * وتنضبط امور الاسلام * وتاتي هذه العصبة الاسلامية يوم تاتي كل امة بامامها من طاعة خليفتها بخير امام وخرج امر مولانا امير المؤمنين شرفه الله ان يكون المقر العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري اجله الله ونصره وأظفره وأقدره وأيده وأبده كما فوضه مولانا امير المؤمنين من حكم في الوجود * وفي البهائم والنجود * وفي الجيوش والجنود * وفي الخزائن والمدائن * وفي الظواهر والبواطن * وفيما فتحه الله وفيما سيفتحه * وفيما افسد بالكفر والرجاء من الله انه سيصلح وفي كل جود ومن وكل عطا وفي كل هبة وتمليك * وفي كل تفرد بالنظر في امور المسلمين بغير شريك * وفي كل تعاهد ونبذ * وفي كل عطا وأخذ * وفي كل عزل وتولية * وفي كل تسليم وتخلية * وفي كل ارفاق وانفاق * وفي كل انعام واطلاق * وفي كل استرقاق واعتاق * وفي كل تقليل وتكثير * وفي كل تاثيل وتاثير * وفي كل تقليد وتفويض * وفي كل تجديد وتعويض * وفي كل حمد وتقريض * ولاية تامة محكمة منضدة منظمة * لا يعقبها فسخ من خلفها ولا من بين يديها * ولا يعتريها فسخ يطرأ عليها * يزيدها مر الليالي جدة يعقبها حسن شباب * ولا ينتهي على الاعوام والاحقاب * ونعم تنتهي الى ما نصبه الله تعالى للارشاد ومن سنة وكتاب * وذلك من شرع الله اقامه للهداية علما * وجعله الى اختيار الثواب سلما * فالواجب ان يعمل بجزئيات امره وكلياته * واذ لا يخرج احد عن مقدماته * والعدل فهو الغرس المثمر * والسحاب الممطر والروض المزهر * وبه تنزل البركات * وتخلف الهبات * وتربو الصدقات وبه عمارة الارض * وبه تؤدى السنة والفرض * فمن زرع العدل اجتنى الخير * ومن احسن كفى الضرر والضير * والظلم فعاقبته وخيمة * وما يطول عمر الملك الا بالمعدلة الرحيمة * والرعية هم الوديعة عند اولي الامر * فلا يختص منهم زيد وعمرو * والاموال فهي ذخائر العاقبة والمآل * فالواجب ان تؤخذ بحقها * وتنفق في مستحقها * والجهاد برا وبحرا * فمن كفاية الله يوفق سهامه * وتورخ ايامه وينتضى حسامه * وتجري منشاته في البحر كالاعلام وتنشر اعلامه * وفي عقر دار الحرب يحط ركابه * ويخط كتابه * وترسل ارسانه * وتجوس خلالها فرسانه * فليلزم منه دنيا ديدنا * ويستصحب منه فعلا حسنا * وجيوش الاسلام وامراؤه وحماته * فمنهم من قد علمت قدم هجرته * وعظم نصرته * وشدة باسه * وقوة مراسه * وما منهم الا من شهد الفتوحات والحروب * واحسن في المحامات عن الدين التذويب * وهم بقايا الدول * وسجايا الملوك الاول * ولا سيما اولي السعي الناجح * والراي الراجح * ومن له نسبة صالحية فاذا فخروا بها قيل لهم نعم المخلف الصالح * فأوسعهم برا * وكن بهم برا * فانت بما يجب من خدمتك اعلم وانت بما يجب من حقهم ادرى والحصون والثغور فهم ذخائر الشدة * وخزائن العديد والعدة * ومقاعد القتال * وكنائن الرجا والرجال * فاحسن لها المتحصين * وفوض امرها الى كل قوي امين

والى كل ذى دينين * والى كل ذى عقل رصين * ونواب الممالك ونواب الامصار * فاحسن لهم الاختيار *
واجمل لهم الاختبار * وتفقد لهم الاخبار * واما سوى ذلك فهو داخل فى حدود هذه الوصايا * ولولا
ان الله تعالى امر بالتذكير لكان ذلك سجايا المقر الاشرف السلطانى الملكى المنصورى مكتفية بانواره
المضيئة الساطعة وزمام كل صلاح يجب ان يشغل به جميع اوقاته هو تقوى الله تعالى قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته فليكن ذلك نصب العين وشغل القلب والشفتين
واعداء الدين من ازمن وتتار فأذقهم وبال امرهم فى كل ايراد وصدر * واصدر وشر ولا تأخذ للخلفاء
العباسيين ولجميع المسلمين منهم بالثار * واعلم ان الله ينصرك على ظلمهم وما للظالمين من انصار واما
غيرهم من مجاوريهم من المسلمين فاحسن لهم باستنقاذك من العلاج وطبهم باستصلاحك
فيما الطب المنصورى والملكى ما زال يصلح المزاج والله الموفق بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى *
واستمر قلاوون فى السلطنة فكان له مشاهد حسنة وفتوحات منها طرابلس وقد كانت فى ايدى
الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة والى الآن وهو الذى احدث وظيفة كتابة السر واحدث اللعب بالرمح
ايام ادارة المحمل وكسوة الكعبة وغير ملابس الدولة عما كانوا عليه فى دولة بنى ايوب قال الصلاح
الصفدى كان الجند يلبسون فيما تقدم كلوتات صفر مضربة بكلبندات بغير شاشات وشعورهم
مضفورة دبابيق فى اكياس حرير ملونة وفى خواصرهم موضع الحوائص بنود ملونة واكمام اقبيتهم
ضيقة واخفافهم برغالى ومن فوقها شهم بحلق وابنوس وجلوازكير بيسع نصف ويبة او اكثر
فابطل المنصور ذلك كله باحسن منه واقام فى السلطنة الى ان توفى يوم السبت سادس ذى القعدة
سنة تسع وثمانين واقيم بعده ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل فلما كان يوم الجمعة رابع
عشر شوال سنة تسعين سأل الاشرف الخليفة الحاكم بامر الله ان يخطب بنفسه الناس وان
يذكر فى خطبته انه قد ولى السلطنة الاشرف خليل بن المنصور فلبس الخليفة خلعة سوداء وخطب
الناس بجامع القلعة ورسم لقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة من ثم ان يخطب بالقلعة عند
السلطان فخطب يوم الجمعة التى خطب فيها الخليفة واستمر يخطب ويستنيب فى الجامع الازهر
ثم امر الاشرف بقراءة ختمة عند قبر الملك المنصور فى ليلة الاثنين رابع ذى القعدة فحضرها القضاة
والامراء والاعيان ونزل السلطان ومعه الخليفة اليهم وقت السحر وخطب الخليفة بعد الختمة
خطبة بليغة حرض الناس فيها على غزو بلاد العراق والاستنقاذ منها من ايدى التتار واستمر الاشرف
فى السلطنة الى ان قتل بتروجة فى ثالث المحرم سنة ثلاث وتسعين ونقل فدفن فى مدرسته التى انشاها
بالقرب من السيدة نفيسة وقال ابن حبيب يرثيه

تبا لاقوام لما لك ذقهم ... قتلوا ومارتوا الحالة مترف
وافوه غدرا ثم صالوا جملة ... بالمشرفى على المليك الاشرف

وأقيم اخوه ناصر الدين ابو الفتوح محمد ولقب الملك الناصر وعمره يومئذ تسع سنين واستمر الى حادى

عشر المحرم سنة اربع وتسعين فخلع وتسلطن زين الدين كتبغا المنصوري من سبي التتار ولقب الملك العادل فاقام الى صفر سنة ست وتسعين فخلع وتسلطن حسام الدين لاجين المنصوري وشق القاهرة وعليه الخلعة الخليفتية والامراء بين يديه مشاة وجاء في تلك السنة غيث عظيم بعد ما كان تاخر فقال الوداعي في ذلك

يا ايها العالم بشراكم ... بدولة المنصور رب الفخار
فالله قد بارك فيها لكم ... فامطر الليل واضحى النهار

الى أن قتل ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين واعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان منفيا بالكرك فاحضر وقلده الخليفة يوم السبت رابع جمادى الاولى وشق القاهرة وعليه خلعة الخليفة والجيش مشاة بين يديه فاقام الى سنة ثمان وسبعمائة فخرج في رمضان قاصدا الحج فاجتاز بالكرك فاقام بها ثم كتب كتابا الى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة فاثبت ذلك على القضاة بمصر ثم نفذ على قضاة الشام واقيم في السلطنة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري وذلك يوم السبت الثالث والعشرين من شوال ولقب الملك المظفر وقلده الخليفة والبسه الخلعة السوداء والعمامة المدورة وركب بذلك وشق القاهرة والدولة بين يديه والصاحب ضيا الدين النشاي حامل التقليد من جهة الخليفة في كيس اطلس اسود وأوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ثم نفذ التقليد الى الشام فقرئ هناك ثم عاد الملك الناصر من الكرك طالبا عوده الى مملكه وبايعه على ذلك جماعة من الامراء فبلغ ذلك المظفر بيبرس فاستدعى بالشيخ زين الدين بن المرحل وبالشيخ شمس الدين بن عدلان واستشارهما فاشارا عليه بتجديد العهد من الخليفة وتحليف الامراء ففعل ذلك وكتب له عهد من الخليفة صورته انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وخليفة رسوله صلى الله عليه وسلم ابي الربيع سليمان العباسي لامراء المسلمين وجيوشها يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واني رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين بيبرس نائبا عني لملك الديار المصرية والبلاد الشامية واقمته مقام نفسي لدينه وكفايته واهليته ورضيته للمؤمنين وعزلت من كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك ورأيت ذلك متعينا علي وحكمت بذلك الحكام الاربع واعلموا رحمكم الله ان الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالفا عن سالف ولا اكابرا عن كابر وقد استخرت الله تعالى وليته عليكم الملك المظفر فمن اطاعه فقد اطاعني ومن عصاه فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى ابا القاسم ابن عمي صلى الله عليه وسلم وبلغني ان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور شق العصا على المسلمين وفرق كلمتهم واطمع عدوهم فيهم وعرض البلاد الشامية والمصرية الى سبي الحريم والاولاد وسفك الدماء فتلك دماء قد صانها الله تعالى من ذلك وانا خارج اليه ومحاربه ان استمر على ذلك وادافع عن حريم المسلمين وانفسهم واولادهم بهذه الامراء والجيش العظيم واقاتله حتى يفيء الى امر الله وقد اوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لواء اللواء الشريف فقد اجمعت الحكام على وجوب دفعه

وقتاله ان استمر على ذلك وانا استصحب معي الملك المظفر فجهزوا واراحكم والسلام وقرئ هذا العهد على منابر الجوامع بالقاهرة واما الناصر فانه سار من الكرك بمن معه في اول شعبان سنة ثمان وسبعمائة فاتى دمشق فانتظم امره ثم توجه الى مصر فلما بلغ ذلك المظفر بيبرس اخذ جميع ما في الخزائن من الاموال وتوجه الى جهة اسوان فدخل الناصر الى مصر يوم عيد الفطر وصعد القلعة وجلس على سرير الملك وحلفت له العساكر ثم توجه الى المظفر من احضره واعتقله ثم خنقه في خامس عشر شوال وقال العلاء الوداعي في عود الناصر الى ملكه

الملك الناصر قد اقبلت ... دولته مشرقة الشمس
عاد الى الكرسية مثلما ... عاد سليمان الى الكرسي

وقال الصلاح الصفدي

تثنى عطف مصر حين وافى ... قدوم الناصر الملك الخبير
فزال الجهد كيف بلا لقاه ... وأمسى وهو ذو جاش نكير
اذا لم تعضد الاقدار شخصا ... فاول ما يراع من النصير

وشرع الناصر يعاتب الناس في امره فقال للخليفة هل انا خارجي وبيبرس من سلالة بني العباس وقال للقاضي علاء الدين بن عبد الظاهر وكان هو الذي كتب عهد المظفر عن الخليفة يا اسود الوجه وقال للقاضي بدر الدين بن جماعة كيف تفتي المسلمين بقتالي فقال معاذ الله ان تكون الفتوى كذلك وانما الفتوى على مقتضى كلام المستفتي ثم عزله عن القضا وعزل القاضيين شمس الدين السروجي الحنفي والحنبلي وابقى المالكي لكونه كان وصيا عليه من جهة ابيه قلاوون وقال للشيخ صدر الدين بن المرحل كيف تقول في قصيدتك

ما للصبي وما للملك يكفله ... شان الصبي بغير الملك ما لوف

فلف ابن المرحل ما قاله هذا وانما الاعداء زادوا هذا البيت في القصيدة والعفو من شيم الملوك فعفى عنه وجاء الشيخ شمس الدين بن عدلان يستاذن فقال الناصر للدوادار قل له انت افتيت انه خارجي وقتاله جائز ما الان عندك دخول ولكن عرفه انه وابن المرحل يكفيهما ما قال الشار مساحي في حقهما وكان الاديب شهاب الدين احمد بن عبد الدائم الشار مساحي الماجن قال

ولى المظفر لما فاته الظفر ... وناصر الحق وافى وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فئة ... كادت على عصبة الاسلام تنتشر
فقل لبيبرس ان الدهر البسه ... اثواب عارية في طولها قصر
لما تولى تولى الخير عن امم ... لم يحمدوا امره فيها ولا شكروا
وكيف تمشي به الاحوال في زمن ... لا النيل اوفى ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته ... وابن المرحل قل لي كيف ينتصر

وقال

وكان النيل لم يوف سنة تولى المظفر وارتفع السعر * قلت الكل مظلومون مع الناصر فانهم افتوا بالحق ولكن جبروت وظلم وعسف وشوكة وصبى وجهل فمن يخاطب الانسان واستمر الناصر في السلطنة بلا منازع فخج خفيفا في سنة اثنتى عشرة من طريق الكرك وعاد إلى دمشق ثم حج من القاهرة سنة تسع عشرة ومعه قاضي القضاة البدر بن جماعة والامراء وغالب ارباب الدولة وكان خروجه في سادس ذي القعدة وابطل في هذه السنة مكوس الحرمين وعوض اميري مكة والمدينة عنها اقطاعات بمصر والشام ومهد ما كان في عقبة ايليا من الصخور ووسع طريقها واتفق في هذه السنة ان كريم الدين ناظر الخاص خضر الياس الكعبة الكسوة فصعد الكعبة وجلس على العتبة يشرف على الخياطين فانكر الناس استعلاءه على الطائفين فسقط لوقته على رأسه وصرخ الناس صرخة عظيمة تعجبا من ظهور قدرة الله وانقطع ظهره ولولا تداركه من تحته لهلك وعلم بذنبه فتصدق بمال جزيل ثم حج الناصر حجة ثالثة في سنة اثنتين وثلاثين وهو الذي حفر الخليج الناصري الداخل من قنطرة قديدار وعزم على ان يجرى النيل تحت القلعة ويشق له من ناحية حلوان فثبطه عن ذلك فخر الدين ناظر الجيش وقال انه يحتاج الى ثلاث خزائن من المال ولا يدرى هل يصح اولا فرجع عنه واستمر الناصر الى ان مات يوم الاربعاء عشر ذي الحجة سنة احدى واربعين وهو اطول ملوك الترك مدة واقيم بعده ولده سيف الدين ابو بكر ولقب الملك المنصور فاقام دون الشهرين ثم خلع في يوم الاحد العشرين من صفر سنة اثنتين واربعين ونفى هو واخوته الى قوص وتهتك حريم ابيه الناصر وكثر البكاء والعويل بالقاهرة وكان يوما من اشنع الايام ثم قتل بقوص واقيم بعده اخوه علاء الدين كجك ولقب الملك الاشرف وعمره دون ست سنين فقال بعض الشعراء في ذلك

سلطاننا اليوم طفل والاكابر في ... خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
فكيف يطمع من تغشاه مظلمة ... ان يبلغ السؤل والسلطان ما بلغا

فاقام خمسة اشهر ثم خلع في اول شعبان واعتقل بالقلعة الى ان مات سنة ست واربعين قال صاحب السكردان والله اعلم كيف موته واقيم اخوه شهاب الدين احمد ولقب الملك الناصر وكان قدم من الكرك وكان الذي عقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقي الدين السبكي وقد حضر من الشام الى مصر قال في السكردان فاقام في الملك بمصر اربعين يوما ثم رجع الى الكرك ولم يزل هناك حتى خلع يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث واربعين ثم قتل في اول سنة خمس واربعين واقيم بعده اخوه عماد الدين اسمعيل ولقب الملك الصالح فاقام الى ان مات في رابع ربيع الآخر سنة ست واربعين وعمره نحو عشرين سنة وقال الصلاح الصفدي يرثيه

مضى الصالح المرجو للباس والندى ... ومن لم يزل يلقى المنى بالمنائح
فيا ملك مصر كيف حالك بعده ... اذا نحن اشفينا عليك بصالح

واقيم بعده اخوه زين الدين شعبان ولقب الملك الكامل وقال الجمال بن نباتة في ذلك

طلعة سلطاننا تبدت بكامل السعد في الطلوع
فاعجب لها منه كيف ابدت هلال شعبان في ربيع

وقال ايضًا

شعبان سلطاننا المرجّى ميارك الطالع البديع
يا بهجة البدر اذ تبدّى هلال شعبان في ربيع

فاقام سنة واياما ثم خلع في جمادى الاولى سنة سبع واربعين وسجن وقتل وكان من شرار الملوك ظلما وعسفا وفسقا فقال فيه الصلاح الصفدي

بيت قلاوون سعادا تُه في عاجل كانت وفي آجل
حلّ على املاكه للردى دَين قد استوفاه بالكامل

واقيم بعده اخوه زين الدين حاجي ولقب الملك المظفر فاقام سنة وثلاثة اشهر ثم خلع في يوم الاحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان واربعين وذبح من ساعته وقال فيه الصلاح الصفدي

ايها العاقل اللبيب تفكر في المليك المظفر الضرغام
كم تمادى في البغي والغي حتى كان بعث الحمام حد الحمام

وقال ايضًا

حان الردى للمظفر وفي التراب تعفر
كم قد اباد أميرًا على المعالي توفر
وقاتل النفس ظلما ذنوبه ما تكفر

واقيم بعده اخوه ناصر الدين ابو المحاسن حسن ولقب الملك الناصر وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فاقام الى ان خلع في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسجن بالقلعة وأقيم بعده اخوه صالح ولقب الملك الناصح وجعل شيخو اتابكه فاقام الى ان خلع في شوال سنة خمس وخمسين وحبس بالقلعة وأعيد الناصر حسن فاقام الى ان قتل ليلة الاربعا تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وستين واقيم بعده ابن اخيه ناصر الدين ابو المعالي محمد بن المظفر حاجي ولقب الملك المنصور فاقام الى ان خلع في شعبان سنة اربع وستين وسجن بالقلعة الى ان مات سنة احدى وثمانين واقيم بعده ابن عمه ابو المفاخر شعبان بن الامير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ولقب الملك الاشرف وعمره يومئذ عشر سنين واستقر اتابكه يلبغا العمري ثم ان يلبغا قتل بايدي مماليكه في سنة ثمان وستين وكان ساكنا بالكبش فقال فيه بعض الشعرا

بدا شقا يلبغا وعدت عداه في سفنه اليه
والكبش لم يُفِدْه واضحت تنوح غربانه عليه

واقيم اسندمر الناصري اتابكا فاتفقت معه مماليك يلبغا فركبوا على الاشرف فهزموا ونصبر

الاشرف وقال بعض الشعراء في ذلك

هلال شعبان جهرًا لاح في صفر بالنصر حتى اري عيدًا بشعبان
واهل كبش كاهل الفيل قد اخذوا رغاوما انتطحت في الكبش شاتان

ثم اقيم الجاي اليوسفي اتابكا وهو زوج امّ الاشرف فاتفق موت امّ الاشرف فقال شهاب الدين السعدي متغاولا بالجاي

في مستهل العشر من ذي حجة كانت صبيحة موت امّ الأشرف
فالله يرحمها ويعظم اجره ويكون في عاشور موت اليوسفي .

فاتفق ان وقع الامر كذلك ركب الجاي على الاشرف في سابع المحرم فكسره وطلب يوم الثامن فساق حتى ارمى نفسه في البحر فغرق ثم اخرجه الغواصون ودفن في تاسع المحرم ثم ان الاشرف تاهب للحج وسافر في شوال سنة ثمان وسبعين وصحبته الخليفة والقضاة والامراء فلما وصل الى العقبة ركب عليه من معه من الامراء والجند فانكسر السلطان ورجع هاربًا الى مصر فاختفى بها قال الحافظ ابن حجر اخبر الشيخ بدر الدين السلسولي احد علماء المالكية وصلحائهم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الاشرف للحج وحضر يقول له شعبان بن حسين يريد ان يحج الينا فقال لا ما ياتينا ابدًا فلم يلبث الاشرف ان رجع من العقبة قال ابن حجر وعرض طشتمر على الخليفة ان يتسلطن فامتنع وقال بل اختاروا من شئتم وانا اوليه ورجع هو والقضاة الى مصر ثم انهم ظفروا بالاشرف فخنقوه واقيم بعده ولده علاء الدين علي وهو صبي ولقب الملك المنصور فاقام الى ان مات في صفر سنة ثلاث وثمانين وعمره يوم مات اثنتا عشرة سنة وكان التدبير في ايامه لاينبك البدري ثم لقرطاي ثم لبرقوق واقيم بعده اخوه صلاح الدين حاجي بن الاشرف شعبان ولقب الملك الصالح وسنّه حينئذ تسع سنين ثم خلع في رمضان سنة اربع وثمانين واقيم في السلطنة سيف الدين ابو سعيد برقوق بن انص ولقب الملك الظاهر وهو اول السلاطين من الجراكسة وليس فيهم من تسلطن وابوه مسلم غيره فانه اباه قدم الى الديار المصرية فاسلم ومات قبل سلطنة ولده بشهر وكان الذي اشار بلقب برقوق بالظاهر شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني فان ولايته كانت وقت الظهر وخطب الخليفة قبل ان يفوض اليه خطبة بليغة ثم قلده بحضرة البلقيني والقضاة واستمر في السلطنة الى ثالث جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين فخلع وسجن بالكرك واعيد حاجي الى السلطنة ولقب الملك المنصور فاقام الى صفر سنة اثنتين وتسعين وخلع وعاد برقوق الى السلطنة فاستمر الى ان مات في شوال سنة احدى وثمانمائة واقيم بعده ولده زين الدين ابو السعادات فرج ولقب الملك الناصر وقال بعض الشعراء في ولايته

معنى الظاهر السلطان الكبير مالك الزمان يرى الى الخير كله في الدرج
غاب واستاتي بشدة بعد سوء سنة فاكن هم يلقب بالناصر فرج

فاقام الى سادس ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة فخلع واقيم اخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ثم خلع فى رابع جمادى الآخرة من السنة واعيد الناصر فرج فاقام الى ان خرج عليه شيخ المحمودى وقاتله وحصره وظفر به وسكم ابن العديم بسيف الشرع وذلك فى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة واقيم الخليفة المستعين بالله ابو النصر العباسى سلطانا مستقلا بالأمر وحلف له الامراء على الوفاء ولم يغير لقبه فاقام يتصرف بالولاية والعزل وغيرهما ثم ساله شيخ ان يفوض اليه السلطنة على العادة فأجابه الى ذلك فى شعبان من السنة وبقيت الخلافة باسمه واستقر شيخ فى السلطنة ولقب بالملك المؤيد وكان من خيار الملوك ترجمه الحافظ ابن حجر فى معجمه واثنى عليه وقال ابن مثله بل اين ابن مثله وكان معه اجازة بصحيح البخارى من شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى فكانت لافتقاره سفرا ولا حضرا واقام الى ان توفى فى ثامن محرم سنة اربع وعشرين واقيم بعده ولده احمد ولقب بالملك المظفر وعمره يومئذ سنتان وجعل ططر مدبر المملكة ولقب نظام الملك فلما كان سلخ شعبان من السنة خلع من الملك لصغره واقيم ططر ولقب الملك الظاهر فاقام الى ان مات فى سادس ذى الحجة من السنة واقيم بعد ططر ولده محمد ولقب الملك الصالح وجعل برسباى نظام الملك فلما كان فى ثامن ربيع الآخر خلع سنة خمس وعشرين واقيم برسباى ولقب الملك الاشرف فاقام الى ان مات فى ذى الحجة سنة احدى واربعين واقيم ولده يوسف ولقب الملك العزيز وجعل جقمق نظام الملك فلما كان فى سنة اثنتين واربعين خلع واقيم جقمق ولقب الملك الظاهر فاقام الى ان مات سنة سبع وخمسين واقيم ولده عثمان ولقب الملك المنصور فمكث شهرا ونصفا ثم خلع فى ربيع الأول واقيم اينال العلاى ولقب الملك الاشرف فاقام الى ان مات فى جمادى الأولى سنة خمس وستين واقيم ولده احمد ولقب الملك المؤيد ثم خلع فى رمضان من السنة واقيم خشقدم الناصرى ولقب الملك الظاهر فاقام الى ان مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين واقيم قايتباى العلاى ولقب الملك الظاهر فاقام نحو شهرين وخلع واقيم تمربغا ولقب الملك الظاهر فاقيم ايضا نحو شهرين وخلع فى رجب * واقيم سلطاننا العصر الملك الاشرف قايتباى المحمودى * فاقام الى ان مات ليلة الاثنين ثانى عشر ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة واقيم ولده محمد ولقب الملك الناصر ابو السعادات محمد وقتل فى يوم الاربعا منتصف ربيع الأول سنة اربع فولى بعده خاله قانصوه الغورى يوم الجمعة سابع عشرة ثم خلع اول الحجة سنة خمس وولى بعده خاله جان بلاط ولقب الاشرف ثم خلع فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ست وولى طومان باى ولقب العادل ثم خلع يوم عيد الفطر من السنة المذكورة وولى قانصوه الغورى ولقب الاشرف ثم اقام فى الملك الى ان خرج من مصر فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فى جيش كبير الى البلاد الحلبيه لملاقاة السلطان سليم بن عثمان فوقع المصاف بينهما بمرج دابق فى خامس عشر رجب من السنة المذكورة فمات فى ذلك حتف انفه ولم توجد جثته ثم فى يوم الجمعة رابع عشر

شهر رمضان من السنة المذكورة تولى طومان باى الدوادار بن اخى الغورى ولقب الاشرف ثم ان السلطان سليم بن عثمان دخل مصر فى يوم الخميس سلخ الحجة وقتل طومان باى يوم الاثنين حادى عشرين ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة واقام بمصر الى ان رحل عنها فى رابع عشرين شعبان من السنة المذكورة وخلف عليها خاير بك المحمدى ثم ان ابن عثمان مات ببلاد الروم فى ليلة السبت تاسع شوال سنة ست وعشرين وقام بعده فى الملك ولده سلطان المصر سليمان فنصره الله تعالى ثم مات خاير بك فى ثالث عشرى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ثم ولى بعد خاير بك مصطفى احد وزراء السلطان سليمان ثم فى شهر رمضان قدم من الروم امير لنيابة مصر يسمى قاسم ثم جاء من بعده احمد باشاه ثم من بعده سليمان باشاه ثم من بعده سليمان باشاه خسرو ثم من بعد خسرو اميد سليمان باشاه ثم من بعده الزينى داود باشاه متوليها الآن ادامه الله تعالى وقد نظم بعضهم اسماء بعض السلاطين فى ارجوزة وهو حمزة بن على الحسنى هذيلا على ارجوزة الجزار عقب ذكر الملك الظاهر فقال

ثم تولى الملك السعيد ... وكل يوم فى ذراه عيد
ثم اخوه العادل استقلا ... بالملك اياما بها وولى
ثم تولى الملك المنصور ... ومن جرى بنصره المقدور
ثم تولاها المليك الاشرف ... ومن غدى بكل جود يعرف
ثم تولاها المليك الناصر ... وماله فى نصره موازر
ثم الامير كتبغا العادل ... وما جرى فى وقته فسائلوا
وبعده لاجين المنصور ... وهو له بلاؤها مشهور
ثم بها الناصر عاد ثانيه ... ولم ينل فى ملكه امانيه
ثم حوى الامير بها المظفر ... ليقضى امر ربنا المقدر
ثم بها الناصر عاد ثالثه ... وبجله للمنصور كان وارثه
وبعده الاشرف وهو يافع ... فلا مانع ولا مدافع
ثم تولى الناصر بن الناصر ... وبعده الصالح ذو المآثر
اعنى ابا الفدا اسماعيلا ... طاب سره اعنى به جميلا

هذا آخر ما نظمه وقد ذيلت عليه فقلت

وبعده شعبان وهو الكامل ... وبعده المظفر المساهل
وبعده الناصر واسمه حسن ... وبعده الصالح فى البرج انجبن
ثم اعيد حسن وبعده ... محمد المنصور اوهى عهده
وبعده شعبان وهو الاشرف ... وهو ابن عشر امره مستضعف
وبعده المنصور واسمه على ... وبعده الصالح حاجى قد ولى

وبعده برقوق وهو الظاهر ... ثم اعيد الصالح المناصر
ولقبوه الملك المنصورا ... ثم اعادوا الظاهر المذكورا
وبعده الناصر واسمه فرج ... وبعده عبد العزيز قد خرج
ولقب الملك المنصور ثم امسكا ... واحضر الناصر حتى ملكا
وبعد هذا بويع الخليفة ... ذو الرتبة العالية المنيفة
المستعين الاعظم العباس ... فاستوسق الامر وسر الناس
وبعد هذا ملك المؤيد ... شيخ وبعده المظفر احمد
وبعده الظاهر واسمه ططر ... ثم ابنه الصالح لما ان غبر
ثم برسباى وذاك الاشرف ... ثم ابنه الملك العزيز يوسف
وبعده الظاهر وهو جقمق ... ثم ابنه المنصور ثم اطلقوا
وبعده اينال وهو الاشرف ... ثم ابنه المؤيد المنصرف
وبعده خشقدم ثم اليث الوغى ... وبعده يلباى ثم بغا
والكل بالظاهر وسما يوصف ... وبعد هم جاء المليك الاشرف
اقام في الملك ثلاثين سوى ... سبع شهور روحوى ما قد حوى
وسلطنوا ولده محمدا ... ولقب الناصر رغما للعدى

ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع

قال ابن سعد في الطبقات اخبرنا محمد بن عمر حدثني قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن زاذان عن سلمان ان عمر بن الخطاب قال له املك انا ام خليفة فقال له سلمان ان انت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ثم وضعته في غير حقه فانت ملك غير خليفة فاستعبر عمر وقال اخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد العزيز بن الحارث عن ابيه عن سفيان بن ابي العوجا قال قال عمر بن الخطاب والله ما ادري الخليفة انا ام ملك فان كنت ملكا فهذا امر عظيم قال قائل يا امير المؤمنين ان بينهما فرقا قال ما هو قال الخليفة لا ياخذ الا حقا ولا يضعه الا في حق وانت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيما خذ من هذا ويعطي هذا فسكت عمر

ذكر من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح

قال ابن فضل الله في المسالك ذكر علي بن سعيد ان الاصطلاح ان لا تطلق هذه التسمية الا على من يكون في ولايته ملوك فيكون ملك الملوك فيملك مثل مصر او مثل الشام او مثل افريقية او مثل الاندلس ويكون عسكره عشرة آلاف فارس او نحوها فان زاد بلادا او عددا في الجيش كان اعظم

في السلطنة ويجاز ان يطلق عليه السلطان الاعظم فان خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ومثل افريقية والمغرب الاوسط والاندلس كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية

ذكر ما يلقب به ملك مصر

قال الكندي قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر فحكى ان اسم ملكها العزيز وذكر جماعة من المفسرين ان فرعون لقب لكل من ولي مصر ولعل هذا خاص بملوك الكفر

ذكر جلوس السلطان في دار العدل للظالم

قال ابن فضل الله اذا جلس السلطان للظالم جلس عن يمينه قضاة القضاة من المذاهب الاربعة ثم الوكيل عن بيت المال ثم الناظر في الحسبة ويجلس عن يساره كاتب السر وقوامه ناظر الجيش وجماعة للموقعين تكملة حلقة دائرة وان كان ثم وزير من ارباب الاقلام كان بينه وبين كاتب السر وان كان الوزير من ارباب السيوف كان واقفا على بعد مع بقية ارباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاح دائرة والجمدارية والخاصكية ويجلس على بعد تقديره خمسة عشر ذراعا من يمينه ويسرة ذوو السن من اكابر امراء المشين وهم امراء المشورة ويليهم من بعدهم من اكابر الامراء وارباب الوظائف وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء امراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاحضار قصص الناس واحضار المتاكين وتقرأ عليه فما احتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيه وما كان متعلقا بالعسكر تحدث مع الخاص وكاتب السر فيه قال وهذا الجلوس يكون يوم الاثنين ويوم الخميس الا ان القضاة وكاتب السر لا يحضرون يوم الخميس قال ومن عادته اذا ركب يوم العيدين ويوم دخول المدينة يركب وعلى راسه العصائب السلطانية وهي صفر مطرزة بذهب بالقاب واسمه وترفع المظلة على راسه وهي قبة مغشاة باطلس اصفر مزركش عليها طائر من فضة مذهبة يحملها بعض امراء المشين الاكابر وهو راكب فرسه الى جانبه واما مه الطبردارية مشاة وبايديهم الاطبار قلت العصائب المذكورة حرام وقد بطلت الآن ولله الحمد

ذكر عساكر مملكة مصر

قال ابن فضل الله في المسالك واما عساكر هذه المملكة فمنهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من فوق في اقطار المملكة وبلادها ومنهم سكان بادية كالعرب والتركمان وهم جنسها مختلط من اتراك وجركس وروم واكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المباعين وهم طبقات اكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة الف فارس ومن هذا القبيل يكون اكابر النواب ومن دونهم بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم امراء الطبلخاناة ومعظمهم من يكون له امرة اربعين فارسا

وقد يزيد الى السبعين ولا تكون الطبلخاناة الا قل من اربعين ثم امراء العشرات ومنهم من يكون له عشرون فارسًا ولا يُعد الا في امراء العشرات ثم جند الحلقة وهؤلاء لكل اربعين نفرًا منهم مقدم ليس له حكم عليهم الا اذا خرج العسكر كانت مرافقتهم معه وترتيبهم في موقفهم اليه ويبلغ بمصر اقطاع بعض اكابر الامراء المئين المقربين من السلطان مائتي الف دينار جيشية واما غيرهم فدون ذلك ودون دونه الى ثمانين الف دينار وما حولها واما العشرات فنهايتها سبعة آلاف دينار الى ما دون ذلك واما اقطاعات جند الخليفة فمنه ما يبلغ الفًا وخمسمائة دينار وما دون ذلك الى مائتين وخمسين دينارًا واما اقطاعات امراء الشام فعلى الثلاثين من مصر

ذكر ارباب الوظائف في هذه المملكة

قال ابن فضل الله الوظائف الكبار من ذوي السيوف * امرة سلاح * الدواداري * الجوبية * امرة جاندار * الاستاذدارية * المهمندارية * نقابة الجيوش * ومن ذوي الاقلام الوزارة * كتابة السر نظر الجيش * نظر الاموال * نظر الخزانة * نظر البيوت * نظر بيت المال * نظر الاسطبلات ومن ذوي العلم القضاة * الخطبا * وكالة بيت المال * الحسبة * قال وكانت وظيفة تسمى نيابة السلطان ابطلها الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان النائب اولاً سلطانًا مختصرًا وكان هو الذي يغرق الاقطاعات ويعين الامرة والوظائف ويتصرف التصرف المطلق في كل امر الا في ولاية المناصب الجليلة كالقضا والوزارة وكتابة السر لكن يعرض عليه للسلطان من يصلح وقل ان لا يجاب وكان يسمى كافل الممالك والسلطان الثاني واما الوزارة فكان يليها من ارباب السيوف والاقلام على قدر ما يتفق وكان الوزير ثاني النائب في المكانة قال وقد ابطل الناصر الوزارة ايضًا واستقل هو بما كان يفعله النائب والوزير واستجد وظيفة يسمى مباشرها ناظر الخاص اصل موضوعها ان يكون مباشرها مستحدثًا فيما هو خاص من مال السلطان يتحدث في مجموع الامر في الخاص بنفسه وفي العام باخذ رأيه فيه فبقي بسبب ذلك كاتبه الوزير لقربه من السلطان واول من ولي هذه الوظيفة كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد ولما امرة سلاح فموضوعها ان صاحبها مقدم السلاح داريه والمتولي بحمل سلاح السلطان في المجامع الجامعة وهو المحدث في السلاح خانا وتصلفاتها وهو من امراء المئين والدواداري موضوعها ان صاحبها يبلغ الرسائل عن السلطان ويقدم القصص اليه ويشاور على من يحضر الى الباب ويقدم البريدا اذا حضر ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب والجوبية موضوعها ان صاحبها ينصف من الامراء والجند وهو المشار اليه في الباب والنائم مقام البواب في كثير من الامور وامرة جاندار صاحبها كالمتسلم للباب وهو المتسلم للزردخاناة ومن اراد السلطان قتله كان على يد صاحب هذه الوظيفة والاستاذدارية صاحبها اليه امر

بيوت السلطان كلها من المصالح والنفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك وهو من امراء المئين ونقابة الجيش صاحبها كاحد الحجاب الصغار وله تحلية الجند فى عرضهم واذا امر السلطان باحضار أحد او الترسيم عليه فهو صاحب ذلك والولاية صاحبها هو صاحب الشرطة واما الوزارة فصاحبها ثانى السلطان اذا انصف وعرف حقه ولكن فى هذه المدة تقدمت عليها النيابة وتلاشت الوزارة وتقهقرت فصار المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدى الحديث فى المال ولا يتسع له فى التصرف بحال ولا يعهد به فى الولاية والعزل كتطلع السلطان الى الاحاطة بمجريات الاحوال ثم ان السلطان ابطل هذه الوظيفة وعطل جيد الدولة من عقودها وصار ما كان الى الوزير منقسما الى ثلاثة الى ناظر المال او شادّ الدواوين امر تحصيل المال ومصرف النفقات والكلف والى ناظر الخاص تدبير جملة الامور وتعيين المباشرين والى كاتب السر التوقيع فى دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورة واستقلالا ثم ان كلا من المحدثين الثلاثة لا يقدر على الاستقلال بأمر الا بمراجعة السلطان ومن وظيفة كتابة السر قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها وتصريف المراسيم وردا وصدورا واما ناظر الجيش فلصاحبه النظر فى الاقطاعات ومعه من المستوفين ما يحرر كليات المملكة وجزئياتها واما ناظر الخزانة فكانت وظيفة كبيرة الموضع لانها مستودع اموال المملكة فلما استحدثت وظيفة الخاص ضعف امرها وغالب ما يكون ناظرها من القضاة او نحوهم واما ناظر البيوت فمنوط بالاستاذ دارية فكل ما يتحدث فيه الاستاذ دار فيشارك فيه واما ناظر بيت المال فوظيفة جليلة موضوعها حمل حمول المملكة الى بيت المال والتصرف فيه تارة بالميزان وتارة بالتسبيب بالاقلام ولا يلى هذه الوظيفة الا من هو من ذوى العدالة المبرزة واما ناظر الاصطبلات فلصاحبه الحديث فى انواع الاصطبل والمناخاة وعلفها وارزاق خدمها وما يبتاع لها واما وظائف اهل العلم فمعروفة مشهورة لا تخلو مملكة من ممالك الاسلام منها هذا كله كلام ابن فضل الله ذكر فى التاريخ ان الخليفة المقتفى بالله نقل المظفر بن جهير من الاستاذ دارية الى الوزيرية فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال بعضهم وذلك اول ما سمع بوظيفة الاستاذ دارية فى الدول وقال بعض المؤرخين لما تولى الظاهر بيبرس احب أن يسلك فى مملكه بالديار المصرية طريقة جنكزخان ملك التتار وامرؤ ففعل ما امكنه ورتب فى سلطنته اشياء كثيرة لم تكن قبله بديار مصر مثل ضرب البوقات وتجديد الوظائف فاحدث امير سلاح وامير مجلس ورأس نوبة الامرآء وامير اخور وحاجب الحجاب والدوادار والجمدار وامير شكار وموضوع امير سلاح انه يتحدث على السلاح دارية ويناول السلطان آلة الحرب والسلاح يوم القتال ويوم الاضحى ولم تكن ربتته فى زمن الظاهر ان يجلس فى ميسرة السلطان انما كان يجلس فى هذا الموضع اطابك ثم فى زمن الناصر بن قلاوون

كان يجلس فيه راس نوبة الامراء وموضوع امير مجلس انه يحرس مجلس السلطان وفرشه ويتحدث على الاطباء والكحالين ونحوهم وكانت وظيفة جليلة اكبر قدرا من امير سلاح وراس نوبة وظيفة عظيمة عند التتار ويفخرون فيها التتين ولما احدثها الظاهر بمملكة مصر كان صاحبها يسمى راس نوبة الامراء ومعناه اكبر طائفة الامراء وهو اكبر من امير مجلس وامير سلاح وهو في مرتبة الامير الكبير الآن ولم يكن احد يسمى بالامير الكبير اذ ذاك الى ان ولي هذه الوظيفة شيخ العمري في زمن السلطان حسن فلقب بالامير الكبير زيادة على التلقيب براس نوبة الامراء وهو اول من لقب بالامير الكبير كما ذكره وموضوع امير اخور النظر في علف الخيل واخور بالجبهة المدور الذي ياكل فيه الفرس والحاجب كان في الزمن الاول من ايام الخلفاء الذي يحجب الناس عن الدخول على الخليفة وكان يسمى فاحاجب عمر بن الخطاب ثم عظمت الحجوبية في ايام الناصر ابن قلاوون والدوادار كان في زمن الخلفاء ايضا وهو الذي يحمل الدواة ويحفظها ومعناه ماسك الدواة واول من احدث هذه الوظيفة الملوك السلجوقية وكانت في زمنهم وزمن الخلفاء لرجل متعمم ثم صارت في زمن الظاهر لامير عشرة والجمدار ماسك البقجة التي للقماش

ذكر قضاة مصر

قال ابن عبد الحكم اول قاض استقضي بمصر في الاسلام كما ذكر سعيد بن عفير بن قيس بن ابي العاص سنة اربع وعشرين فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذ يستقضي كعب بن يسار بن صنة قال ابن ابي مريم وهو ابن بنت خالد بن سنان العبسي الذي تنبا في الفترة بين عيسى بن مريم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى كعب ان يقبل القضا وقال قضيت في الجاهلية ولا اعود اليه في الاسلام حدثنا سعيد بن عفير حدثنا ابن لهيعة قال كان قيس ابن ابي العاص بمصر ولاه عمرو بن العاص القضا وقد قيل ان اول من استقضي بمصر كعب ابن صنة بكتاب عمر بن الخطاب فلم يقبل حدثنا المقرئ عبد الله بن يزيد انبانا حيوة بن شريح انبانا الضحاك بن شرحبيل المعافري ان عمار بن سعيد التجيبي اخبرهم ان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو ابن العاص ان يجعل كعب بن صنة على القضا فارسل اليه عمرو فاقراه كتاب امير المؤمنين فقال كعب والله لا يبخيه الله من امر الجاهلية وما كان فيها من الهلكة ثم يعود فيها ابدا اذ انجاه الله منها فابى ان يقبل القضا فتركه عمرو قال ابن عفير وكان حكما في الجاهلية فلما امتنع كعب ان يقبل القضا ولى عمرو بن العاص عثمان بن قيس بن ابي العاص القضا وقد كان عمر ابن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص اذ يفوض له في الشرف قال ودعا عمرو خالد بن ثابت الفهمي ليجعله على المكس فاستعفاه منه فكان شرحبيل بن حسنة على المكس وكان مسلمة بن مخلد على الطواحين طواحين البلقس واقام عثمان على القضا الى ان صرف سنة اثنتين واربعين ثم ولي سليم بن عتر التجيبي على القضا في ايام معاوية بن ابي سفيان وجعل اليه القصص والقضا

جميعا حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا حيوة بن شريح حدثنا الحجاج بن شداد الصنعانى ان
اباصالح سعيد بن عبد الرحمن الغفارى اخبره ان سليم بن عتر كان يقص على الناس وهو قائم فقال
له صلة بن الحارث الغفارى وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما تركنا محمد
نبينا ولا قطعنا ارحامنا حتى قمت انت واصحابك بين اظهرنا وكان سليم بن عتر احد العباد
المجتهدين وكان يقوم فى ليلة فيبتدى القرآن حتى يختمه ثم ياتى اهله ثم يقوم فيغتسل ثم يقرأ
فيختم ثم ياتى اهله وربما فعل ذلك فى الليلة مرارا فلما مات قالت امراته رحمك الله فوالله
لقد كنت ترضى ربك وتسر اهلك ثم لما ولى مسلمة بن مخلد البلد ولى الكتاب بن هشام بن عمرو
احد بنى مالك بن حسل شرطة وكان هشام بن عمرو احد النفر الذين قاموا فى نقض الصحيفة التى
كانت فى قريش كتبت وكان عمرو بن العاصى ولى الكتاب بن هشام شرطة بعد خارجة بن حذافة
وكان ايضا على شرطة عبد الله بن سعد بن ابى سرح ثم عزل مسلمة الكتاب وولى عابس بن ربيعة
المرادى الشرطة ثم جمع له القضا مع الشرطة وسبب ذلك ان معاوية كتب الى مسلمة يامره
بالبيعة ليزيد فاتى مسلمة الكتاب وهو بالاسكندرية فكتب الى الكتاب بذلك فبايع الكتاب
لاجل عبد الله بن عمرو بن العاصى فاعاد عليه مسلمة الكتاب فلم يفعل فقال مسلمة من لعبد الله
ابن عمرو فقال عابس بن سعيد انا فقدمه الفسطاط فبعث الى عبد الله بن عمرو فلم يات فاوقد
بالنار والحطب ليحرق عليه قصره فاتى فبايع واستمر عابس على القضا حتى دخل مروان بن
الحكم مصر فى سنة خمس وستين فقال اين قاضيكم فدعى له عابس وكان اميا لا يكتب فقال
له مروان اجمعت كتاب الله قال لا قال فاحكمت الفرائض قال لا قال فبم تقضى قال اقضى بما
علمت واسال عما جهلت قال انت القاضى فلم يزل عابس على القضا الى ان توفى سنة ثمان وثمانين
فولى عبد العزيز بن مروان بشير بن النضر المزنى القضا ثم ولى عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى
وجمع له القضا والقصص وبيت المال فكان ياخذ رزقه فى السنة الف دينار على القضا
فلم يكن يحول عليه الحول وعنده ما تجب فيه الزكاة فلم يزل على القضا حتى مات سنة ثلاث
وثمانين ويقال بل ولى فى سنة ثلاث وثمانين ومات فى سنة خمس وثمانين ثم ولى القضا مالك
ابن شراحيل الخولانى فلم يزل حتى مات فولى من بعده يونس بن عطية الحضرمى وجمع له القضا
والشرطة فلم يزل حتى مات سنة ست وثمانين فولى بعده ابن اخيه اوس ثم ولى عبد الرحمن بن
معاوية بن حديج الكندى وجمع له القضا والشرطة فتوفى عبد العزيز بن مروان وولى بعده
عبد الله بن عبد الملك فاراد عزل ابن حديج فاستحيى من عزله من غير شئ ولم يجد عليه مقالا
ولا متعلقا فولاه مرابطة الاسكندرية وولى عمر ان بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة القضا
والشرطة فلم يزل الى سنة تسع وثمانين فغضب عليه عبد الله بن عبد الملك فعزله وولى عبد
الاعلى بن خالد بن ثابت الفهمى مكانه ثم اتى عبد الله بن عبد الملك العزل وولى قرة بن شريك

العبسي الامرة فعزل عبد الاعلى وولى عبد الله بن عبد الرحمن بن نجيرة وهو ابن نجيرة الاصغر
ثم عزله سنة ثلاث وتسعين وولى عياض بن عبد الله الاشعري السلامي ثم صرف سنة
ثمان وتسعين واعيد ابن نجيرة ثم صرف واعيد فلم يزل الى سنة مائة ثم صرف وولى عبد الله
ابن خُذام ثم صرف سنة اثنتين ومائة وولى يحيى بن ميمون الحضرمي فاقام الى سنة اربع عشرة
ومائة ثم صرف ولم يكن بالمحمود في ولايته ثم ولى يزيد بن عبد الله بن خُذام ثم صرف وولى الخيار
ابن خالد المدلجي فاقام نحو سنة ومات سنة خمس عشرة ومائة وكان محمودا جميل المذهب
ثم ولى توبة بن نمر الحضرمي فاقام ما شاء الله ثم استعفى فقيل له فأشر علينا برجل نوليه فقال
كاتبي خير بن نعيم الحضرمي فولى خير سنة احدى وعشرين ومائة فلم يزل حتى صرف سنة ثمان
وعشرين ومائة وولى عبد الرحمن بن سالم بن ابي سالم الجيشاني فلم يزل الى ولاية بني العباس
سنة ثلاث وثلاثين ومائة فصرف عن القضا واستعمل على الخراج ورد خير بن نعيم فلم يزل
حتى عزل نفسه في سنة خمس وثلاثين وذلك ان رجلا من الجند قذف رجلا فخاصمه اليه
وثبت عليه بشاهد واحد فامر بحبس الجند الى ان يثبت الرجل شاهدا آخر فارسل ابو عون عبد
الملك بن يزيد فاخرج الجندي من الحبس فاعتزل خير وجلس في بيته وترك الحكم فارسل اليه
ابو عون فقال لا حتى ترد الجندي الى مكانه فلم يرد وتمم على عزمه فقال والله فأشر علينا برجل
نوليه فقال كاتبي غوث بن سليمان فولى غوث بن سليمان الحضرمي فلم يزل حتى خرج مع صالح
ابن علي الى الطائفة ثم ولى ابو خزيمة ابراهيم بن يزيد الحميري وذلك ان ابا عون ويقال صالح
ابن علي شاور في رجل يوليه القضا فاشير عليه بثلاثة نفر حيوة بن شريح وابو خزيمة وعبد
الله بن عياش الغساني وكان ابو خزيمة يومئذ بالاسكندرية فاشخص ثم اتي بهم اليه فكان
اول من نوظر حيوة بن شريح فامتنع فدعي له بالسيف والنطع فلما راى ذلك حيوة اخرج
مفتاحا كان معه فقال هذا مفتاح بيتي ولقد اشتقت الى لقاء ربي فلما راوا عزمه تركوه
فقال لهم حيوة لا تظهروا ما كان من اباي لاصحابي فيفعلوا مثل ما فعلت فنجا حيوة ثم دُعي
ابو خزيمة فعرض عليه القضا فامتنع فدعي له بالسيف والنطع فضعف قلبه ولم يحتمل
ذلك فاجاب الى القبول فاستُقضي وكان ابو خزيمة يعمل الارسان ويبيعها قبل ان يلي
القضا فمر به رجل من اهل الاسكندرية وهو في مجلس الحكم فقال لاختبرن ابا خزيمة فوقف
عليه فقال له يا ابا خزيمة احجمت الى وسن لفرسي فقام ابو خزيمة الى منزله فاخرج رسنا فباعه
منه ثم جلس وكان ابو خوشة المرادي صديقا لابي خزيمة فمر به يوما فسلم عليه فلم يرد عليه
ما كان يعرف وكان قد خوصم اليه في جدار فاشتد ذلك على ابي خوشة فشكاه الى بعض قرابته
فسال ابا خزيمة فقال ما كان ذلك الا ان خصمك خفت ان يرى سلامي عليك فيكسره ذلك
عن بعض حجته فقال ابو خوشة فاني اشهدك ان الجدار له ثم استعفى ابو خزيمة فاعفي وولى

مكانه

مكانه عبد الله بن بلال الحضرمي ويقال انما هو غوث الذي كان استخلفه حين شخص غوث الى امير المؤمنين ابي جعفر وذلك في سنة اربع واربعين ثم قدم غوث فأقره خليفة له يحكم بين الناس حتى مات عبد الله بن بلال قال يحيى بن بكير لم يزل ابو خزيمة على القضا حتى قدم غوث من الصائفة فعزل ابو خزيمة ورد غوث ثم ان غوثا شخص الى العراق فاعيد ابو خزيمة الى القضا فلم يزل حتى توفي سنة اربع وخمسين وكان ابن جريج اذ ذاك بالعراق قال فدخلت على أمير المؤمنين ابي جعفر فقال لي يا ابن جريج لقد توفي ببلدك رجل اصيبت به العامة قلت يا امير المؤمنين ذاك اذ ابو خزيمة قال نعم ثم ولي مكانه ابن لهيعة واجرى عليه في كل شهر ثلاثين دينارا وهو أول قضاة مصر أجرى عليه ذلك واول قاض استقضيناه بها خليفة وانما كان ولاة البلد هم الذين يولون القضاة فلم يزل قاضيا حتى صرف سنة اربع وستين وولي اسمعيل بن سُميع الكوفي وعزل سنة سبع وستين وكان محمودا عند اهل البلد الا انه كان يذهب الى قول ابي حنيفة ولم يكن اهل البلد يومئذ يعرفونه قال ابن عبد الحكم حدثنا ابي قال كتب فيه الليث بن سعد الى أمير المؤمنين يا امير المؤمنين انك وليتنا رجلا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا مع اناً ما علمنا في الدينار والدرهم الا خيرا فكتب بعزله وولي غوث بن سليمان على القضا فاقام حتى توفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين حدثنا ابو زكريا حماد بن مسور قال قدمت امرأة من الريف فرأت غوثا واتحا الى المسجد فشكت اليه أمرها فنزل عن دابته وكتب لها بحاجتها ثم ركب الى المسجد فانصرفت المرأة وهي تقول اصابت والله اسمك حتى سمتك غوثا انت غوث عند اسمك وقيل انه اول قاض ركب للهلال مع الشهود وقيل بل ابن لهيعة فلما مات غوث ولي المفضل بن فضالة بن عبيد القتباني ثم عزل سنة تسع وستين وهو اول القضاة بمصر طول الكتب وكان احد فضلاء الناس وخيارهم ثم ولي ابو طاهر الأعرج عبد الملك بن محمد ابن ابي بكر بن حزم الانصاري وكان محمودا في ولايته ثم استعفى فاعفي في سنة اربع وسبعين قالوا فاشر علينا برجل فاشار بالمفضل بن فضالة فولي المفضل فاقام الى صفر سنة سبع وسبعين وعزل وولي محمد بن مسروق الكندي من اهل الكوفة ولم يكن بالمحمود في ولايته وكان فيه عتو وتجبر فلم يزل الى سنة اربع وثمانين فخرج الى العراق واستخلف اسحاق بن الفرات التجيبي فعزل في صفر سنة خمس وثمانين وولي عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وهو أول من دون اسماء الشهود فاقام الى ان عزل في جمادى الاولى سنة اربع وتسعين وولي هاشم بن ابي بكر البكري من ولد ابي بكر الصديق وكان يذهب مذهب ابي حنيفة فاقام حتى توفي في اول يوم من المحرم سنة ست وتسعين ثم ولي ابراهيم بن البكا ولاه جابر بن الاشعث وجابر يومئذ والي البلد فاقام الى ان صرف جابر سنة ست وتسعين وولي مكانه عباد بن محمد فعزل ابن البكا وولي لهيعة بن عيسى الحضرمي فاقام حتى قدم المطلب بن عبد الله بن مالك سنة ثمان وتسعين فعزل لهيعة وولي الفضل بن غانم وكان قدم مع المطلب من العراق فاقام نحو سنة ثم غضب

عليه المطلب فعزله وولى لهيعة بن عيسى فاقام حتى توفى فى ذى القعدة سنة اربع وماتين فولى البشر
ابن الحكم بعد مشاورة اهل البلد ابراهيم بن اسحاق القارى حليف بنى زهرة وجمع له القضاء والعسس
وكان رجل صدق ثم استعفى لشئ انكره فاعفى وولى مكانه ابراهيم بن الجراح وكان يذهب الى قول ابى
حنيفة ولم يكن بالمذموم فى ولايته حتى قدم عليه ابنه من العراق فتغيرت حالته وفسدت احكامه
فلم يزل الى سنة اثنتى عشرة وماتين فدخل عليه عبد الله بن طاهر البلد فعزله وولى عيسى بن المنكدر
ابن محمد بن المنكدر وخرج ابراهيم بن الجراح الى العراق ومات هناك واحرز عبد الله بن طاهر على عيسى
ابن المنكدر اربعة آلاف درهم فى الشهر وهو اول قاض اجرى عليه ذلك وأجازه بالف دينار فلما
قدم المعتصم مصر فى سنة اربع عشرة وماتين كلمه فيه ابن ابى دؤاد فاعفاه فوقف عن الحكم ثم اشخص
بعد ذلك الى العراق فمات هناك وبقيت مصر بلا قاض وقدم المأمون الخليفة مصر فى محرم سنة
سبع عشرة وولى القضاء يحيى بن اكثم فحكم بها ثلاثة ايام وخرج المأمون الى سخا واصلح احوالها
وتوجه الى الاسكندرية وعاد الى مصر وخرج عنها فى الخامس من صفر وجعل القضاء بمصر الى هارون
ابن عبد الله الزهرى المالكى فلم ذلك وهو بالشام فقدم فى رمضان سنة تسع عشرة وماتين
وكان محمودا عفيفا محببا فى اهل البلد فاقام الى ربيع الأول سنة ست وعشرين فكتب اليه ان يمسك
عن الحكم وقد كان ثقل مكانه على ابن ابى دؤاد وقدم ابو الوزير واليا على خراج مصر وقدم معه
بكتاب ولاية محمد بن ابى الليث الأصم فلم يزل قاضيا الى شعبان سنة خمس وثلاثين وماتين
فعزل وحبس وبقيت مصر بلا قاض حتى ولى الحارث بن مسكين فى جمادى الاولى سنة سبع
وثلاثين ثم صرف فى ربيع الآخر سنة خمس واربعين وولى دحيم بن اليتيم عبد الرحمن بن ابراهيم
ابن اليتيم الدمشقى جائزة ولايته بالرملة فتوفى قبل ان يصل الى مصر فى العام المذكور وولى بعده
بكار بن قتيبة من اهل البصرة من ولد ابى بكرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل البلد
فى جمادى الآخرة فاقام قاضيا واحمد بن طولون يصله فى كل سنة بالف دينار ثم ان ابن طولون
بلغه ان الموفق خرج عن طاعة اخيه المعتمد وكان المعتمد ولى عهد اخيه فاراد ابن طولون خلع
الموفق من ولاية العهد فوافقه فقهاء مصر وخالف القاضى بكار فحبسه احمد بن طولون وذلك
فى سنة سبع وخمسين وماتين ورتب فى الحكم عوضا عنه وهو كالخليفة عنه محمد بن شاذان الجوهرى
ومات بكار فى ذى الحجة سنة خمس وسبعين وماتين واقامت مصر بعد بكار بلا قاض حتى ولى الخارجة
ابن احمد بن طولون ابا عبد الله محمد بن عبدة بن حرب القضا سنة سبع وسبعين وماتين فاقام الى
سنة ثلاث وثمانين فالزم منزله فى جمادى الآخرة وبقيت مصر بلا قاض حتى ولى ابو زرعة
محمد بن عثمان الدمشقى فاقام ثمان سنين وعزل فى صفر سنة اثنتين وتسعين واعيد ابن عبدة
ثم صرف فى رجب من السنة وولى ابو مالك بن ابى الحسن الصنهير ثم ولى بعده ابو عبيد على بن الحسين
ابن حرب المعروف بابن حربوية فى شعبان سنة ثلاث وتسعين ثم عزل فى سنة احدى وثلاثمائة

قال ابن يونس في تاريخ مصر كان ابو عبيد بن حربويه شيخا عجيبا ما رأينا قبله ولا بعده مثله وكان آخر قاض يركب اليه امراء مصر وكان لا يقوم للأمير اذا اتاه ثم ارسل موقعه الامام ابا بكر بن الحداد الى بغداد سنة احدى وثلاثمائة في طلب اعفائه عن القضا فاعفي انتهى هذا ما ذكره ابن عبد الحكم وولي مكانه ابو الذكر محمد بن يحيى الاسواني خلافة لابي يحيى عبد الله بن ابراهيم بن مكتوم الى ان صرف في صفر سنة اثنتين وثلاثمائة وولي ابو علي عبد الرحمن بن اسحاق بن محمد بن معمر المستدعي وصرف في ربيع الآخر سنة اربع عشرة وولي ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد وصرف في ذي الحجة سنة ست عشرة وولي ابو محمد عبد الله بن احمد بن ربيعة بن سليمان الربعي الدمشقي وصرف في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واعيد ابو عثمان بن حماد وصرف في ربيع الآخر سنة عشرين واعيد الربعي وصرف في صفر سنة احدى وعشرين وولي ابو هاشم اسمعيل بن عبد الواحد الربعي المقدسي الشافعي وصرف في ربيع الآخر من السنة وولي ابو جعفر احمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وصرف في رمضان سنة اثنتين وعشرين وولي ابو عبد الله محمد بن موسى بن اسحاق السرخسي ثم ولي ابو بكر بن الحداد الامام المشهور صاحب المولدات بامر امير مصر في ربيع الاول سنة اربع وعشرين فباشر مدة لطيفة ثم ولي محمد بن بدر مولى ابن خيثمة خلافة لمحمد بن الحسن بن ابي الشوارب الى ان مات سنة خمس وثلاثين وولي ابو محمد عبد الله بن احمد بن شعيب بن الفضل بن مالك بن دينار يعرف بابن اخت وليد وصرف سنة ثلاث وثلاثين واعيد ابن الحداد وولي بعده عبد العزيز بن الحسن بن عبد العزيز العباسي الهاشمي خليفة لاخيه ثم صرف في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وولي ابو بكر عبد الله بن محمد الخصيبي الشافعي سنة خمس واربعين فاقام الى ان مات في المحرم سنة ثمان واربعين وولي بعده ابنه محمد فاقام شهرا واحدا ثم اعتل ومات في سادس ربيع الاول من عامه فولي كافور بعده ابا الطاهر محمد بن احمد بن عبد الله البغدادي الذهلي المالكي فاقام ست عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة الى ان قامت الدولة العبيدية بالقاهرة وقدم المعز ومعه قاضيه ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور القيروانى فاجتمع ابو الطاهر بالمعز فاعجب به وأقره على ولايته وأقام النعمان بمصر لا ينظر في شئ ثم ان ابا الطاهر استعفى قبل موته بيسير فاعفي وذلك في صفر سنة ست وستين وولي بعده ابو الحسن علي بن النعمان وكان شيعيا غاليا وشاعرا مجودا فاقام الى ان مات في رجب سنة اربع وسبعين وهو اول من نعت بقاضي القضاة في مصر ولم يكن يدعى بذلك الا ببغداد وولي بعده أخوه ابو عبد الله محمد وكان شيعيا ايضا قال ابن زولاق ولم نشاهد بمصر لقاض من الرياسة ما شاهدناه له ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والهيبة واقامة الحق وقد ارتفعت رتبته ان العزيز اجلسه معه يوم العيد على المنبر وزادت عظمته في دولة الحاكم الى ان مات في صفر سنة تسع وثمانين وولي القضا بعده ابن اخيه الحسين بن علي بن النعمان ثم صرف سنة اربع وتسعين وولي ابو القاسم

عبد العزيز بن محمد بن النعمان ثم صرف في رجب سنة ثمان وتسعين وولي بعده مالك بن سعد الفارقي
ثم صرف في ربيع الآخر سنة خمس واربعين وولي ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الله بن ابي العوام
الى ان مات في ربيع الاول سنة ثمان عشرة واربعمائة وولي ابو محمد قاسم بن عبد العزيز بن النعمان
ثم صرف في رجب سنة تسع عشرة واربعمائة وولي ابو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارقي ثم صرف
في ذي القعدة سنة تسع وعشرين واعيد ابو محمد القاسم بن عبد العزيز بن النعمان ولقب بقاضي
القضاة وداعي الدعاة وثقة الدولة واميد الامراء وشرف الحكام واستخلف عنه القاضي يحيى
الشهاب فاقام ثلاث عشرة سنة ثم عزل في المحرم سنة احدى واربعين واعيد قاسم ثم صرف
من عامه وولي مكانه ابو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن الباذوري ثم اضيف اليه الوزارة ايضا
وهو اول من جمع بينهما ثم صرف عنهما في المحرم سنة خمس واربعين وولي القضا ابو علي احمد بن
قاضي القضاة عبد الحاكم بن سعيد الفارقي ثم صرف في ذي القعدة من السنة وولي ابو القاسم عبد
الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن المليجي ثم صرف في جمادى الآخرة سنة اثنين واربعين وولي ابو
عبد الله احمد بن محمد ابن زكريا بن عمر بن ابي العوام الى ان مات في ربيع الاول سنة ثلاث واربعين
واعيد ابو علي احمد بن عبد الحاكم بن سعيد ثم صرف في رجب واعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب
ثم صرف في رمضان وولي ابو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد ثم صرف في صفر سنة اربع
واربعين واعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن ثم صرف في المحرم سنة اربع واربعين
واعيد ابو علي احمد بن عبد الحاكم مضافا للوزارة ثم صرف في صفر واعيد ابو القاسم عبد الحاكم
ابن وهب ثم صرف في شعبان وولي ابو محمد الحسن بن مجلي بن اسد بن ابي كدينة مضافا للوزارة
ثم صرف في ذي الحجة وولي جلال الملك احمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد مضافا للوزارة
ثم صرف في المحرم سنة ست واربعين واعيد الحسن بن مجلي بن ابي كدينة ثم صرف في ربيع الآخر
واعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب ثم صرف في رمضان واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في ذي
الحجة واعيد ابن عبد الحاكم ثم صرف في نصف المحرم سنة سبع واربعين واعيد ابن ابي كدينة ثم
صرف في السادس والعشرين منه واعيد جلال الملك احمد بن عبد الكريم ثم صرف في جمادى
واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في نصف رجب واعيد عبد الحاكم بن وهب ثم صرف واعيد ابن ابي
كدينة ثم صرف في صفر سنة ثمان واربعين واعيد جلال الملك ثم صرف واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف
في المحرم سنة تسع واربعين وولي عبد الحاكم المليجي ثم صرف في سابع جمادى الآخرة واعيد ابن ابي كدينة
ثم صرف في ذي القعدة واعيد جلال الملك ثم صرف في صفر سنة خمس وستين واعيد المليجي ثم صرف
في ربيع الاول واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في جمادى الاولى واعيد جلال الملك ثم صرف في رمضان
واعيد المليجي ثم صرف في ذي الحجة واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في صفر سنة احدى وستين واعيد
المليجي ثم صرف بعد يوم وولي خطير الملك بن قاضي القضاة الوزير الباذوري ثم صرف في شوال

واعيد ابن ابى كدينة ثم صرف فى ذى القعدة واعيد المليجى ثم صرف واعيد ابن ابى كدينة فى ربيع الاول
سنة اربع وستين ثم صرف سنة ست وستين وولى ابو يعلى حمزة بن الحسين بن احمد العزفى الى ان
مات سنة اثنين وسبعين وولى ابو الفضل طاهر بن على القضاعى ثم ولى بعده جلال الدولة ابو القاسم
على بن احمد بن عمار ثم صرف وولى سنة خمس وسبعين ابو الفضل هبة الله بن الحسين بن عبد الرحمن
ابن بنات ثم ولى ابو الفضل بن عتيق ثم ولى ابو الحسن على بن يوسف بن الكمال ثم صرف وولى سنة سبع وثمانين
فخر الحكام ابو الفضل محمد بن عبد الحاكم المليجى ثم ولى الحسن بن على بن احمد المكرمى ثم صرف بعد شهر
وولى ابو الطاهر محمد بن رجاء الى ان مات سنة ثلاث وتسعين وولى ابو الفرج محمد بن جوهر بن ذكا
النابلسى ثم صرف فى ربيع الاول سنة اربع وتسعين لكونه احدث فى مجلس الحكم وولى حسين بن
يوسف بن احمد الرصافى ثم صرف وولى ابو النجم بدر بن بدر الحرانى ثم ولى ابو الفضل نعمة بن جشير
النابلسى المعروف بالجليس ثم استعفى فاعفى سنة اربع واربعين وولى الرشيد ابو عبد الله محمد
ابن قاسم بن زيد الصقلى الى ان مات فاعيد الجليس الى ان مات وولى ثقة الملك ابو الفتح مسلم
ابن على الرسغتى سنة ثلاث واربعين قال ابن ميسر فى تاريخ مصر لما ولى الحكم رفع الى الافضل انى
قد اعتبرت ما فى مودع الحكم من مال المواريث وكان يقارب مائة الف دينار ورفعها الى بيت المال
اولى من تركها فى المودع وان لها سنين طويلة لم يطلب شئ منها فوقع على رقعته انما قلدناك الحكم
ولا اراى لنا فيما لا نستحقه فاتركه على حاله لمستحقه ولا تراجع فيه ثم اتفق انه صلى اماما فى مجلس
حزا صلاة الصبح وخلفه الوزير المامون فقرأ سورة والشمس وضحاها فاربج عليه وقرأ ناقة الله
وسقياها بالنون فعزل عن القضا سنة ست واربعين وولى ابو الحجاج بن ايوب المغربى الى ان
مات سنة احدى وعشرين وولى ابو عبد الله محمد بن هبة الله بن الميسر القيروانى ولقب القاضى
الامير سنا الملك شرف الاحكام قاضى القضاة عمدة امير المؤمنين قال فى تاريخ مصر وهو الذى
اخرج الفستق الملبس بالحلوى ثم صرف فى ربيع الاول سنة ست وعشرين وولى ابو الفخر صالح
ابن عبد الله بن رجاء ثم صرف فى جمادى الآخرة وولى سراج الدين نجم بن جعفر الى ان قتل فى شوال
سنة ثمان وعشرين واعيد ابن الميسر ثم صرف فى المحرم سنة احدى وثلاثين وولى الاعز ابو المكارم
احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابى عقيل الى ان مات فى شعبان سنة ثلاث وثلاثين واقام الحكم
ثلاثة اشهر ثم اختير ابو العباس احمد بن الخطائة فاشترط ان لا يحكم بمذهب الدولة فلم
يمكن من ذلك وولى فخر الامناء هبة الله بن حسين الانصارى يعرف بابن الازرق فى ذى القعدة
سنة ثلاث وثلاثين ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وولى ابو الطاهر اسمعيل
ابن سلامة الانصارى ثم صرف فى المحرم سنة ثلاث واربعين وولى ابو الفضل يونس بن محمد بن حسن
المقدسى ثم صرف سنة سبع واربعين وولى عبد المحسن بن محمد بن مكرم ثم صرف ثم ولى ابو النجم بدر
ابن غالى ثم ولى ابو المعالى مجلى بن جميع الشافعى صاحب الذخائر فاقام الى سنة تسع واربعين ثم

صرف واعيد ابو الفضائل يونس ثم صرف وولى المفضل ابو القاسم جلال الدين هبة الله بن سيد الله
ابن كامل بن عبد الكريم الصورى فى شعبان سنة سبع واربعين ثم صرف فى المحرم سنة ثمان واربعين
واعيد ابو الفضائل يونس ثم صرف فى ذى الحجة من السنة واعيد ابن كامل ثم صرف فى ربيع الأول
سنة تسع واربعين وولى الاعز ابو محمد الحسن بن على بن سلامة المصرى ثم صرف وولى ابو الفتح
عبد الجبار بن اسمعيل بن عبد القوى ثم صرف واعيد ابن كامل فى ذى الحجة سنة اربع وستين فلما
استولى الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب على القاهرة وزيرا عن العاضد ازال دولة الرفض
والشيعة وصرف ابن كامل وولى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردى الشافعى قضاء القضاة
بالقاهرة وذلك فى سنة ست وستين واربعمائة فاقام الى ان صرف بعد وفاة صلاح الدين
فى ربيع الأول فى سنة تسعين فى ايام العزيز وولى فى سنة خمس وتسعين واربعمائة محيى الدين
محمد ابو حامد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن ابى عصرون ثم صرف فى سنة احدى
وتسعين وولى زين الدين على بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقى ثم عزل فى جمادى الاولى
من السنة واعيد ابن ابى عصرون ثم عزل فى محرم سنة اثنتين وتسعين واعيد ابن بندار ثم
صرف فى محرم سنة اربع وتسعين واعيد صدر الدين ثم صرف فى جمادى الاولى سنة خمس وتسعين
واعيد فخر الدين بن بندار وذلك لما انتزع الملك الافضل على بن السلطان صلاح الدين بن
ايوب مملكة مصر من ابن اخيه المنصور محمد العزيز عثمان وكتب له الصاحب ضياء الدين
نصر الله بن الاثير الجزرى تقليدا هذه صورته رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على
وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين من السنة ان
تفتتح صدور التقليدات بدعاء يعز بفضله * ويكون وزانا للنعمة الشاملة من قبله * وخير
الادعية ما اجراه الله على لسان نبى من انبيائه او رسول من رسله * وكذلك جعلنا من هذا
التقليد الذى امضى الله قلمنا فى كتابه * وصرف امرنا فى اختيار ارتابه * ثم صلينا على رسوله
محمد الشاهد بخطابه * الساطع بشهابه * الذى جعلت الملائكة من احزابه * وضرب له المثل
بقاب قوسين فى اقترابه * وعلى آله وصحبه الذين منهم من خلفه فى محرابه * ومنهم من كملت به
عدة الاربعين من اصحابه * ومنهم من جعل ثواب الحياء من ثوابه * ومنهم من جثرانه من اجاب
الله واجابه * اما بعد فان منصب القضا فى المناصب بمنزلة المصباح الذى به يستضاء
او بمنزلة العين التى عليها تعتمد الاعضاء * وهو خير ما رقمت به الدول مسطور كتابها * واجرت
به سنة خير ثوابها * وجعلته بعد الاحقاب كلمة باقية فى اعقابها * وقد جعله الله ثانى النبوة
حكما * ووارثها علما * والقائم بتنفيذ شرعها مادام الاسلام يسمى * لا يستصحب له الا الواحد
الذى يجد محفلا فى محفله * فاذا جاءت الدنيا باشرها خفت على انمله * وقد اجتنا النظر
مجتهدين * وعولنا على توفيق الله معتضدين * وقدمنا قبل ذلك صلاة الاستخارة وهى سنة

متبوعة * وبركة في الاعمال موضوعة * لاجرمانا ارشدنا فيما اثرها الى من صرح الرشد فيه باثاره *
وقال الناس هذا هو الذي جاء على فترة من وجود انظاره * وهو أنت ايها القاضي فلان مهد الله
لجنبك * وجعل التوفيق من صحبك * وانزل الحكمة على يدك ولسانك وقلبك * وقد قلدناك
هذا المنصب بمدينة مصر واعمالها وهي مصر من الامصار يجمع وجوهها واعيانا * وقدرسم
بانر كرسي مملكة عزا وتبيانا * وعظمت سلطانا ولما قلدناك هو علمنا انه سيعود وهو بك
غض طري * واذ ولايته نيطت منك بكفو فهي بك حرية وانت بها حرى ممن طلبها ومن
الناس فانها لم تكن عندك مطلوبة * ومن انتسب في وجاهته اليها فليست وجاهتك اليها منسوبة
وما اردت بها شيأ سوى تحمل الاثقال * وبيع الراحة بالتعب في الاشغال * وتعريض النفس لمضاضة
الضيم والحيف * والوقوف على الصراط الذي هو ادق من الشعرة وأحد من السيف * ولكنك
في خلال ذلك تشتري الجنة ببضاعة من بضائعك * واذا رعيت مقام ربك فقد ارصدت لمراعاتك
وليس في الاعمال الصالحة اقوم من احياء حق وضع في لحده * او رد حق مطلت الايام برده فاستخر
الله تعالى وتول ما وليناك بعزيمة لانك بها شامه * ولا تاخذها فالله ملامه * وهذا زمن
قد تلاشت فيه العلوم * وعفت رسوم الشريعة حتى صارت كالرسوم * ومشت الامية
المطيطا * وخلفها ابنا فارس والروم واذا نظر الى دين الله وجد وقد خلط امره خلطا * وتحنى
رقاب الناس من هو جدير باذ يحطا * وآذنت الساعة بالاقتراب حتى كاد ان يستوي بها بين
السبابة والوسطى * والمتصدي لحفظه بعد نقله بثقلين وفضله بفضلين * ويؤتيه الله
من رحمته كفلين * وحق له ان يتقدم على السلف الصالح الذي كان كثير ارشده حسنا هديه
وقصده وكان قريبا برسول الله صلى الله عليه وسلم فان اولئك لم يؤتوا من جهاله * ولا حرموا
من مقاله ولا حدث في زمانهم بدعة وكل بدعة ضلالة * ونحن نرجو ان يكون ذلك الرجل
الذي وزن بالناس فرجح وزنه * وسبق القرون الاول وان تاخر قرنه * ولقد البسنا الله بك
لباسا يبقى جديدا * ويسرنا للعمل الذي يكون محضرا لا للعمل الذي نود لو ان بيننا وبينه امدا
بعيدا * واياك ثم اياك ان تقف معنا موقف الاعتذار * وما نخشى عليك الا الشيطان
الناقل للطباع في تقاليب الاطوار * ولطالما اقام صابدا من مصلاه وغره بامتساك حبله
وذلاه ولمكانتك عندنا اضربنا عن وصيتك صفحا * وتوسمنا ان صدرك قد شرحه الله فلم
نزده شرحا * والذي تضمنه تقليد غيرك من الوصايا لم يسفر الا عن نقاب خطي الاقلام *
وقصرا قوالها عن المماثلة من مراتب اولي التعليم وبين العلماء الاعلام * ولا يفتقر الى ذلك
الا من ثقل منصب القضا على كاهله * وقضى بحكمه عليه وفرق بين الحرام وحاصله
واما انت فان علم القضا بعض مناقبك * وهو من اوانسك لا من غرائبك * لكن عندنا اربع
من الوصايا لا بد من الوقوف فيها على سنن التوقيف * وابرازها الى الاسماع في لباس التحذير والتخويف

فالاولى منهن وهى المهم الذى زاغت عنه الابصار * وهلك من هلك فيه من الابرار ولربما سمعت هذا القول فظننته مما يجوز فى مثله القائلون وليس كذلك بل هو نبأ عظيم انتم عنه غافلون * وسنقصه عليك كما فوضناه اليك وذلك هو التسوية فى الحكم بين اقوالك وافعالك والاخذ من صديقك لعدوك ومن يمينك لشمالك وقد علمت انه لم تخل دولة من الدول من قوم يعرفون بطيش الحلوم * ويفترون بقرب السلطان وهو ظل عليهم لا يدوم * واذا دعوا المجلس الحكم حملهم البطر والاشر على الامتناع عن مساواة الخصوم ولا يفرق بين هؤلاء وبين ضعيف لا يرفع يدا ولا طرفا ولا يملك عدلا ولا صرفا * ونحن نبرأ من مخالفة الدرجات فى حكم العزيز الحكيم * ولعن الله اليهود الذين مسخوا آية الرجم مما احدثوه من التجبية والتحميم * وقد بسطنا يدك بسطا ليس له انقباض ولا عليه اعتراض * وانت القاضى الذى لا يكون اسمك منقوصا فيقال فيه انك قاض * واذا استقللت بهذه الوصية فانظر فيما يليها من امر الوكلاء القائمين بمجلس الحكم الذين لا ترد احدا منهم الا خليا لويا او خادعا خلويا واذا اعتبرت احوالهم وجدوا عذابا على الناس مصبوبا ولا يتم لهم الا فى ستر القضايا وتعميمها * ولا يخون فى شئ منها الا خوانا لتها وترخيمها * فأرح الناس من هذه الطائفة المعروفة بنصب الحبالة * التى تاكل الرشا وتخرجها فى مخرج الجعالة وطهر منها مجلسك الذى ليس بمجلس ظلم وزور وانما هو مجلس عدل وصدالة * ومن العدل ان يخلى بين الخصوم حتى يكافح بعضهم بعضا والمهل فى مثل هذا المقام لرعى الرعاية لما يقضى وان كان احدهم الحن بحجته فكله الى عالم الاسرار * واذا احكمت له بشئ من حق اخيه فلا تبال ان يقطع له قطعة من النار * وكذلك فانظر فى الوصية المختصة بالشهداء فانهم قد تكاثرت اعدادهم واهمل انتقادهم وصار منصب الشهادة يسأله وسؤاله من الحرام ولا من الحلال * واصبح وهو يورث عن الاباء والاولاد والوراثة تكون فى الاموال * والشاهد دليل يمشى القضا على منهاجه * ويستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه * فانف كل من شانت منه شانيه اورابتك منه رابيه * وعليك منهم بما تخلق بخلق الحيا والورع * واخذ بالقول الذى على مثلها فاشهد اوفدع * واما الوصية الرابعة فانها مقصورة على كاتب الحكم الذى اليه الايراد والاصدار * وهو المهيمن على النقض والابرام * وينبغى ان يكون عارفا بالحلى والوسوم والحدود والرسوم * وان يكون فقيها فى البيوع والمعاملات * والدعاوى والبينات * ومن ادنى صفاته ان يكون قلمه سائحا وخطه واضحا واذا استكمل ذلك فلا يستصلح حتى يكون العفاف شعاره والامانة عياره * والحفظ والعلم سوره وسواره * وهذا الرجل ان خلوت به فامض بيده فيما يقول ويفعل * واستتم اليه استتامة الواثق الذى لا يخجل * والله يختر لنا ذلك فيما بيناه من المراشد * ويجعل اقوالنا ثمارا يانعة اذا كانت الاقوال من الحصائد * وبعد ان بوانك هذه المكانة * وحملناك هذه الامانة * فقد رأينا ان نجم

لك من تفيد الاحكام وحفظ أصولها * وان لا تخليك من النظر في دليلها ومدلولها * فان الانسان يوحش العلوم من معهود أماكنها * ويذهب بها من تحت اقفال خزائنها * ومنصب التدريس شعب العضا اخ يشد من عضده * ويكثر من عدده * فتول المدرسة الفلانية علما انك قد جمعت بين سبعين في قراب * وسلكت ياسين الى تحصيل الثواب * وركبت اعز مكان وهو تفيد الحكم وجالت خير جليس وهو الكتاب ونحن نوصيك بطلبة العلم وصيتين احداهما اعظم من الاخرى وكلتاهما ينبغي ان تصرف اليهما من اهتمامك شطرا * فالاولى ان تتحولهم في اوقات الاشتغال * وتكون لهم كالرايض الذي لا يبسط لهم بساط الراحة ولا يكلفهم مشقة الكلال * والثانية ان تدر عليهم ارزاقهم اذ دار المسامح وتنزلهم فيها على قدر الافهام والقرايح وعند ذلك لا تعدم منهم منبع في كل حين * ويسرك في حالتيه من نيا ودين * والله يتولاك فيما ينوبه صالحه * ويوفقك للعمل بها لا ان يكون في قلبك ساخه * وقد فوضنا لك في بيت المال قسما طيبا مكسبه * هنيئا ماكله ومشربه * لا تقاقي غدا على كثيره * وان حوسبت على فتيله ونقيره * والمفروض في هذا المال ينبغي ان يكون على قدر الكفاف لا على نسبة الاقدار * وربّ متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله وما لرسوله ليس له في الآخرة الا النار * والدنيا حلوة خضرة تلعب بذوي الالباب وعلاقاتها بتجدد الايام فلا تنتهي الاراب منها الا الى اراب * ومن اراد الله به خيرا لم يسلك اليها وان سلك كان كمن استظل بظل شجرة ثم راح وتركها ونحن نخلص الضراعة والمسئلة في السلامة من تبعاتها * وان نوفق لرعي ولاية العدل والاحسان اذ جعلتنا من رعاتها * وهذا التقليد ينبغي ان يقرأ في المسجد الجامع بعد ان يجمع له الناس على اختلاف المراتب ما بين الاباعد والاقارب والعراقيب والذوائب والاشايب وغير الاشايب ولكن قراءته بلسان الخطيب وعلى منبره * وليقل هذا يوم رسم بجميل صهيته واعتضنا من محضره * ثم بعد ذلك فانت لتحوذ بتصفح مطاويه على الايام * واثبا ترفي قلبك بالعلم الذي لا يمحي سطوره اذا محيت سطور الاقلام * واعلم انا نفذ اوايا ك بين يدي الحكم العدل الذي تكف لديه الالسنة عن خطابها وتستنطق الجوارح بالشهادة على ارتيابها * ولا ينجو منه حينئذ الا من اتى بقلب سليم * واشفق من قول نبيه لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم * والله ياخذ بناصية كل منا اليه ويخرجه من هذه الدنيا كفافا لا له ولا عليه والسلام فولي عماد الدين عبد الرحمن ابن عبد العلي بن السكري مصنف الحواشي على الوسيط ثم صرف في المحرم سنة ثلاث عشرة لانه طلب منه قرض شئ من مال الايتام فامتنع قال القاضي تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى وبلغني انه كان في زمانه رجل صالح يقال له الشيخ عبد الرحمن النويري وكان كثير المكاشفات والحكم بها وكان القاضي عماد الدين ينكر عليه فبلغ القاضي انه اكثر الحكم بالمكاشفات فعزله فقال النويري عزلته وذريته فكان كما قال وبلغني عن الظهير الترمنتي شيخ ابن الرفعة

قال زرت قبر القاضي عماد الدين بعد موته بايام فوجدت عنده فقيرا فقال لي يا فقيه يحشر العلماء
وعلى راس كل واحد منهم لواء وهذا القاضي عماد الدين منهم وطليطلة فلواره وولي بعده شرف الدين
محمد بن عبد الله الاسكندراني المعروف بابن عين الدولة قضا القضاة بالقاهرة والوجه البحري
وتاج الدين عبد السلام بن علي بن الخراط مصر والوجه القبلي ثم صرف ابن الخراط في شعبان سنة
سبع عشرة وستمائة وجمع العملان لابن عين الدولة ثم صرف ابن عين الدولة عن مصر والوجه
القبلي بالقاضي بدر الدين يوسف بن الحسن السنجاري في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وبقي
قاضيا بالقاهرة والوجه البحري فقط وفي زمنه اتفقت الحكاية التي اتفقت في زمان الامام
محمد بن جرير الطبري وهو ان امراة كادت زوجها فقالت ان كنت تحبني فاحلف بطلاقي ثلاثا
مهما قلت لك تقول مثله ففي ذلك المجلس فحلف فقالت له انت طالق ثلاثا قل كما قلت لك
فامسك وترافعا الى ابن عين الدولة فقال خذ بعقصتها وقل انت طالق ثلاثا ان طلعتك *
قال ابن السبكي وكانهما ارتفعا اليه في المجلس وكان بمصر مغنية تدعى عجيبة قد اولع بها
الملك الكامل فكانت تحضر اليه ليلا وتغنيه بالجنك على الدف في مجلس بحضرة ابن شيخ الشيوخ
وغيره ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة وهو في دست ملكه فقال ابن عين
الدولة السلطان يامر ولا يشهد فاعاد عليه القول فلما زاد الامر وفهم السلطان انه لا يقبل
شهادته قال انا اشهد اتقبلني ام لا فقال القاضي لا اما اقبلك وكيف اقبلك وعجيبة تطلع اليك
بجنكها كل ليلة وتنزل ثاني يوم بكرة وهي تتمايل سكرا على ايدي الجواري وينزل ابن الشيخ من عندك
ايحسن ما نزلت فقال له السلطان يا كيواج وهي كلمة شتم بالفارسية فقال ما في الشرع
يا كيواج اشهدوا علي اني قد عزلت نفسي ونهض فجاء ابن الشيخ الى الملك الكامل وقال المصلحة
اعادتك ليلا يقال لاي شيء عزل القاضي نفسه وتطير الاخبار الى بغداد ويشيع امر عجيبة
ونهض الى القاضي وترضاه وعاد الى القضا ومن شعره * *

* وليت القضا وليت القضا ليك شيا توليته وقد ساقني للقضا القضا وما كنت قدما تمنيته *

واقام الى ان توفي في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة فولي بعده قضا القاهرة بدر الدين
يوسف السنجاري وولي الشيخ عز الدين بن عبد السلام قضا مصر والوجه القبلي وكان قدم
في هذه السنة من دمشق بسبب ان سلطانها الصالح اسمعيل استعان بالفرنج واعطاهم بلد
صيدا وقلعة الشقيف فانكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعا له في الخطبة وساعده في ذلك
الشيخ جمال الدين ابو عمرو بن الحاجب المالكي فغضب السلطان منهما فخرجا الى الديار المصرية
فارسل السلطان الى الشيخ عز الدين وهو في الطريق قاصدا ان يلطف به في العود الى دمشق فابى
به ولاينه وقال له ما تريد منك شيا الا ان تكسر للسلطان وتقبل يده لا غير فقال الشيخ له يا مسكين
ما ارضاه ان يقبل يدي فضلا عن ان اقبل يده يا قوم انتم في واد وانا في واد والحمد لله الذي عافانا

ما ابتلاكه به فلما وصل الى مصر تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين ايوب واكرمه وولاه قضاء مصر فاتفق ان استاذ داره فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ وهو الذى كان اليه امر المملكة عمد الى مسجد بمصر فعمل على ظهره بنا طبلخاناه وبقيت قضرب هنالك فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين حكم بهدم ذلك البنا واسقط فخر الدين وعزل نفسه من القضا ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان وظن فخر الدين وغيره ان هذا الحكم لا يتاثر به فى الخارج فاتفق ان جهز السلطان رسولا من عنده الى الخليفة المستعصم ببغداد فلما وصل الرسول الى الديوان ووقف بين يدى الخليفة وادى الرسالة له خرج اليه وسأله هل سمعت هذه الرسالة من السلطان فقال لا ولكن حملها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ استاذ داره فقال الخليفة ان المذكور اسقطه ابن عبد السلام فنحن لا نقبل روايته فرجع الرسول الى السلطان حتى شافهه بالرسالة ثم عاد الى بغداد وادّاها ولما تولى الشيخ عز الدين القضا تصدى لبيع امرآ الدولة من الاتراك وذكر انه لم يثبت عنده انهم احرار وان حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فبلغهم ذلك فعظم القطيع عندهم واجمعوا الامر والشيخ مصمم لا يصح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا وتعطلت مصالحهم لذلك وكان من جملتهم نائب السلطنة فاستشاط غضبا فاجتمعوا وارسلوا اليه فقال نعقد لكم مجلسا وننادى عليكم لبيت مال المسلمين فرفعوا الامر الى السلطان فبعث اليه فلم يرجع فارسل اليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب وقال كيف يتأتى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الارض والله لاضربنه بسيفى هذا فركب بنفسه فى جماعته وجاء الى بيت الشيخ والسيف مسلول فى يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فراى من نائب السلطنة ما راى وشرح له الحال فما اكترث لذلك وقال يا ولدى ابوك اقل من ان يقتل فى سبيل الله ثم خرج فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وارعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ ان يدعو له وقال يا سيدى ايش نعمل قال انادى عليكم وابيعكم قال ففيم تصرف ثمنها قال فى مصالح المسلمين قال من يقبضه قال انا فتم ما اراد ونادى على الامراء واحدا واحدا وغالى فى ثمنهم ولم يبعهم الا بالثمن الوافى وقبضه وصرفه فى وجوه الخير واتفق له فى ولايته القضا عجائب وغرائب وفيه يقول الاديب ابو الحسين يحيى بن عبد العزيز الجزار *

سار عبد العزيز فى الحكم سيرا ... لم يسره سوى ابن عبد العزيز

عمنا حكمه بعدل وسيط ... شامل الورى ولفظ وجيز

ولما عزل الشيخ نفسه عن القضا تلطف السلطان فى رده اليه فباشره مدة ثم عزل نفسه منه مرة ثانية وتلطف مع السلطان فى امضا عزله فامضاه وابقى جميع نوابه من الحكام وكتب لكل حاكم تقليدا ثم ولاه تدريس مدرسته التى انشاها بين القصرين وولى بعده افضل الدين محمد الخونجى صاحب المنطق والمعقولات فاقام الى ان مات فى رمضان سنة ستة واربعين

وستمائة ورثاه العز الاربلي بقصيدة اولها

قضى افضل الدنيا فغروهو فاضل ومات بموت الخونجي الفضائل

وكان يخلفه على الاحكام الجمال يحيى فلم يزل الى ان تولى القاضي عماد الدين القاسم بن ابراهيم بن هبة الله الحموي فبقي الى ان صرف في جمادى الاولى سنة ثمان واربعين وتولى القاهرة وصرف عنها القاضي بدر الدين ورتب قاضيا بمصر والوجه القبلي صدر الدين موهوب بن عمر الجزري وكان نائبا عن الشيخ عز الدين ثم صرف واعيد القاضي عماد الدين الحموي بمصر ورتب بالقاهرة بدر الدين السنجاري وذلك في رجب سنة ثمان واربعين ثم بعد ذلك بايام يسيرة اضيف له مصر ايضا وذلك في شوال من السنة ثم صرف منه القضا بمصر وكان يخلفه اخوه برهان الدين وذلك في رمضان سنة اربع وخمسين ورتب فيه تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز ثم صرف السنجاري عن القاهرة ايضا واضيف لابن بنت الاعز الى ان توفي الملك المعز فرتب في القاهرة البدر السنجاري في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وبقي مع ابن بنت الاعز مصر خاصة ثم اضيف قضا مصر ايضا الى السنجاري في رجب من السنة فاقام الى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين فعزل واعيد تاج الدين بن بنت الاعز لقضا مصر والقاهرة معا ثم في شوال سنة احدى وستين عزل ابن بنت الاعز عن قضا مصر وحدها وولي بها برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري وبقي مع ابن بنت الاعز قضا القاهرة فلم يزل الى رمضان سنة اثنتين وستين فصرف قضاء مصر عن السنجاري واضيف الى ابن بنت الاعز فلم يزل على هذه الولاية الى ان مات يوم الاحد سابع عشري رجب سنة خمس وستين قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى وفي ولايته هذه جدد الملك الظاهر بيبرس القضاة الثلاثة من كل مذهب قاض في القاهرة ثم في دمشق وكان سبب ذلك انه سأل القاضي تاج الدين في امر فامتنع من الدخول فيه فقيل له ثم نائبك الحنفي وكان القاضي هو الشافعي يستنيب من شاء من المذاهب الثلاثة فامتنع من ذلك فجرى ما جرى وكان الامر ممحضا للشافعية فلا يعرف ان غيرهم حكم في الديار المصرية منذ وليها ابو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي في سنة اربع وثمانين الى ان مات الظاهر الا ان يكون نائب بعض قضاة الشافعية في جزئية خاصة وكذا دمشق لم يليها بعد ابي زرعة المشار اليه الا شافعي قال ابن ميسر في تاريخ مصر في سنة خمس وعشرين وخمسمائة رتب ابو احمد بن الافضل في الحكم اربع قضاة يحكم كل قاض بمذهبه ويورث بمذهبه فكان قاضي الشافعية سلطان بن رشا وقاضي المالكية ابو محمد عبد المولى بن اللبني وقاضي الاسماعيلة ابو الفضل بن الازرق وقاضي الامامية بن ابي كامل ولم يسمع بمثل هذا وقال ابن ميسر وقد تجدد في عصرنا هذا الذي نحن فيه اربع قضاة على الاربع مذاهب انتهى قال ابن السبكي وقال اهل التجربة ان هذا لا قاليم المصرية والشامية والحجازية متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت ومتى قدم سلطانها غير اصحاب

الشافعي زالت دولته سريعًا قال وكان هذا السر جعله الله فيهذه البلاد كما جعله الله لمالك في بلاد المغرب ولابي حنيفة فيما وراء النهر قال وسمعت الشيخ الامام الوالد يقول سمعت الشيخ صدر الدين ابن المرحل يقول ما جلس على كرسي مصر غير شافعي الا وقتل سريعًا قال وهذا الامر يظهر بالتجربة فلا يعرف غير شافعي الا قطز كان حنفيا ومكث يسيرًا وقتل واما الظاهر فقلد الشافعي يوم ولاية السلطنة ثم لما ضم القضاة الى الشافعي استثنى الشافعي الاوقاف وبيت المال والنواب وقضاة البر والايتام وجعلهم الارفعين ثم انه ندم على ما فعل وذكر انه راى الشافعي في النوم لما ضم الى مذهبه بقية المذاهب وهو يقول تهين مذهبي البلاد لي اولك قد عزلتك وعزلت ذريتك الى يوم الدين فلم يمكث الا يسيرًا ومات ولم يمكث ولده المستعيد الا يسيرًا وزالت دولته وذريته الى الآن فقرأ هذا كلام ابن السبكي قال وجاء بعده قلاوون وكان دونه تمكنا ومعرفة ومع ذلك مكث الامر فيه وفي ذريته الى هذا الوقت وفي ذلك اسرار الله لا يدركها الا خواص عباده قال وقد حكي ان الظاهر رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عذبني عذابا شديدا لجعلي القضاة اربعة وقال فرقت كلمة المسلمين وقال ابو شامه لما بلغه ضم القضاة الثلاثة لم يقع مثل هذا في ملة الاسلام قط وكان احداث القضاة الثلاثة في سنة ثلاث وستين وستمائة واقام ابن بنت الاعز قاضيا الى ان توفي سنة خمس وستين وكان شديد التصلب في الدين فكان الامراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم وكان ذلك ايضا من جملة الموامل على ضم القضاة الثلاثة اليه وحكي انه ركب وتوجه الى القرافة ودخل على الفقيه مفضل حتى تولى عنه الشرقية فقيل له تروح الى شخص حتى توليه فقال لو لم يفعل لقبلت رجله حتى يقبل فانه يسد عني ثلمة من جهنم قال ابن السبكي وكان يقال ان القاضي تاج الدين آخر قضاة العدل واتفق الناس على عدله وقد اجتمع له من المناصب الجليلة ما لم يجتمع لغيره فانه ولي خمس عشرة وظيفة القضا والوزارة ونظر الاحباس وتدريس الشافعي والصلاحية والحسبة والخطابة ومشيخة الشيوخ وامامة الجامع وولي بعده مصر والوجه القبلي محيي الدين عبد الله بن القاضي شرف الدين بن عين الدولة والقاهرة والوجه البحري تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين ثم مات ابن عين الدولة في رجب سنة ثمان وسبعين وعزل ابن رزين في رجب ايضا سنة ثمان وسبعين لكونه توقف في خلع الملك المستعيد وولي صدر الدين عمر بن القاضي تاج الدين بن بنت الاعز فمشى على طريقة والده في التحري والصلابة ثم عزل نفسه في رمضان سنة تسع وسبعين واعيد ابن رزين فاقام الى ان مات في رجب سنة ثمانين وولي بعده وجيه الدين عبد الوهاب بن الحسين البهنسي قضا الديار المصرية ثم عزل عن القاهرة والوجه البحري واستمر على قضاء مصر والوجه القبلي الى ان توفي سنة خمس وثمانين وولي القاهرة بعد عزله عنها شهاب الدين بن الخويي فاقام الى اول سنة ست وثمانين فعزل

وولى بعده برهان الدين الخضر السنجارى فاقام شهرا ثم توفى وولى بعده تقى الدين عبد الرحمن بن القاضى تاج الدين بن بنت الاعز مضافا لما كان معه من قضا مصر فانه وليه بعد موت البهنسى وكان من احسن القضاة سيرة وكان ابن التلعوس وزير الملك الاشرف يكرهه فعمل عليه ورتب من شهد عليه بالزور بامور يعظم منها انهم احضروا شابا باحسن الصورة واعترف على نفسه بين يدى السلطان بان القاضى لاط به واحضروا من شهد بانه يحل الزنا وفى وسطه فقال القاضى لها السلطان كل ما قالوه ممكن لكن حل الزنا لا يعتمده النصرانى تعظيما ولو امكنه تركه لتركه فكيف احمله ثم عزل القاضى وكان رجلا صالحا لا يشك فيه بريا من كل ما رمى به وولى بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة وذلك فى رمضان سنة تسعين وستمائة فتوجه القاضى تقى الدين الى الحجاز ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدة وكشف راسه ووقف بين يدى الحجرة الشريفة واستغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم واقسم عليه ان لا يصل الى وطنه الا وقد عاد الى منصبه فلم يصل الى القاهرة الا والسلطان الاشرف قد قتل وكذلك وزيره فاعيد الى القضا ووصل اليه الخبر بالعود قبل وصوله الى القاهرة وذلك فى اول سنة ثلاث وتسعين فاقام فى القضا الى ان مات فى جمادى الاولى سنة خمس وتسعين وولى بعده الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد بعد امتناع شديد حتى قالوا له ان لم تفعل ولوا فلانا او فلانا الرجلين لا يصلحان للقضا فراى ان القبول وجب عليه حينئذ ذكره الاسنوى فى الطبقات قال ابن السبكى وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد قال الاسنوى وكانت القضاة يخلع عليهم الحرير فامتنع الشيخ من لبس الخلعة وامر بتغييرها الى الصوف فاستمرت الى الآن وحضر مرة عند السلطان لاجبين فقام اليه السلطان وقبل يده فلم يزده على قوله ارجوها لك بين يدى الله وكان يكتب الى نوابه ويعظهم ويبالغ فى وعظهم ومع ذلك راه بعض خيار اصحابه فى المنام وهو فى مسجد فسئاله عن حاله فقال انا معوق ها هنا بسبب نوابى هذا مع الاحتراز التام والكرامات الصحيحة الثابتة عنه هذا كله كلام الاسنوى ومن لطائفه ما كتب الى نائبه باخميم صدرت هذه المكاتبة الى المجلس يخلص الدين وفقه الله تعالى لقبول النصيحة واتاه لما يقربه اليه قصدا صحيحا ونية صحيحة اصدرناها اليه بعد حمد الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور * ويمهل حتى لا يلتبس الامهال بالاهمال على المغرور * ونذكره بايام الله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون * ونحذره صفقة من باع الآخرة بالدنيا فما احد سواه مغبون * عسى الله ان يرشده بهذا التذكار * وينفعه وتاخذ هذه النصائح بحجزته عن النار * فانى اخاف ان يتردى فيخسر من ولاه معه والعياذ بالله والمقتضى لاصدارها ما لمحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب * ومن تقاعد الهمم بما يجب للرب على المربوب * ومن انسيهم بهذه الدار وهم يزعجون عنها * وعلمهم بما بين ايديهم من عقبة كؤود وهم لا يتخففون منها * ولا سيما القضاة الذين تحملوا اعباء الامامة على كواهل ضعيفة * وظهروا بصور كبارة وهمم

نخيفة * ووالله ان الامر عظيم والخطب جسيم * ولا ادري مع ذلك امنا ولا قرارا * ولا راحة ولا استمرارا * اللهم الا رجلا نبذ الآخرة وراءه * واتخذ الهه هواه * وقصر همته وهمته على حظ نفسه ودنياه * فغاية مطلبه حب الجاه والرغبة * في قلوب الناس وتحسين الزي والملبس والركبة * والمجلس غير مستشعر خساسة حاله ولا راكبا مقصده فانك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور * فاتق الله الذي يراك حين تقوم واقصر املك عليه فان المحروم من فضله غير محروم * وما انا واياكم ايها النفر الا كما قال حبيب النجي وقد قال له قائل ليتنا لم نخلق قال وقد وقعتم فاحتالوا وان خفي عليك مثل هذا الخطر * وشغلتك الدنيا عن معرفة الوطر * فتامل كلام النبوة القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر مشفقا عليه لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم * وما انا والسير في مسلف * مبرح بالذكي الضابط * هيهات جف القلم * ونفذ حكم الله فلا راد لما حكم * اليه ومن هناك ثم الناس من فم الصديق راحة الكبد المشوي وقال الفاروق لبيت امر عمر لم تلده وقال علي والخزائن مملوءة ذهبا وفضة من هيثرتي سيفي هذا ولو وجدت ما اشتري به رداء ما بعته وقطع المنوفي نياط قلب عمر بن عبد العزيز فمات من خشية العرض وعلق بعض السلف سوطا يؤدب به نفسه اذا افترفت ذلك سدادا من عوز المربون وهم البعداء فهذه احوال لا تؤخذ من كتاب السلم والاجارة والجنايات وانما تنال بالخضوع والخشوع * وان تظلما او تجوع * ومما يعينك على الامر الذي دعوتك اليه * ويزودك في السفر المرضي عليه * ان تجعل لك وقتا تعمره بالتذكر والتفكر وانابة تجعلها معدة لجلاء قلبك فانه ان استحكم صداه صعب تلافيه * واعرض عنه من هو اعلم بما فيه * فاجعل اكثر همومك للاستعداد المعاد * والتاهب لجواب الملك الجواد * فانه يقول فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون ومهما وجدت من همتك قصورا * واستشعرت من نفسك عابدا لها نفورا * فاجرها اليه وقف ببابه واطلب فانه لا يعرض عن صدق * ولا يعزب عن علمه خفايا الضمائر لا يعلم من خلق فهذه نصيحتي اليك * وحجتي بين يدي الله ان فرطت اذا سئلت عليك * فنسال الله لي ولك قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا ونفسا مطمئنة عنه وكرمه وحنى لطفه والسلام واستمر الشيخ الى ان توفي في صفر سنة اثنتين وسبعمائة واعيد بعده القاضي بدر الدين بن جماعة ثم صرف في ربيع الاول سنة عشر وسبعمائة وولي جمال الدين بن عمر الزرعي ثم صرف واعيد ابن جماعة في ربيع الآخر سنة احدى عشرة فلم يزل الى ان عمي سنة سبع وعشرين فولي بعده جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني مصنف التلخيص في المعاني والبيان فاقام مدة ثم صرف في سنة ثمان وثلاثين وولي بعده عز الدين بن القاضي بدر الدين بن جماعة فاستمر الى سنة تسع وخمسين فعزل بواسطة صرغتمش وولي مكانه بهاء الدين بن عبد الله بن عقيل مؤلف شرح الالفية وشرح التسهيل فاقام ثمانين يوما وصرف واعيد ابن جماعة فولي واكره منه واستمر يطلب الاقالة الى

جمادى الاولى سنة ست وستين فعزل نفسه وصمم على عدم العود ونزل اليه الامير الكبير بليغا الى داره ودخل عليه ان يعود فابى فولى مكانه بهاء الدين ابو البقا محمد بن عبد البر السبكى فاقام الى ان عزل فى سنة ثلاث وسبعين وولى بعده برهان الدين ابراهيم بن جماعة ثم عزل نفسه وولى بدر الدين محمد بن القاضى بهاء الدين بن عبد البر السبكى فى صفر سنة تسع وسبعين ثم اعيد البرهان ابن جماعة فى سنة احدى وثمانين ثم اعيد البدر بن ابى البقا فى صفر سنة اربع وثمانين ثم ولى ناصر الدين محمد بن المليق فى شعبان سنة تسع وثمانين ثم عزل وولى صدر الدين محمد بن ابراهيم المناوى فى ذى القعدة سنة احدى وتسعين ثم اعيد بدر الدين بن ابى البقا فى ذى الحجة سنة احدى وتسعين ثم ولى عماد الدين احمد بن عيسى الاركى فى رجب سنة ثنتين وتسعين ثم عزل فى ذى الحجة سنة اربع وتسعين واعيد الصدر المناوى فى المحرم سنة خمس وتسعين ثم اعيد البدر بن ابى البقا فى ربيع الاول سنة ست وتسعين ثم اعيد المناوى فى شعبان سنة سبع وتسعين ثم ولى تقى الدين الزبيرى فى جمادى الاولى سنة تسع وتسعين ثم اعيد المناوى فى رجب سنة احدى وثمانمائة ثم ولى ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصالحى فى شعبان سنة ثلاث ثم ولى جلال الدين البلقينى فى جمادى الاولى سنة اربع فى حياة والده ثم اعيد الصالحى فى شوال سنة خمس ومات فى المحرم سنة ست فولى شمس الدين محمد بن الاخنائى ثم اعيد البلقينى فى ربيع الاول من السنة ثم اعيد الاخنائى فى شعبان من السنة ثم اعيد البلقينى فى ذى الحجة من السنة ثم اعيد الاخنائى فى جمادى الاولى سنة سبع ثم اعيد البلقينى فى ذى القعدة من السنة ثم اعيد الاخنائى فى صفر سنة ثمان ثم اعيد البلقينى فى ربيع الاول من السنة فاقام الى المحرم سنة خمس عشرة فعزله المستعين وولى شهاب الدين الباعونى فاقام شهرا وعزل ثم اعيد البلقينى فى صفر سنة خمس عشرة فاقام الى جمادى الاولى سنة احدى وعشرين وولى شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروى وفى ولايته هذه وجد فى مجلس السلطان ورقة فيها شعر وهو

يا ايها الملك المؤيد دعوة ... من مخلص فى حبه لك يبتصح
انظر لحال الشافعية نظرة ... فالقاضيان كلاهما لا يصلح
هذا اقاربه عقارب وابنه ... واخ وصهر فعلهم مستقبح
غطوا محاسنه بقبح صنيعهم ... ومحى دعاهم للهدى لا يفلحوا
وأخو هراة بسيرة اللنك اقتدى ... وله سهام فى الجوانح تجرح
لا درسه يقرى ولا احكامه ... تندى ولا حين الخطابة يفصح
فأرح هموم المسلمين بثالث ... فعسى فساد منهم يستصلح

وكان ذلك فى اول شعبان فعرض السلطان الورقة على الجلساء من الفقهاء الذين يحضرون عنده فلم يعرفوا كاتبها وطارت الابيات فاما الهروى فلم يزعج من ذلك واما البلقينى فقام وقعد

واطال البحث والتنقيب عن ناظمها وتقسمت الظنون فمنهم من اتهم شعبان الاثاري ومنهم من اتهم تقي الدين بن حجة قال العيني وبعضهم نسبها لابن حجر قال والظاهر انه هو ثم اعيد البلقيني في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين فاقام الى ان مات في شوال سنة اربع وعشرين وولي الشيخ ولي الدين العراقي ثم عزل في ذي الحجة سنة خمس وعشرين وولي شيخنا شيخ الاسلام علم الدين صالح ابن شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني ثم تولى الحافظ ابن حجر في المحرم سنة سبع وعشرين ثم اعيد الهروي في ذي القعدة من السنة ثم اعيد ابن حجر في رجب سنة ثمان وعشرين ثم اعيد شيخنا البلقيني في صفر سنة ثلاث وثلاثين ثم اعيد ابن حجر في جمادى الاولى سنة اربع وثلاثين ثم اعيد شيخنا البلقيني في شوال سنة اربعين ثم اعيد ابن حجر في شوال سنة احدى واربعين ثم ولي شمس الدين الغاياتي في المحرم سنة تسع واربعين فاقام الى ان مات في المحرم سنة خمسين واعيد ابن حجر ثم اعيد شيخنا البلقيني في اول المحرم سنة احدى وخمسين ثم ولي ولي الدين السفطي في نصف ربيع الاول من السنة ثم عزل واعيد ابن حجر في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ثم عزل نفسه في آخر جمادى الآخرة من السنة واعيد شيخنا البلقيني في صفر سنة سبع وخمسين فاقام الى شوال سنة خمس وستين فعزل واعيد المناوي ثم اعيد البلقيني في شوال سنة سبع وستين فاقام الى ان مات في رجب سنة ثمان وستين واعيد المناوي ثم عزل في جمادى الآخرة سنة سبعين وولي صلاح الدين المكيني ربيب شيخنا البلقيني ثم عزل بعد ستة اشهر وولي بدر الدين ابو السعادات محمد بن تاج الدين بن قاضي القضاة جلال الدين البلقيني في اول سنة احدى وسبعين ثم عزل بعد اربعة اشهر وولي ولي الدين احمد بن احمد الاسيوطي في نصف جمادى الاولى من السنة فاقام خمس عشرة سنة ثم عزل في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وولي الشيخ زكريا بن محمد الانصاري السنيكي * وقد نظم محمد بن دانيال الموصلي ارجوزة فيمن ولي قضاء مصر من حين فتحت الى عهد البدر بن جماعة فقال

يقول راجي كرم الله العلي ... محمد بن دانيال الموصلي
من بعد حمد للعلي الحاكم ... غامرنا بالجود والمراحم
ثم الصلاة بعد ترتيل اسمه ... على احمد الهادي امين حكمه
وآله وصحبه العدول ... شهود حجة احمد الرسول
فانني ضمنت هذا الشعرا ... انبا كل من تولى مصرا
من سائر القضاة والحكام ... مذ ملكتها ملة الاسلام
من لدن ابن العاص اعني عمرا ... لفتحها الى هلم جرا
لكنني اخرت الكلام الوجزا ... في حصرهم اذ كان لفظا موجزا
اول من ولي القضا للحكم ... قيس فتى عدي بن سهم

وآل بعده لكعب عبس
ثم ولي سليم بخل عبسر
ثم وليه عابس المرادي
وآل بعده لعبد الرحمن
ويونس من بعده ولي القضا
ثم تولى الحكم عبد الرحمن
وبعده صار لعبد الاعلى
ثم لعبد الله ذاك القاضي
وعد للقضا بحكم ثاني
ثم الى عياض آل ثانيه
والحضرمي ثم للخيار
وآل بعد توبة وخير
هذا وفي عصر بني العباس
وعاد غوث بعد ذاك يحكم
وعاد غوث قبل ابرهيما
ثم لاسمعيل بخل اليسع
وبعد هذا حكم المفضل
ثم المفضل الأمين حكما
ثم وليها بعده النجيبي
وبعده البكري وابن البكا
والاسلمي حاكم الشريعة
ثم لابراهيم بخل القاري
ثم لعيسى آلت الاحكام
ثم تولى الاحكام بخل شداد
وبعد ما ولي حيم الامصار
هذا وبخل عبدة تولى
ثم ابن عبدة تولى الحكما
ثم ابن حرب وابو الذكر حكم
والجوهري وهو نعم الفاضي

ثم لعثمان بغير لبس
وبعده النائب بخل عمرو
وبعده ابن النضر في البلاد
ثم الى مالك بخل خولان
ثم ولي اوس بعزم منتضى
ثم وليه بعد ذاك عمران
وابن جريج ذي الفخار الاعلى
آل ومن بعد الى عياض
ابن حجيرة الفتى المتولاني
ثم لعبد الله غير وانيه
ثم يزيد جاء في الآثار
الى ابن سالم بخل خفير
صار فصيم ثابت الاساس
ثم ولي يزيد بعد فاعلموا
والحضرمي بعده ماموها
ثم تلاه الغوث خير تبع
ثم ابو طاهر ذاك الأفضل
ثم ابن مسروق وما انظلما
والعمري ايما نجيب
ثم ابن عيسى وهو ازكى نسكا
ثم ابن عيسى واسمه لهيعة
ثم لابراهيم ذي الفخار
وبعده زهريها الامام
وبعده الحارث خير الاجواد
صار لها قاضي القضاة بكار
ثم ابو زرعة لما ولي
وكان فيه بالمحل الاسمى
قبل الكريزي زمانا في الاثم
ومن به قد وقع التراضي

وبعده أحمد وابنا حمدا ... واحمد ثانيه فيها اعتدى
وصرفوه بابن زبر فقضى ... من قبل اسمعيل فيما قد مضى
ثم ابن مسلم ونجل حماد ... والسرخسي والصير في باسناد
وبعد عبد الله نجل زبر ... ولي ابو بكر جميع الامر
ثم ابن زرعة ونجل بدر ... من قبل عبد الله نجل زبر
ثم ابن بدر بعد عبد الله ... امسى عليها آمرا وناهي
ثم ابو ذكر تولى والحسن ... وبعده الكشي في ذاك الزمن
وبعد ذا ابن اخت وليد لم يزل ... حاكمها والعدل عنه ما عدل
وبعبه ولي القضا ابن الحداد ... وبعده ابن اخت وليد قد عاد
وبعد ذاك ولد الخطيب ... ولي القضا وولد الخصيب
وبعده محمد قد حكما ... ثم ابو الطاهر فيما علما

* (الدولة المصرية) *

وبعد هذا ولد النعمان ... ونجله في ذلك الزمان
ثم ابنه وصنوه الحسين ... ولم يشنه في القضا شين
وبعد ذاك مالك تولى ... ثم ابو العباس فيما يتلى
وقاسم ثم ابو الفتح ولي ... وهو بغير قاسم لم يعزل
ثم ابن وهب جاها في الاثر ... ونالها من قبل نجل ذكر
ثم اعيد احمد للحكم ... ثم ابن وهب فاستمع لنظمي
ثم ولي الحكم بن عبد الحاكم ... ثم اعيد بعده للقاسم
ثم لعبد الحاكم الامام ... وقاسم وجه بالاحكام
وبعده ولي القضا نجل اسد ... ويعده احمد ذو الحكم الاسد
ثم اعيد ابن ابي كدينه ... لما ارتضوا سيرته ودينه
ثم علي بعده المعري ... ثم الرصافي بالجميل الذكر
وبعده ولي القضا ابن وهب ... وابن ابي كدينة ذو اللب
وبعده المليجي في المدينة ... ولي القضا وابن ابي كدينة
ثم وليه بعده البازوري ... وابن ابي كدينة بغير زور
وبعده العرقي والقضاعي ... ولي القضا حقا بلا نزاع
ثم جلال الدولة ابن القاسم ... عاد فاضحى وهو خير حاكم
وبعده نجل نباتة ولي ... وولد الكمال ذو التفضل

وبعده المليحي والمكرم
وبعده ولي القضا نجل ذكا
ثم ابن بدر وابو الفضل قضى
وبعده ابن ظافر تولى
ثم ابو الفتح ويوسف ولى
ثم وليه ولذ الميسر
ثم ابو الفخر ونجل جعفرا
وبعد هذا ولى الرعيني
وبعد نجل عقيل لم يزل
وابن سلامة ونجل المقدسي
وابن مكرم ونجل عالي
ثم الاعز وابو الفتح ولي
وبعد ذا في زمان العزز
ولي عبد الملك بن عيسى
ثم ابن عصرون تولى الحكما
والسكري وابو محمد
ثم تولى يوسف السنجاري
وبعده موهوب اعني الجزري
ثم اعيد يوسف السنجاري
وولى البرهان أعني الخضرا
ثم ولى الاحكام محيي الدين
وبعد عزله تولاه عمر
ثم اعيد ابن زين فحكم
ثم الوجيه اليهني للقضا
وعندما استعفى لبعد القاهره
ثم الشهاب رفعوا محله
ولم يزل حتى توفاه الردى
ثم ولى القاضي التقي ابن خلف
وعزلوه عن قضا القاهره

ثم ابو الطاهر ذو التكرم
وبعده الحسين وهو ذو الذكا
قبل الصرقلي وابو الفضل الرضى
وابن الحسين ذو المقام الاعلا
وكان كل ذا محل افضل
اعني سنا الملك رب المفخر
ثم محمد ولى بلا مرا
ثم سنا الملك بغير مين
وابن حسين صار حاكم العمل
وكان فيها ذا محل انفس
ثم ضياء الدين ذو الاء فضال
وبعده اعيد نجل كامل
ذوى الفخار والعلا والعز
قبل علي اعني الفتى الرشيسا
وعاد صدر الدين وهو الاسما
قبل ابن عين الدولة المجدد
وجاء عز الدين في الاشاد
والخوبني ثم العماد الحموى
ثم تلاه التاج ذو الفخار
وعاد تاج الدين فيما عبرا
وابن رزين ذو الحجى الرزين
اعني العلاء حيا وبالعدل آمر
من بعد صدر الدين عدلا في الامم
عين من بعد ذا التقي اذ قضى
عن مصره خص بها اوامره
واشخصوه من رُبى المحله
وولى الشامي الفتى ابن احمدا
بعد الوجيه والشهاب المنصرف
ثم وليه سيد المتناجره

ثم

ثم ولى التقى عبد الرحمن | وبان بدر الدين لما ان بان
وعاد بدر الدين للشآم | ثم ولى الحكم الفتى العلائى
ولم يزل حتى توفاه القضا | ثم ولى التقى ابو الفتح القضا
واذ اتاهُ ناذل الحمام | عاد اليها البدر فى التمام
بدر منير كامل الاوصاف | والمنهل العذب المنير الصافى
لا برحت نافذة احكامه | وخلدت زاهرة ايامه

قلتُ وقد ذيلتُ عليه بمن جاء بعد ذلك فقلتُ *

وبعد ذاك تولية الزرعى | ثم اعيد البدر لما ان دُعى
ثم وليه بعده القزوينى | وبعده ابن البدر عز الدين
وبعده نجل عقيل قد ولى | ثم اعيد العز ذا تبجل
وبعده وليه ابو البقا | وبعده البرهان وهو ذو ارتقا
وبعده البدر هو التبكىُ | ثم اتى برهاننا الزكىُ
ثم اعيد البدر ذو التحقق | ثم وليه الناصر ابن الميلق
ثم وليه صدرنا المناوى | ثم اعيد البدر ذو الفتاوى
ثم تولاه العماد الكركى | ثم اعيد الصدر ذو التمسك
ثم اعيد البدر ثم الصَّدرُ | ثم الزبيري وعاد الصَّدرُ
ثم وليه بعد ذاك الصالحى | ولم يكن فى علمه بالراجح
ثم وليه ولد البلقينى | عالم عصره جلال الدين
ثم اعيد الصالح النائبى | ثم وليه محمد الاخنائى
وبعده عاد الجلال للقضا | ثم ابن الاخنائى وهو ممن مضى
ثم الجلال ثم ابن الاخنائى | ثم الجلال ثم ابن الاخنائى
ثم الجلال بعده الباعونى | ثم الجلال باذل المعاونى
ثم وليه المروى ثم الجلال | ثم العراقى الولى ذو الكمال
ثم وليه العلم البلقينى | فحافظ العصر شهاب الدين
ثم اعيد المروى ثم استقر | من بعد عزله شهاب ابن حجر
ثم اعيد شيخنا فابن حجر | ثم اعيد شيخنا فابن حجر
ثم وليه بعده القاياتى | ثم اعيد حافظ السُّنات
ثم اعيد شيخنا البلقينى | ثم اتى السفطى ولى الدين
ثم اعيد بعد ذاك ابن حجر | ثم اعيد شيخنا ثم استقر

من بعد ذاك الشرف المناوى | وشيخنا من بعده ذو الفتاوى
ثم اعيد بعد ذاك الشرف | ثم اعيد شيخنا فالشرف
ثم الصلاح وهو المكينى | ثم ولى البدر هو البلقينى
ثم السيوطى ولى الدين ثم | للشيخ اعنى زكريا الحكم عم

ذكر قضاة الحنفية

اول من ولى منهم زمن الظاهر بيبرس فى سنة ثلاث وستين وستمائة صدر الدين سليمان بن ابى العز ووالى بعده معز الدين النعمان بن الحسن الى ان مات فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وولى شمس الدين محمد السروجى ثم عزل ايام المنصور لاجين وولى حسام الدين الحسن بن احمد الرازى ثم عزل سنة ثمان وتسعين واعيد السروجى ثم عزل فى ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة وولى شمس الدين محمد بن عثمان الحريرى الى ان مات فى جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وولى برهان الدين ابراهيم ابن عبد الحق وقال بعض الشعراء فى ذلك

طوبى لمصر فقد حل السرور بها | من بعد ما ميت دهرا بأحزان
كنانة الله قد قام الدليل على | تفضيلها من نبى حق ببرهان

ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وولى حسام الدين الحسن بن محمد الغورى ثم عزل فى سنة اثنتين واربعين وولى زين الدين عمر البسطامى ثم عزل فى جمادى الاولى سنة ثمان واربعين وولى علاء الدين بن التركمانى الى ان مات فى المحرم سنة خمسين وولى ولده جمال الدين عبد الله الى ان مات فى شعبان سنة تسع وستين وولى سراج الدين عمر بن اسحاق الهندى الى ان مات فى رجب سنة ثلاث وسبعين وولى صدر الدين محمد بن جمال الدين التركمانى الى ان مات فى ذى القعدة سنة ست وسبعين وولى نجم الدين احمد بن العماد اسمعيل بن الكشك طلب من دمشق فى المحرم سنة سبع وسبعين ثم عزل وولى صدر الدين على بن ابى العز الاذرعى ثم استعفى فاعفى وولى شرف الدين احمد بن منصور الدمشقى ثم عزل نفسه فى سنة ثمان وسبعين وولى جلال الدين جار الله الى ان مات فى رجب سنة اثنتين وثمانين وولى صدر الدين محمد بن على بن منصور الى ان مات فى ربيع الاول سنة ست وثمان وولى شمس الدين محمد بن احمد الطرابلسى ثم عزل نفسه سنة اثنتين وتسعين وولى مجد الدين اسمعيل بن ابراهيم الكنانى ثم عزل فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وولى جمال الدين محمود القيصرى الى ان مات فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين واعيد الطرابلسى الى ان مات فى آخر السنة وولى جمال الدين يوسف بن موسى المطى طلب من حلب فى ربيع الآخر سنة ثمانمائة فاقام الى ان مات فى ربيع الآخر سنة ثلاث وولى امين الدين عبد الوهاب بن قاضى العسكر شمس الدين الطرابلسى ثم عزل فى رجب سنة خمس

وولى كمال الدين عمر بن العديم الى ان مات فى جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وولى ابنه ناصر الدين محمد ثم عزل فى رجب من السنة واعيد الامين بن الطرابلسى ثم عزل فى المحرم سنة اثنتى عشرة * واعيد ناصر الدين بن العديم ثم عزل فى سنة خمس عشرة وولى صدر الدين على بن الادمى الى ان مات فى رمضان سنة ست عشرة واعيد ابن العديم الى ان مات فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة وولى شمس الدين الديرى طلب من القدس ثم عزل فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وولى زين عبد الرحمن بن على التفهنى ثم عزل فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وولى بدر الدين العينى ثم عزل فى صفر سنة ثلاث وثلاثين واعيد التفهنى ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين * واعيد العينى ثم عزل فى سنة اثنتين واربعين وولى سعد الدين بن الديرى فاقام الى ان عزل قبل موته بيسير فى شوال سنة ست وستين وولى محب الدين بن الشحنة ثم عزل فى رجب سنة سبع وستين وولى بدر الدين بن الصواف الحموى الى ان مات آخر العام واعيد ابن الشحنة ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة سبعين وولى البرهان ابن الديرى ثم عزل واعيد ابن الشحنة فى اول سنة احدى وسبعين ثم عزل فى سنة ست وسبعين وولى شمس الدين محمد بن الحسن الامشاطى الى ان مات فى رمضان سنة خمس وثمانين وولى شرف الدين موسى بن عيد طلب من دمشق فاقام دون الشهرين ومات من واقع وقع عليه من الزلزلة بالمدرسة الصالحية فى المحرم سنة ست وثمانين وولى شمس الدين محمد بن المغربى ثم عزل فى رمضان سنة احدى وتسعين وولى القاضى ناصر الدين الاخميمى

* ذكر قضاة المالكية *

اول من ولى منهم زمن الظاهر شرف الدين عمر بن السبكى الى ان مات سنة سبع وستين وستمائة وولى بعده نفيس الدين بن شكر الى ان مات سنة ثمانين وستمائة وولى تقى الدين بن شاس الى ان مات فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين وولى زين الدين بن مخلوف النويرى الى ان مات سنة خمس وسبعمائة وولى نور الدين على بن عبد النصير السخاوى الى ان مات فى جمادى الاولى سنة ست وخمسين وولى تقى الدين محمد بن احمد بن شاس الى ان مات فى شوال سنة ستين وسبعمائة وولى تاج الدين محمد بن القاضى علم الدين محمد بن ابى بكر بن الاخنائى الى ان مات فى اول سنة ثلاث وستين وولى اخوه برهان الدين ابراهيم الى ان مات فى رجب سنة سبع وسبعين وولى ابن اخيه بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال احمد ثم صرف فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وولى علم الدين سليمان بن خالد البساطى ثم عزل فى صفر سنة تسع وسبعين واعيد البدر الاخنائى ثم صرف فى رجب من السنة واعيد البساطى فى سنة ثلاث وثمانين وولى جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير السكندرى وقال بعضهم فى ذلك

قالوا تولى ابن خير	فغيه ثغر الرباط
فقلت ذا فيض خير	من بعد خير البساط

ثم عزل في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وولي عبد الرحمن بن خلدون ثم عزل في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين واعيد ابن خير الى ان مات سنة احدى وتسعين وولي تاج الدين محمد بن يوسف الكراكي الى ان مات في شوال سنة ثلاث وتسعين وولي شهاب الدين الخريري ثم عزل في ذي الحجة من السنة وولي ناصر الدين احمد بن محمد بن التنسي الى ان مات في رمضان سنة احدى وثمانمائة وولي ولي الدين بن خلدون ثم عزل في المحرم سنة ثلاث وولي نور الدين علي بن الملال الى ان مات من عامه وولي جمال الدين عبد الله الاقفهسي ثم عزل بعد شهر واعيد ابن خلدون ثم عزل في شعبان سنة اربع وولي جمال الدين يوسف البساطي ثم صرف في ذي الحجة من السنة واعيد ابن خلدون ثم صرف في ربيع الاول سنة ست واعيد البساطي ثم صرف في رجب سنة سبع واعيد ابن خلدون ثم صرف في ذي القعدة من عامه واعيد الجمال الاقفهسي ثم ولي جمال الدين عبد الله بن القاضي ناصر الدين التنسي في مستهل ربيع الاول سنة ثمان ثم عزل بعد يومين واعيد البساطي ثم صرف في رمضان من عامه واعيد ابن خلدون ثم لم يلبث ان مات فيه واعيد جمال الدين التنسي ثم صرف في سادس عشر شوال واعيد البساطي ثم صرف في شوال سنة اثنتي عشرة وولي شمس الدين محمد بن علي المدني ثم صرف في ربيع الآخر سنة ست عشرة وولي شهاب الدين الاموي ثم اعيد الجمال الاقفهسي الى ان مات في جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين وولي العلامة شمس الدين البساطي فاقام الى ان مات في رمضان سنة اثنتين واربعين وولي بدر الدين ابن القاضي ناصر الدين التنسي الى ان مات في صفر سنة ثلاث وخمسين وولي ولي الدين السنباطي الى ان مات في رجب سنة احدى وستين وولي حسام الدين بن جرير الى ان مات سنة ثلاث وسبعين وولي اخوه سراج الدين ثم عزل وولي البرهان اللقاني ثم عزل في جمادى سنة ست وثمانين وولي صاحبنا محيي الدين بن تقي*

ذكر قضاة الحنابلة

اول من ولي منهم زمن الظاهر شمس الدين محمد بن العماد الجماعيلي ثم عزل سنة سبعين وستمائة ولم يل الوظيفة بعد عزله احد حتى توفي سنة ست وسبعين وولي عز الدين عمر بن عبد الله بن عوض في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين الى ان مات سنة ست وتسعين وولي شرف الدين عبد الغني بن يحيى الحراني الى ان مات في ربيع الاول سنة تسع وسبعمائة وولي الحافظ سعد الدين الحارثي ثم عزل في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وولي تقي الدين بن قاضي القضاة عز الدين عمر ثم عزل وولي موفق الدين عبد الله بن محمد المقدسي في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين الى ان مات في المحرم سنة تسع وستين وولي ناصر الدين نصر الله بن احمد العسقلاني الى ان مات في شعبان سنة خمس وتسعين وولي ابنه برهان الدين ابراهيم الى ان مات في ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة وولي اخوه موفق الدين احمد بن نصر الله ثم صرف وولي نور الدين

على الحكرى ثم صرف واعيد موفق الدين الى ان مات في رمضان سنة ثلاث وثمانمائة وولي مجد الدين سالم ثم صرف في سنة ثمان عشرة وولي علاء الدين علي بن معلى الى ان مات في صفر سنة ثمان وعشرين وولي محب الدين احمد ابن نصر الله البغدادي ثم صرف في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وولي عز الدين عبد العزيز بن علي البغدادي ثم صرف في سنة احدى وثلاثين واعيد محب الدين الى ان مات في جمادى الاولى سنة اربع واربعين وولي بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادي الى ان مات في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وولي شيخنا عز الدين احمد بن قاضي القضاة برهان الدين بن قاضي القضاة نصر الله الى ان مات في سنة ست وسبعين وولي تلميذه البدر السعدي

(ذكر وزراء مصر)

اعلم ان الوزارة وظيفة قديمة كانت للملوك من قبل الاسلام بل من قبل الطوفان وكانت للانبياء فما من نبي الا وله وزير قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري وقال تعالى مخاطبا له سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربعة وزراء **روى** البزار والطبراني في الكبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ايدني باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر وقد وردت الاحاديث في وزراء الملوك **روى** ابو داود عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه واذا اراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه ولم تكن الوزارة في صدر الاسلام الا للخلفاء دون امراء البلاد فكان وزير ابي بكر الصديق عمر بن الخطاب ووزير عمر ووزير عثمان مروان بن الحكم ذكره ابن كثير في تاريخه ووزير عبد الملك روح بن زنباع ووزير سليمان ابن عبد الملك عمر بن عبد العزيز قال ابن كثير وكان رجا بن حيوة وزير صدق لخلفاء بني امية ووزير هشام بن عبد الملك فمن بعده عبد الحميد بن يحيى غير انه لم يكن احد في عهدهم يلقب بالوزير ولا يخاطب بوصف الوزارة واول من لقب الوزير في الاسلام ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير الخليفة السفاح اول خلفاء بني العباس وقال ابن فضل الله في المسالك لم تكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني امية وصدرا من دولة السفاح بل كان كل من اعان الخلفاء على امرهم يقال له فلان وزير فلان كما نحن انه موازر له لا انه متولي رتبة خاصة يجري لها قوانين وينتظم بها واوين واول من فخم قواعد الملك في هذه الامة وعظم عوائد السلطان عبد الملك بن مروان اذ لم يستتب الامر لاحد بعد عثمان بن عفان كما استتب له وكان منه الى معاوية خبط عشواء واما معاوية فعمرو بن العاصي وان كان له وزارة ورداء فانما اجل قدرا واعظم امرا من ان يجري معه مجرى الوزراء اذ كان لا يزال كالمحتزم عليه لانحيازه الى جمعه مع ما نكنه له في شرفه وما بقيته في الاسلام واول من دعي بالوزير في دولة السفاح ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وكان يقال له وزير آل محمد ثم ان ابا مسلم الخراساني بعث اليه من

قتله وفيه قيل هذا البيت

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

ووزر للسفاح بعده ابو الجهم بن عطية وخالد بن برمك وسليمان بن مخلد والربيع بن يونس ووزر للمنصور ابو ايوب المرزباني وعبد الجبار بن عدي والربيع بن يونس وخالد بن برمك وسليمان بن مخلد وعبد الحميد ووزر للمهدي معاوية بن عبد الله الطبري ويعقوب بن داود بن طهمان والفيض بن صالح ووزر للهادي الربيع بن يونس والفضل بن الربيع وابراهيم بن ذكوان فلما استخلف الرشيد ولى الوزارة يحيى بن خالد البرمكي وقال له فوضت اليك امر الرعية وخلعت ذلك من عنقي وجعلته في عنقك فول من شئت واعزل من شئت وقال ابراهيم الموصلي في ذلك

الم تران الشمس كانت سقيمة فلما ولى هارون اشرق نورها

وتبسمت الدنيا جمالا بملكه فهارون والياها ويحيى وزيرها

ومن هذا الوقت عظم امر الوزارة ولم تكن قبل ذلك بهذه المثابة وهي عز الخلافة في معنى السلطنة عن الخلافة الآن وكانت البرامكة كلهم في معنى الوزراء للرشيد خالد بن برمك واولاده يحيى والفضل وجعفر حتى قال سلم الخاسر

اذا ما البرمكي غدا ابن عشر فهمته اميرا او وزيرا

ثم لما قتل الرشيد البرامكة استوزر الفضل بن الربيع بن يونس وفي ذلك يقول ابو نواس

ما رعى الدهر آل برمك لما ان رعى ملكهم بامر قطيع

اذ دهر المريع عهدا اليحيى غير راع ذمام آل الربيع

ووزر للامين الفضل ايضا ووزر للمامون الفضل بن سهل ذو الرياستين واخوه الحسن بن سهل واحمد بن ابي خالد وعمرو بن مسعدة ووزر للمعتصم الفضل بن مروان واحمد بن عمار ومحمد بن عبد الملك الزيات ووزر للواثق محمد بن عبد الملك الزيات ووزر للمتوكل محمد بن عبد الملك ايضا والفتح بن خاقان ومحمد بن الفضل الخراساني وعبيد الله بن يحيى بن خاقان ووزر للمنتصر احمد بن الخصيب ووزر للمستعين بن الخصيب وسعيد بن حميد ووزر للمعتز جعفر الاسكاف وعيسى بن فروخ شاه واحمد بن اسرائيل ووزر للمهتدي ووزر للمعتمد عبيد الله بن يحيى بن خاقان والحسن بن مخلد وسليمان ابن وهب وابنه عبيد الله ابن سليمان واسمعيل بن بلبل قال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتاب عنوان السير ووزر للمعتضد ابو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ثم ابنه ابو الحسين القاسم وهو اول وزير لقب في الدولة فان المعتضد لقبه ولي الدولة وتوفي في زمن المكتفي فوزر له ابو احمد العباس بن الحسن بن احمد بن ابي يوب وهو اول وزير منع اصحاب الدواوين من الوصول الى الخليفة ووزر للمقتدر ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات ثلاث مرات وابو علي محمد بن الوزير ابي الحسن عبيد الله بن خاقان وابو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح مرتين قال الصولي ولا اعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وتعبده كان

يصوم نهاره ويقوم ليله وكان يسمى الوزير الصالح وقال الذهبي في العبر كان في الوزراء كعمر بن عبد العزيز في الخلفاء وابو محمد حامد بن العباس وكان له اربعمائة مملوك يحملون السلاح ولكل منهم عدة مماليك وكان يخدمه على بابه الف وسبعمائة راجل وعشرون حاجبا يجري مجرى الامراء وابو العباس احمد ابن عبيد الله بن الوزير ابي العباس بن الخصيب وابو علي محمد بن ابي العباس بن مقلة صاحب الخط المنسوب ولما خلع عليه بالوزارة قال نفطويه النحوي *

اذا ابصرت في خلع وزيرا ... فقل ابشر بقاصمة الظهور
بايام طوال في بلاء ... وايام قصار في سرور

وابو علي الحسين بن الوزير ابي الحسين القاسم بن الوزير عبيد الله ولقب عميد الدولة وابو القاسم سليمان ابن الوزير ابي محمد الحسن بن مخلد بن الجراح وابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن خنزابه هؤلاء وزراء المقتدر ووزر للقاهر ابو علي بن مقلة وابو العباس بن الخصيب وابو جعفر محمد ابن الوزير القاسم بن الوزير عبيد الله ووزر للراضي ابو علي بن مقلة وابنه علي ابو الحسين شريكا مع ابيه فكانت الكتب يكتب عليها من ابي علي وعلي بن ابي علي ولم يل الوزارة اصغر سنا من علي هذا فانه ولي وسنه ثمان عشرة سنة وابو الفتح الفضل بن الفرات وابو علي عبد الرحمن بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح وابو القاسم سليمان بن الجراح وابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي وابو عبد الله محمد بن احمد بن يعقوب البريدي وفي ايام الراضي تغلب محمد بن رايق وولي امارة الامراء وصارت الكتب توقع عن ابن رايق وتقدم على الوزير فسقط حكم الوزارة من ذلك الوقت ووزر للمقتفي علي ابن مقلة وابو القاسم سليمان ابن الجراح وابو جعفر الكرخي وابو عبد الله البريدي وابو الحسين احمد بن محمد بن ميمون الاخطس وابو اسحاق محمد بن احمد القرار طي الاسكافي وابو العباس احمد بن عبد الله الاصفهاني ووزر للمستكفي ابو الفرج محمد بن علي السريري قال الهمداني وصادره تورون على ثلاثين الف دينار واشتغلت الوزارة من كتاب الخلفا الى كتاب الديلم فلم يخاطب بوزير غيرهم وكتب ابو احمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي للمستكفي وكتب ابو نصر ابراهيم بن الوزير ابي الحسن علي بن عيسى للمطيع وكتب ابو الحسن علي بن جعفر الاصبهاني للطائع وبعده ابو القاسم عيسى بن الوزير ابي الحسن علي بن عيسى وبعده ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان وخوطب برئيس الرؤساء وكتب ايضا للقادر وبعده ابنه ابو الفضل وبعده ابو طالب محمد بن ايوب ولقب عميد الرؤساء وكتب ايضا للقائم وبعده رئيس الرؤساء ابو القاسم علي بن ابي الفرج الحسن بن مسلمة وخوطب بوزير امير المؤمنين وهو الذي استدعى الغزالي ببغداد وازال دولة بني بويه ووزر بعده للقائم ابو الفتح منصور بن احمد بن دارست الشيرازي وهو اول من خوطب بالوزير لدار الخلافة في الدولة السلجوقية ووزر بعده فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الموصلي ووزر ايضا للمقتدي وبعده ولده عميد الدولة شرف الدين ابو منصور محمد وعزل بالوزير ابي شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين ثم عزل واعيد عميد الدولة وقال ابو شجاع حين عزل * *

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ووزر للمستظهر عميد الدولة وسديد الملك ابو المعالي الفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني واخو عميد الدولة زعيم الرؤساء ابو القاسم علي بن محمد بن جهير وابو المعالي هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب ونظام الدين ابو منصور الحسين بن ابي شجاع ووزر للمسترشد ابنه عضد الدولة ابو شجاع وسنه تسع عشرة سنة وستة اشهر ولم يل الوزارة اصغر منه وابو نصر احمد بن نظام الملك وعميد الدولة جلال الدين ابو علي الحسن بن صدقة وشرف الدين صدر الاسلام ابو شروان بن خالد القاساني وهو الذي كلف الحريري تصنيف المقامات وشرف الدين يمين الدولة ابو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي قال الهمداني ولم يل الوزارة عباسي سواه ولقب معز الاسلام عضد الامام صدر الشرق والغرب وكذا قال ابن كثير لا يعرف احد من العباسيين باشر الوزارة غيره واما الراشد فلم يرتب له وزيرا مراقبة للعسكري وكان المتولي لامره ناصح الدولة بهاء الدين ابو عبد الله الحسين بن جهير استاذ الدار اذ ذاك وجلس للظالم في بيت النوبة جلوس الوزراء ووزر له بالمعسكر جلال الدين بن نوشروان دامت وزارته ووزر له جلال الدين ابو الرضى بن صدقة ووزر للمقتفي شرف الدين الزينبي ونظام الدين ابو نصر المظفر ابن الزعيم علي بن جهير وعون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة وهو مصنف كتاب الافصاح وكان من خيار الوزراء وعلمائهم وكان يبالغ في اقامة الدولة العباسية وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن حتى استقرت الخلافة بالعراق كله ليس للملوك معهم حكم بالكلية ولله الحمد ووزر للمستنجد ابن هبيرة المذكور الى ان مات سنة ستين وخمسمائة فوزر بعده شرف الدين ابو جعفر بن البلدي ولقب جلال الدين معز الدولة ووزر للمستضيء عضد الدولة رئيس الرؤساء محمد بن عبد الله بن المظفر وقيماز المستنجدي وعضد الدولة بن رئيس الرؤساء بن المسلمة ووزر للناصر ابو المظفر جلال الدين عبد الله بن يونس الحنبلي ومؤيد الدين ابو الفضل محمد بن علي بن القصاب وعز الدين ابو المعالي سعيد ابن علي بن حديدة الانصاري ونصير الدين ناصر بن مهدي العلوي ومؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي ووزر للظاهر القمي هذا ووزر للمستنصر القمي ايضا وشمس الدين ابو الازهر احمد بن محمد ابن الناقد ونصير الدين بن العلقمي ووزر للمستعصم نصير الدين محمد بن الناقد الى ان مات سنة اثنتين واربعين وستمائة فلما مات استوزر مؤيد الدين ابا طالب محمد بن احمد بن العلقمي وهو الوزير المشؤم على الخليفة وعلى بقية بني العباس وعلى سائر المسلمين وعلى نفسه ايضا فانه الذي جاء الى التتار حتى قدموا واخذوا بغداد وقتلوا الخليفة وجرى ما جرى وقال فيه بعضهم

يا فرقة الاسلام نوحوا واندبوا اسفا على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي

وقال ابن فضل الله في ترجمته وزير وليته ما وزر وارتفع راسه وليته رض بالحجر كمن كمون الارقم وسقى الناس من كاسه العلقم واما مصر فكانت امرة جلا وزارة الى ايام السلطان احمد بن طولون

فعظم

فعظم امرها ووزر لحمارويه ابو بكر محمد بن رستم المادرائى الكاتب ووزر لكافور الاخشيدى ابو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن خنزابه ووزر للعزيز جوهر القائد وللعزيز ابو الفرج يعقوب ابن يوسف بن كلس وكان يهوديا فاسلم وفوض اليه الامور فى سائر مملكته قال ابن زولاق هو اول من وزر للدولة العبيدية بالديار المصرية وكان من جملة كتاب كافور فلما مات حزن عليه العزيز حزنا شديدا واغلق الديوان اياما من اجله وكانت وفاته سنة ثمانين وثلاثمائة ووزر بعده نصرانى يقال له عيسى بن نسطورس ثم قبض عليه ووزر للظاهر ابو القاسم على بن احمد الجرجرائى فى سنة ثمان عشرة وادامه الى ان مات فى زمن المستنصر سنة ست وثلاثين فوزر بعده ابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحى وكان يهوديا فاسلم وفيه يقول الحسن بن خاقان الشاعر المصرى *

حجاب واعجاب وفرط تصلف ... ومد يد نحو العلا ستكلف
فلو كان هذا من وراء كفاية ... عذرنا ولكن من وراء تخلف

وكان معه ابو سعد التسترى اليهودى يدبر الدولة له فقال بعض الشعراء

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم ... ومنهم المستشار والملك
يا اهل مصر انى نصحت لكم ... تهودوا قد تهود الفلك

ثم عزل الفلاحى سنة تسع وثلاثين ووزر بعده ابو البركات الحسين بن محمد بن احمد الجرجرائى بن اخى الوزير صفى الدين ثم صرف فى شوال سنة احدى واربعين ووزر القاضى ابو محمد الحسن بن على البازورى مضافا للقضا القضاة ولقب الناصر لدين غياث المسلمين الوزير الاجل الملكين سيد الرؤساء تاج الاصفياء قاضى القضاة وداعى الدعاة وفى ايامه سأله المستنصر ان يكتب اسمه معه على السكة فكان ينقش عليها *

ضربت فى دولة آل الهدى ... من آل طه وآل ياسين
مستنصر بالله جل اسمه ... وعبده الناصر للدين

سنة كذا وطبعت عليها الدنانير بخوشهر فامر المستنصر ان لا تسطر فى السير ثم عزل البازورى عن الوزارة والقضا فى المحرم سنة خمسين ووزر ابو الفرج عبد الله بن محمد البابلى ثم صرف فى ربيع الاول من السنة ووزر أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى ثم صرف فى رمضان سنة اثنتين وخمسين واعيد البابلى ثم صرف فى المحرم سنة ثلاث وخمسين ووزر أبو الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر ثم صرف فى رمضان ووزر أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم أخو قاضى القضاة الى ان مات فى المحرم سنة اربع وخمسين ووزر اخوه ابو على احمد مصروفا عن القضا ثم صرف فى شوال واعيد ابو الفرج البابلى ثم صرف فى المحرم سنة خمس وخمسين واعيد ابو على احمد بن عبد الحاكم مضافا للقضا ثم صرف فى صفر واعيد ابو الفضل بن المدبر فمات فى جمادى الاولى من السنة ووزر ابو غالب عبد

الظاهر بن الفضل بن الموفق المعروف بابن البعجي ثم صرف في شعبان ووزر الحسن بن يحيى بن اسد بن ابي كدينة مضافا للقضا ثم صرف في ذي الحجة ووزر أحمد بن عبد الحاكم مضافا للقضا ثم صرف في المحرم سنة ست وخمسين ووزر ابو المكارم المشرف بن اسعد بن عقيل ثم صرف في ربيع الآخر واعيد ابو غالب عبد الظاهر ثم صرف في رجب ووزر ابو البركات الحسين بن عماد الدولة بهرجراى ثم صرف في رمضان واعيد الحسن بن يحيى ثم صرف في ذي الحجة ووزر ابو علي الحسن بن ابي سعد ابراهيم بن سهل التستري ثم صرف ووزر محمد بن جعفر المغربي ثم صرف ووزر جلال الملك ثم صرف ووزر خطير الملك ابن الوزير البازوري ثم صرف واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في سنة ست وستين وولي الوزارة التستري ثم صرف في نصف المحرم سنة سبع وخمسين ووزر ابو شجاع محمد بن الشرف ابي غالب محمد بن علي ابن خلف ثم صرف ثاني يومه عنها واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف بعد اربعة ايام واعيد ابو شجاع بن الاشرف ثم صرف في نصف ربيع الاول ووزر سديد الدولة ابو القاسم هبة الله بن محمد الرحبي ثم صرف في ربيع الآخر واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في رجب واعيد ابو المكارم المشرف بن اسعد ثم صرف في شوال ووزر الامير ابو الحسن علي بن الانباري ثم صرف في ذي الحجة واعيد سديد الدولة هبة الله ثم صرف في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ووزر جلال الملك أحمد بن عبد الكريم مضافا للقضا ثم صرف بعد أيام ووزر أبو الحسن بن طاهر بن وزير ثم صرف بعد أيام ووزر ابو عبد الله محمد بن ابي حامد التنيسي يوما واحدا ثم صرف ووزر أبو سعد منصور بن زنبور ثم هرب بعد أيام ووزر ابو العلا عبد الغني ابن نضر بن سعيد ثم صرف بعد أيام واعيد ابن ابي كدينة وولي الوزارة امير الجيوش بدر بن عبد الله البجالي واليه تنسب قيسارية امير الجيوش والعامة يقولون مرجوش وهو باني الجامع الذي بثغر الاسكندرية بسوق العطارين فاقام الى ان مات سنة ثمان وثمانين واربعمائة فقام في الوزارة ولده الافضل ابو القاسم شاهنشاه فوزر للمستنصر بعقبة ايامه وللمستعلي وصدرا من ولاية الآمر ثم انه قتل ضربه فداوى وهو راكب وذلك في رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة قال ابن خلكان وترك من الاموال ما يفوق العد من ذلك من الذهب العين سبعمائة الف الف دينار ومن الفضة مائتين وخمسين اردبا وسبعين الف ثوب ديباج اطلس وديباج فيها جوهر باثني عشر الف دينار وخمسمائة صندوق للبس بدنه وصندوقان كبيران فيهما ابر ذهب برسم النساء ومن سائر الانواع ما لا يعلم قدره الا الله وقام في الوزارة مكانه ابو عبد الله محمد بن مختار بن بابك البطائحي ولقب المأمون وهو باني الجامع الاحمر وله صنف الامام ابو بكر الطرطوشي كتاب سراج الملوك ثم قبض عليه الآمر وقتله في سنة تسع عشرة وقام في الوزارة ابو علي بن الافضل ولقب امير الجيوش فلما ولي الحافظ استحوذ الوزير على الامور دونه وحصر الحافظ في موضع لا يدخل عليه الا من يريده ونقل الاموال من القصر الى داره ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط ودعى لنفسه على المنابر بناصر ايام الحق حادي العصاة الى اتباع الحق مولى الامم ومالك فضيلتي السيف والقلم وخطب

للهدى المنتظر آخر الزمان فلم يزل كذلك الى ان قتل في العشرين من المحرم سنة خمس وعشرين قتله مماليك افرنجي الحافظ بأمره واستوزر بعده مملوكه ابا الفتح بالبس الحافظي ولقب امير الجيوش ايضا ثم تحيل منه الحافظ فدس عليه من سمه في ماء الاستنجاء فمات واستوزر بعده ابنه الحسن اعني ابن الحافظ الخليفة وكان ولي عهد أبيه فاقام ثلاثة اعوام يظلم ظلما فاحشا حتى انه قتل في ليلة اربعين اميرا فخافه ابوه فدس عليه من سمه فهلك في سنة تسع وعشرين ثم استوزر بهرام الارمني النصراني ولقب تاج الدولة فتمكن في البلاد وأساء السيرة فقبض عليه الحافظ وسجنه واستوزر بعده رضوان بن الوحشي ولقبه الملك الافضل ولم يلقب وزير بذلك قبله ثم وقع بينه وبين الحافظ فقتله سنة اثنتين واربعين وخمسمائة واستقل بتدبير أمور الحافظ من غير وزير فلما ولي الظافر سنة اربع واربعين وخمسمائة استوزر أبو الفتح بن فضال المغربي ولقب امير الجيوش فاحسن السيرة ثم قتل سنة خمس واربعين ووزر ابن سلار ولقب الملك العادل ثم قتل من عامه ووزر ابو نصر عباس الصنهاجي فدس عليه الظافر من قتله فقتل هو أيضا فلما أقيم الفائز ووزر له طلائع بن رزيك وتلقب بالملك الصالح وهو صاحب الجامع بجوار باب زويلة وخلع عليه مثل الافضل امير الجيوش بدار الحالي من الطيلسان المقور وكتب له تقليد من انشاء الموفق ابي الحجاج يوسف بن علي ابن الخلال ـــــــ وهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فالحمد لله المنعم على المخلصين من أوليائه بسوابغ آلائه * والمتكفل لمن نصره بنصره وتثبيت قدمه واعلائه * الممهد لمن قام بحجته ارفع مراتب الدنيا والآخرة * والموضح لمن حامى عن الدولة الفاطمية آيات التأييد الباهرة * والجامع القلوب على طاعة من اطاعه في الدفاع عن اهل بيت نبيه * والمحسن الى من احسن الى مهجته غيرة لائمة الهدى المصطفين من عترة وصيه * والمذل الصعاب لمن رفع راية الايمان ونشرها * والميسر الطلاب لمن احيا كلمة التوحيد وانشرها * ممن حاد الله ورسوله ممن اصطفاه من ابرار عباده * والماحي اساءة من املى ببيان الحق وجهر بعباده * والمعرض عن اسعده بالسبق الى مرضاته * لنيل غايات المن الجسيم والمرتب من جاء في ذاته * في ارفع مراتب الاجلال والتفخيم * والموجب لمن اخلص منه واحسن عملا تجميل مقام الفخر الكريم وتاجيل الخلود في النعيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * والحمد لله الذي اوضح انوار الحقائق بانبيائه الهداة * واياد برسله الابناء لعباده مناهج النجاة * وجعل العمل بمراشدهم ذريعة للموقنين الى علي المنازل ورفيع الدرجات وخصهم بافضلهم نفسا ومحتدا * واحقهم بان يكون لكفاتهم سيدا * محمد هادي الانام * والداعي الى الاسلام * والمخصوص بانشقاق القمر وتظليل الغمام * واورث اخاه وابن عمه باهر شرفه وبارع علمه وافرده بامامة البشر وخصه * وأقوها فيه وفي عقبه الى يوم القيمة بجلي النص * فاصبحت الامامة للملة الحنيفية قواما * ولاسباب الشريعة باسرها نظاما * ونقل الله نورها في أئمة الهدى من نسله فتناولها الآخر من الأول * وتلقاها الاكمل

عن الاكمل * فكلما رام معاند تحييف نورها * او قصد منافق اخفاء ظهورها * زاد انوارها اشراقا * ووجد لبدورها كمالا واتساقا * ومكن قواعد دولتها واذن زحزحها القادرون * واحكم معاقدها وان جهد في حلها الماكرون * يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * والحمد لله الذي حفظ يا امير المؤمنين نظام الخلافة واتساقها * وحمى لمياه منه دوحة الامامة وابقى نضرتها وابراقها * واورث خصائص الائمة الراشدين في آبائه * واودعه سرائر دينه المصونة في صدور أبنيائه * وايده بموارد الارشاد والالهام * وجعل طاعته فرضا مؤكدا على كافة الانام * وخصه بالتوفيق والعصمة * وأفاض للامة به سجال الرحمة * وابرم باماته امر الملة واحكم معاقد الدين * وجعله من هداة قال جل وعلا فيهم وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين يحمد امير المؤمنين على ما نقله اليه من خصائص آبائه الائمة الاطهار * ويده به في ابصار دعوته من العلو والاستظهار * واتخذه به من جنود السماء والارض واظهر له من معجزاته وآياته واظهر بمزيته من مظاهر الظفر لالويته ورايته * ونسئله ان يصلي على جده محمد نبيه الامين * ورسوله المبعوث في الامميين * الهادي الى الجنات النعيم * والمحيطة متابعته بالفوز العظيم * الذي جلى الله ظلمات الجهالة بمبعثه * وشرف الائمة من ذريته بمقامه وموروثه * ورد النافر الى الطاعة بالبر والايناس * وجعله خير رسول الى خير امة أخرجت للناس * وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب قسيمه في المناسب والفضائل * وثالثه في تشفيع الذرائع والوسائل * ومفرج الكرب عنه بموازرته وصدق كفاحه * وباب مدينة علمه الذي لا يوصل اليه الا باستفتاحه * وعلى الائمة من ذريتهما الذين بلغ الله بهم الارب والسؤل * واغنى الامة بهداهم عن التعسفية بعده برسول * والعترة المصطفين وأحد الثقلين * وبحار العلم الزاخرة * والمرجوين لصلاح الدنيا والآخرة * وسلم ومجد * ووالى ورد * وان امير المؤمنين لما مهده الله من ذرى الشرف الباذخ * وحازه لمنصبه من الفخر الاصيل والمجد الشامخ * وأفرد به من خلافته على العالمين * واورثه اياه من غوامض الحكم الذي لا يعقلها الا اسيان العالمين * وحباه به من ضروب الوجاهة والكرامة * واقاضه عليه من انوار الامامة * وواصله اليه من العناية الشاملة والبر الحفي * وجمعه له من الاحسان الجلي واللطف الخفي * واقره من مواهب الفضل والافضال لديه * وجعله في كل حركة وسكون دليلا واضحا يشير اليه * يقدر نعم الله حق قدرها * ويواصل العكوف على الاعتداد بها ونشرها * ويبالغ في شكرها قولا وعملا ونية * ويجهد نفسه في حمدها اجتهادا يرجو به درك الامنية * ويحقق ان اسماها محلا وقدرا * واولاها على كافة البرية ثناء وشكرا * واعلاها قيمة * واعمها نفعا واعذبها ديمة * واجمعها لضروب الجمل والاستبشار * واجدرها باذ تؤثر في الامم احسن الآثار * واوسعها في مضمار

الاعتداد مجالا * واعظمها على الرئيس والمرؤس نفعا وجمالا * النعمة بك ايها السيد الاجل والتغوث والدعلط اذكنت بخدة الله المذخورة لامنائه على خلقه * والقائم دون البرية بما افترضه عليهم من مظاهرة امير المؤمنين والاخذ له بحقه * واللطف الذي كان من الامامة وحزاعدائها حاجزا * والنصر الذي اصبح به امير المؤمنين يعون الله فائزا * وحزب الله القاهر الغالب * وشهاب أمير المؤمنين الصائب الثاقب * وظله الذي يفي على العام والخاص * ومنهل فضله الذي يصفو ويعذب لذوي الولاء والاخلاص * وسيفه الذي يستاصل ذوي الشقاق والنفاق * ويده التي ينبعث منها ينابيع العطاء وسحائب الارزاق * والولي الذي ارتضاه امير المؤمنين لخصائص كفيلا * والصفي الذي لا تبتغي ولته عن موازرته تبديلا ولا تحويلا * فعلو قدرك عند أمير المؤمنين لا ينتهي الى امد محدود * وقيامك في الاخذ بحقه يتجاوز كل سعي مبرور ومقام محمود * ودعاءه بنصرك الله في طاعته يصفو عنده كل عظيم في مجافاتك * وشفاؤك صدر أمير المؤمنين من اعدائه اعز القدرة عما يشفي غليله في احتذاء مجازاتك * ولقد حزت من المآثر ما فقت به أهل عصرك قدما وسبقا * وكبوت بحالك الى ذوي مجد لا يتحد الهمم العلية الى تميزها مرقا * ومازلت في كل ازمنتك سلطانا مهيبا * وفرد في المجالس لا تدرك له الافكار ضريبا * ومطاعا تباح بابنائه الاندية والمحافل * وحماما باسمه المهائب وتذعن له المحافل * وسيدا تلوى اليه مقاليد التقدمة والسيادة * ومعظما ليس على ما خصته الله به من التعظيم موضع الزيادة * وكشف الله امرك في الولاء فوهاك الائمة ظهيرا * وزادك في افعامك على الامة فاز نصاك لهداة اهل بيته معينا ونصيرا * ووفر نصيبك من الفضائل والمناقب فوهبك منها ما اقاضه عليك شرفا * واحظى الملوك بتمكنك منهم وكونك لهم فخرا وشرفا * فلا رتبة علا الا وقد فرعتها منزلا * ولا منزلة سنا الا وقد سموت اليها منتقلا * ولا حزبة فضل الا احتويت عليها وحزتها * ولا منزلة فخر الا طلتها بفضائلك وحزتها * ولا مأثرة الا وكنت فاتح بابها * ولا منزلة خطيرة الا وأنت مستوجبها واولها * ولا سمة مجد الا وخصائلك طالعة في افاقها اقمارا * ولا موقف فضل الا ولك فيه تقدم لا تنازع فيه ولا تمارى * فما يوجد مقدم الا وقد فضلته باثارك * وتقدمته ولا مميز الا اسمته في جناب فضلك * ورسمته تقلدت جلائل الامور فلبستها نباهة وتقويما * وباشرتها فاحرزت بمناقبك جلالة ووجاهة وتفخيما * تحرجريك الرتب اخيار الفخر والاجلال * وترعى بافعالك التي يبعث عليها ما اوتيته من شرف الخلال * ولم تزل تدبر اولياء الدولة ورجالها بفضائل سياستك فتثبت لهم الاقدام وتكسبهم عزة النفوس فيستهينوا في حز الانتصار بك ملاقاة الحمام * ورمى الله بك طغاة الكفار بتاييد الاسلام * واختارك للمجاهدة عن الملة فاصبحت بك مرفوعة الاعلام * وابدت الاعداء الجوامع الباكيات من المحابد والمخاوف واعمال الحسام * فلو تراخى بك الامل في جهادهم لكنت بحملهم مستاصلا * ولغدوت لهم عن الاعمال السامية بسرفانك خاصلا * فاثرك

فيهم الاثر الذى لم يبلغه مجاهده * وما فلت فى هامهم من حد العضب الصمصام ربياسى ناطق ويجدل شاهده * فما يبلغ التعداد ما جمعته من المناقب والفضائل * ولا يستولى الاحصا على ما لك من المفاخر التى لا يحيط بها احد من الملوك الاوائل * فجمع زهد الابدال الى هم الاكاسره * وتوفق فى اعمالك بين ما يقضى بصلاح الدنيا وحسن ثواب الاخرة فانت البر التقى النقى الحسيب * الطاهر المبرأ من كل دنس وعيب * والمرضى خالقه بالافعال التى لا يشوبها البس ولا ريب * وواحد الدنيا الذى لا يساوى ولا يطاول * والملك الاوحد الذى برعت اداوات كماله فما يشابه ولا يماثل * جعلتك الفضائل غريبا فى الانام * وخصك الحظ السعيد بفطرة تهرب فتهرب ان تاتى بمثلها الايام * وحويت من الاخلاق الملوكية ما قصر بعظماء الملوك من مجاراتك * واقتنيت من الحكم والمعارف ما جعل كافة العلماء مفترقين بعظم فضيلة ذلك * وقرنت بين من عزه اذ فرار البيت ولطافة حكم القلم * وكاثرت فيك المعجزات بجمعك ما افترق من مفاخر الامم * فما اشرف ما افردك الله به من كمال الشجاعة والبراعة * وتوحدك بجمعك من معجزات تصنيف الصمصام واليراعة * فسيفك مؤيد فى قط العضو والهام * وقلمك ماض فى البلاغتين مصنا لا يدركه الا بالالهام * فكم مقام جلال وجلاد فرجته بعضب وبنان * وموقف خطاب وضراب كشفت غمته بسن قلم وسنان * فسبحان من افردك باستكمال المآثر * وجمع لك من المحاسن ما اعجز وصفه جهد الناظم والناثر * وآتاك غاية شرف النفس وكرم الاصل * ومكنك من كل منقبة باحراز السبق وادراك الامل * واطلعك من افق علا تكاثرت سعوده * واستخلصك من منصب سنا سما فاعجز النجم صعوده * وانتخبك من بيت عز عزت دعائمه لذات السمهرية * وظلاله صفحات القبض المشرفية * وحشاياه صهوات الجرد الاعوجية * ولقد كان وقع التحامل على الحضرة ببعدك عن فنائها * وحسدت على قربك منها لما يعلم من متابعتك لها واعراقك فى ولائها * وحاد بك عن موضعك من الاختصاص بها * من قصد اهتضامها وافساد نسوج عقيدته نظامها * وصلها على انك لم تخل بنصرتها على بعد الدار * بل نصرت الحق حيث كان ودرت معه حيث دار * وقد كان امير المؤمنين اسدت الامور * وخوجت الصدور * وحارت الالباب * واستشرف للارتياب * يرجو من الله ان يتجاه منك بالفرج القريب * ويصمى اعداه من عزمك بالسهم المصيب * واستجاب الله دعاه فيك بما ماثل دعاء جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وصناعها * وحصل فى ذلك على معنى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها * ولما اذهب الله بك ايها السيد الاجل الملك الصالح عز دولة امير المؤمنين غايات العلى * وادرك بها ثار اولياء الله منذ وعى المابينة والبغى * واحسن له الصنيع بموازرتك * وبلغه مطافرتك ومكافئتك * لمداه جل وعلا ما احاط الخبرة بادجائه * وفقه من التعويل عليك لما كان غاية رجائه * فقلدك من وزارته * وفوض اليك تدبير مملكته وكفالته * وجعلك اماة جيوشه الميامين * وكفالة قضاة المسلمين * وهداية

دعاة المؤمنين * وتدبير ما هو مردود اليهم من الصلاة والخطابة وارشاد الاولياء المستجيبين *
والنظر في كل ما غدقه الله من أمور أوليائه اجمعين * وجنوده وعساكره المؤيدين * وكافة رعاياه
بالحضرة وجميع اعمال المملكة دانيها وقاصيها * وسائر أحوال الدولة باديها وخافيها * وكل ما تعقد
فيه اوامره * ويبوح بشعاره منابره * وردّ اليك تدبير ما وراء سرير خلافته * وسياسة ما تحتوي
عليه اقطار مملكته * والقى اليك مقاليد البسط والقبض * والرفع والخفض والابرام والنقض *
والقطع والوصل * والولاية والعزل * والتصرف والصرف * والامضاء والوقف * والغض
والتنبيه * والاجمال والتنويه * وجميع ما يقتضيه صواب التدبير من الانعام والارغام * وما
توجبه احكام السياسة من الاغضاء والاعتام * تيمينا بما يحققه مبالغتك في متابعته * واتهادك
في اعلامنا ودعوته * وعلما بان التوفيق لا يعدو ولاءك * والسعود لا يفارق اخلاءك * فتقلد ذلك
امير المؤمنين من هذه الرتب العالية * والمنزلة التي وجب عليك تناولها اعمالك الزاكية * والمنصب
الذي تحكم فيه بامر امير المؤمنين وتنطق بلسانه * وتبطش بيده وتحب وتبغض بقلبه وجنانه *
جاريا على رسمك في تقوى الله وخشيته * واتباع مرضاته واستشعار رجعته * ومنتجزا ما وعد
به في كتابه اليه ينتهي اليه الحكم وينتسب * اذ يقول تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب * والعساكر المنصورة فهم اشياع الدين * واعضاد دولة امير المؤمنين ولبنات
دعوة آبائه الراشدين * والقائمون بمدافعة الاعداء عن حوزة الدولة العلوية * والمدخورون لكفاح
المباينين للمملكة الفاطمية * والمنادون بشعارها في كل وقت وحين * والمعدون للذب عن بيضة
المسلمين * وانصار الخلافة * وطاردوا الوجل والخافة * والمصطلون نيران الحرب والكفاح *
القلوب في المواقف التي تهتز فيها السيوف وتضطرب كعوب الرماح * والممنوحون مزية
اللطف بحسن معتقدهم في الطاعة * والمستعملون في خدمة ولي نعمتهم جهد الطاقة والاستطاعة *
ومنهم الامراء الاكابر الاميان الاجابر وولاة الاعمال وسداد الثغور * والائقة بهم سوانح الرتب
ومعالي الامور * والاولياء الذين سلمت موالاتهم من الشوائب * واشتملوا على غرر المآثر
والمناقب * والانجاد الذين يندفع بهم الخطب المدلهم * والكماة الذين يتسرعون الى ما يندبون
له من كل مهم * ومازلت تحسن لهم الوساطة في الحضور والمغيب * وتشيع ذكرهم بما يتضوع
نشره ويطيب * وتسفر لهم عما يبلغون به آمالهم * وتجتهد في توفير المنافع عليهم وتحرص على
ايصالها لهم * لاسيما الآن وجميع امرهم اليك مردود * وقد ظهر لك من اخلاصهم في الطاعة
مقامهم المشهود وسعيهم المحمود * فهم خليقون منك بمصنعة المكرمة والتبجيل * جديرون
بتوفير حظهم من الاحسان الجزيل * فتوخ كلا منهم بما يقتضيه له حاله * وتستدعيه نهضته
واستقلاله * وتعرب لهم عما يمنون به عن محض طاعتهم وصريح مسابقتهم وتسرعهم الى مقارعة
الاعداء والمخالفين وتمسكهم بحبل الولاء المتين * فاما القضاة والدعاة فانت كافلهم وهاديهم

وعلمك محيط بقاصيهم ودانيهم * وتأنيك يبعثك على استكفاء اعفائهم وديانتهم ويمنعك من استعمال المغبونين في غلم وامانة * ويحضك على التعويل على ذوي النزاهة والصيانة * فأما الاموال وهي عماد الدول وقوامها * وبها يكون استتباب امورها وانتظامها * ويستعان على الاستكثار من الرجال والانصار * وبوفورها تقوم المهابة في نفوس ممالك الاطراف والاقطار * واميرالمؤمنين يرجو ان تنهض ضعفا بنظرك * وتنمي لفاضل سياستك وحمد أثرك * تقسم باذن الله في ايامك العمارة * وتتوافر مغانم الاعمال بحسن تأنيك من البهجة والنضارة * والرعايا فهم ودائع الله عند من استحفظ امورهم * وعياله الذي يتعين على ولاة الامر ان يشرحوا بالرعاية صدورهم * وتاكيد الوصايا بتخفيف الوطاة عنهم * والامر بالعدل والاحسان على الصغير والكبير منهم * وقد خصك الله بالكمال * وجب اليك من الاحسان والاجمال * بغايات تنجح لك من ابواب المصالح ما لا تحيط به الوصايا * ويشترك في عائدة نفعه الخواص والاجناد والرعايا * وقد رأى يجمل ان نكثرك بالقول ما نبتدع اضعافا بما فعالك المستحسنة * ومحلك المرتفع عن التنبيه اذ لا تلم بعين رعايتك اغواك ولا سنة * والله سبحانه يؤيد الدولة العلوية بعزماتك الماضية ويعيد عليها حقوقها بسيوفك القاضية وارائك الصائبة * ويجعل امد عمرك مديدا * واجلك في كل وقت جديدا * واعمالك مرتضاة عند الله متقبلة * ووفود المنا الى جنابك متوالية مقبلة * فاعمل به ان شاء الله تعالى وكتب امير المؤمنين الفائز على طرة السجل بخطه ما نصه لوزيرنا السيد الاجل الملك الصالح من جلالة القدر وعظم الامر وفخامة الشان وعلو المكان واستيجاب الفضل واستحقاق غاية المنى الجزيل ومزية الولي الذي بعثه على بذل النفس في نصرتنا ودعاه دون الخلائق الى القيام بحق متابعتنا وطاعتنا ما يبعثنا على التبرع له ببذل كل مصون * والابتداء من ذاتنا بالاقتراح له كل شئ يسر النفوس ويقر العيون * والذي تضمنه هذا السجل من تعريفه واوصافه * فالذي تشتمل عليه ضمائرنا اضعاف اضعافه * وكذلك شرفناه بجميع التدبير والاصالة * ورفعناه الى اعلا رتب الاصطفا بما يصلنا * له من الكفالة * والله تعالى يعضد به دولتنا * ويحوط به حوزتنا * ويمده بمواد التوفيق والتاييد * ويجعل ايامه في وزارتنا ممنوحة بآيات الاستمرار والتاييد ان شاء الله تعالى قلت كانت الوزارة قديما تعدل السلطنة الآن فان الوزير كان نائب الخليفة في بلده يفوض اليه جميع امور المملكة وتولية من دونه من العمال ونواب البلاد وتجهيز العساكر والجيوش وتفرقة الارزاق الى غير ذلك مما هو الآن وظيفة السلطان وكان الوزير يلقب بالقاب السلطنة الآن كالملك الصالح ونحوه وقد تقهقر امر الوزير حتى قال بعض وزراء الترك لشابع الوزير الآن عبارة عن حوش كاش عشش يشتري اللحم والحطب وحوائج الطعام والاجر كما قال واقام ابن دُزيك وزيرا الى ان قتل في رمضان سنة ست وخمسين في خلافة العاضد وكان العاضد والفائز كلاهما تحت حجره فاقيم

بعده

بعده فى الوزارة ابنه رزيك ولقب العادل فاقام فيها سنة وكسرا وقتل ووزر بعده شاور بن مجير ابو شجاع السعدى ولقب امير الجيوش وهو الوزير المشوم الذى يضرب به المثل فى الشوم العلجى وزير المستعصم فان هذا قد اطمع الفرنج فى اخذ الديار المصرية وما آلمه على ذلك كما ان العلجى هو الذى اطمع التتار فى اخذ بغداد الا ان الله لطف بمصر واهلها فقيض لهم عسكر نور الدين الشهيد فازاحوا الفرنج عنها وقتل الوزير شاور بيد صلاح الدين يوسف بن ايوب وقال بعض الشعراء فى ذلك *

هنيئا لمصر حوز يوسف ملكها | بأمر من الرحمن قد كان موقوتا
وما كان فيها قتل يوسف شاورا | سوى مثل الاقتال اود جالوتا

وكان قتل شاور فى ربيع الآخر سنة اربع وستين وولى الوزارة بعده الامير أسد الدين شيركوه ولقب الملك المنصور لقبه بذلك العاضد فاقام فيها شهرين وخمسة ايام ومات فى جمادى الآخرة فاستوزر العاضد بعده ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب ولقب الملك الناصر وقد تقدم ذكر الخليفة التى لبسها يومئذ ثم ان صلاح الدين ازال دولة بنى عبيد وأعاد الخطبة لبنى العباس فى اول سنة سبع وستين فصار لمصر أميرا بعد ان كان وزيرا وجعل وزيره القاضى الفاضل محيى الدين عبد الرحيم البيسانى فاستمر وزيرا له ولولده الملك العزيز ولولد العزيز الملك المنصور الى ان مات سنة ست وتسعين وخمسمائة فوزر بعده للعادل صفى الدين بن شكر المصرى الى ان عزل سنة تسع وستمائة ووزر للكامل بن شكر ايضا والحسن بن احمد الديباجى ووزر للصالح جمال الدين على بن جرير الرقى ومعين الدين الحسن بن صدر الدين شيخ الشيوخ واخوه فخر الدين يوسف والقاضى بدر الدين السنجارى والقاضى تاج الدين بن بنت الاعز ووزر لشجر الدر فى دولتها بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا ووزر للمعز لاسعد بل الاخص الاشقى هبة الله بن صاعد الفائزى وكان هذا اول شوم الاتراك فى ممالكهم انعدلوا عن وزارة العلماء الى الاقباط والمسالمة وكان الاسعد هذا نصرانيا فاسلم فلما تولى الوزارة احدث مكوسا ومظالم كثيرة على نحو ما كانت فى ايام العبيديين ووزراتهم النصارى والرافضة وقد كان السلطان صلاح الدين رحمه الله ابطلها فاحدثها هذا الملعون وقد قال فيه بعضهم

لعن الله صاعدا * واباه فصاعدا وبنيه فنازلا * واحدا بعد واحدا

ولما قتل المعز وقبض على ولده المنصور امين الاسعد هذا ثم قتل فى سنة خمس وخمسين وولى الوزارة للمظفر بعده القاضى بدر الدين السنجارى مصتافا القضاة القضاة ثم صرف من عامه عن الوزارة وولى القاضى تاج الدين بن بنت الاعز ثم صرف فى ذى القعدة سنة سبع وخمسين ووزر زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع المعروف بابن الزبير فاقام الى ايام الظاهر بيبرس فعزله من الوزارة فى ربيع الآخر سنة تسع وخمسين واستوزر بعده الصاحب بهاء الدين بن حنا فاقام

وزيرًا الى ان مات الظاهر وتولى ولده الملك السعيد فأقره على الوزارة وكتب له تقليدًا من انشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهذه صورته الحمد لله الذي وهب هذه الدولة القاهرة من لدنه وليًا * وجعل مكان سترها وشد ازرها عليًا * ورضي لها من العزيز عنده مرتضيًا * نحمده على نعمه التي امسى بنابره حفيًا * ونشكره على ان جعل حوائجنا اوزع تدبيرها من عباده من كان تقيًا * ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نسبح بها بكرة وعشيًا * ونصلي على سيدنا محمد الذي آتاه الله الكتاب وجعله نبيًا * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتبع بها صراطا سويًا * وبعد فان اولى ما تنعمت به السنة الاقلام بتلاوة سوره * وتنعمت افواه المحابر بالاستمداد لتسطير سيره * وتناجت الكرام الكاتبون بجمله ومفصله * وتناشدت الرواة حسن نسيبه وترنمت الحداة بطيب غزله * وتهادت الاقاليم تحف محجله وموجله * وعنت وجوه المهارق لصعود كلمه الطيب ورفع صالح عمله * ما كان فيه شكر لنعمة تمنها على الدولة سعادة جدودها وحظوظها * وافادة مصونها ومحفوظها * وارادة مرقومها بحسن الاستداع وملحوظها وحمد لمنحة افاتها بركة احسنت للمملكة الشريفة مآلا * وقربت لها مثالا واصلحت لها موالا احوالا * وكاثرت مدد البحر وكلما اجرى ذلك ما اجرت هي مالا * وانضنت السحب انشاء سحا واقبل سح سحها رونق الارض فذهب عوضت عنه ذهبا * كم لها في الوجود من ذكر وكرامه * وفي الوجوه من وسوم ووسامه * كم احيت مهجا وكم جعلت الدولة من امرها مخرجا * وكم وسعت املا وكم تركت مهد الخزائن ضيقا حرجا * وكم استخدمت جيش تجمد في بطن الليل * وجيش جماد على ظهور الخيل * وكم انفقت في واقف في قلب بين الصفوف والحروب * وفي واقف في صفوف المساجد من اصحاب القلوب * كم سبيل يسرت وسعود كثرت * وكم مخاوف ادبرت حين ادبرت * وكم اثار في البلاد والعباد ابرت واثرت * وكم وافت ووفت * وكم كفت وكفت وكم اعفت وعفت وعفت * وكم بها موازين الاولياء ثقلت وموازين الاعداء خفت * كم اجرت من وقوف * وكم عرفت بمعروف * وكم بيوت عبادة صاحب هذه البركات هو محرابها * وسماء جوده هو سحابها ومدينة علم هو بابها * تثنى الليالي على تقليسه الى المساجد في الحنادس * والايام على تجميره لعيادة مرضى الفقرا وحضور جنائز وزيارة القبور والدوارس * يكن تحت جناح عدله الظاعن والمقيم * وبشكر يثرب ومكة وزمزم والحطيم * كم عمت سنن تفقداته ونوافله * وكم مرت صدقاته بالوادي فسح الله في مدته فاثنت عليه رماله وبالنادي فاثنت ارامله ما زار الشام الا اغناه عن مسه المطر * ولا صحب سلطانه في سفر الا قال نعم الصاحب في السفر والحضر * ولما كان المتفرد بهذه البركات هو واحد الوجود * ومن لا يشاركه في المزايا شريك وان الليالي بايجاد مثله غير ولود * وهو الذي لم تسمع قال سامع هذه المناقب هو الموصوف عند الله وعند خلقه معروف وهذا الممدوح باكثر من هذه المدائح والمحامد من به ممدوح ومنوح والمنعوت

بذلك قد نعته باكثر من هذه النعوت الملايك وانما نذكر نبوته التلذذا فلا يعتقد كاتب ولا خاطب
انه وفى جلالته بعض حقها فانه اشرف من هذا واذا كان لا بد للمادح ان يقول
فتلك بركات المجلس العالى الوالدى الصاحبى الوزيرى السيدى الورعى الزاهدى العابدى الذخرى
الكفيلى المهتدى المشيدى العونى القوامى النظامى الافضلى الاشرفى العاملى العادلى البهائى سيد
الوزراء والاصحاب فى العالمين كهف العابدين ملجأ الصالحين شرف الاولياء المتقين مدبر
الدول سناد الثغور صلاح الممالك قدوة الملوك والسلاطين يمين امير المؤمنين على بن محمد
ادام الله جلاله من تشرف الاقاليم بحيطة قلمه المبارك * والتقاليد بتجديد تقييده الذى لا يساهم
فيه ولا يشاركه * فما تجدد منها انما هو عشابة آيات تزداد فتردد * او بمنزلة ابهجالى فى كل حين
يحكم وفيه يشهد * حتى تتناقل بثبوته الايام والليالى * ولا يخلو جيد دولة ان يكون الحالى
بحاله من مفاخر الاوالى * فلذلك خرج الامر العالى لا برح بكسب بهاء الدين المحيى اتم الانوار *
ولا برحت مراسمه تزهو من قلم منفذه بذى الفقار وذى الفقار * ان يضمن هذا التقليد الشريف
بالوزارة التامة العامة الشاملة الكاملة الشريفة الصاحبية البهائية احسن التضمين * وان
ينشر منها ما يتلو فى رايته كل رب سيف وقلم باليمين * وان يعلم كافة الناس من يومه طاعة هذه الدولة وملكها من مذعن
وامير * وكل مدينة ذات منبر وسرير * وكل من جمعته الاقاليم من نواب سلطنة * وذوى طاعة
مذعنة * واصحاب عقد وحل وظعن وحل وذوى جنود وحشود * ورافعى اعلام وبنود * وكل
راع ورعية * وكل من ينظر فى الامور الشرعية * وكل صاحب علم وتدريس * وتهليل وتقديس *
وكل من يدخل فى حكم هذه الدولة العالية من شموسها المضيه * وبدورها المنيرة ونجومها المشرقة
وشهبها الثاقبة فى الممالك المصرية والنوبية والشاطية والكركية والشوبكية والشامية
والحلبية * وما تداخل بين ذلك من ثغور وحصون وممالك ان القلم المبارك الصاحبى البهائى
فى جميع هذه الممالك مبسوط * وامر تدبيرها بامره منوط وعناية شفقته لها محوط * وله النظر
فى احوالها واموالها * واليه امر قوانينها ودواوينها وكتابها وحسابها ومرابيها وروابيها وتصريفها
ومصروفها * واليه التولية والصرف * واليه تقدمة البدل والنعت والتوكيد والعطف * وهو
صاحب الرتبة التى لا يحلها سواه وسوى من هو مرتضيه من السادة الوزرانية ومن سمينا غيره
وغيرهم بالصحبية * فليحذر من يخاطب غيرهم بها او يسميه فكما كان والدنا الشهيد يخاطبه
بالوالد خاطبناه بذلك وخطبناه وما عدلنا عن ذلك بل عدلنا لانه ما ظلم من اشبه اباه فنزلته
لا تسامى ولا تسام * ومكانته لا تراعى ولا ترام * فمن قدح فى سيادته من حساده اباد هم
الله زناد قدح أحرق بشرر شروره * ومن ركب الى جلالته سيح شؤم اغرق فى بحره * ومن قتل
لسعادته جعل كيد فانما قتله مبرمه لنحره * فلتلزم الالسنة والاقلام والاقدام فى خدمته
احسن الآداب * وليمثل المتردد ونحطة اذا دخلوا الباب * ولا يغرنهم فرط تواضعه لدينه

وتقواه فمن تادب معه تادب معنا ومن تادب معنا تادب مع الله وليتلق هذا التقليد على رؤوس الاشهاد * وتنشر نفحته حتى تتناقلها الامصار والبلاد * فهو حجتنا على من سميناه خصوصا ومن يدخل في ذلك بطريق العموم * فليعملوا فيه بالنص والقياس والاستنباط والمفهوم * والله يزيد المجلس العالي الصاحبي البهائي من فضله ويبقيه لغاية هذه الدولة * ويصونه لشيله كما صانه لأسلافه من قبله * ويمتع بنيته الصالحة التي يحسن بها ان شاء الله نماء الفرع كما حسن نماء اصله واستمر الصاحب بهاء الدين في الوزارة الى ان مات في ذي القعدة سنة سبع وسبعين وكان الملك السعيد اذ ذاك بدمشق فلما بلغته وفاته ارسل الى برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري باستقراره وزيرا بالديار المصرية فقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر حين سير اليه تقليد الوزارة بذلك زال الخلاف واصطلح الخصمان يا دولة الملك السعيد فلما قالت الوزارة بالبرهان قال البرهان بالتقليد وقال السراج الوراق حين خلع عليه *

تهن بخلعة ليست جمالا ... بوجه منك سمح يجتلوه
وقال الناس حين لبستها ... اهذا البدر قلت لهم اخوه

وقال في خلعة ولده شمس الدين

اهنى الوزير بن الوزير بخلعة ... محاسنها فتانة العقل والحس
امنت بها الآفاق شرقا ومغربا ... ولا زلا من اطوافها مطلع الشمس

ولما عوجل خلع الملك السعيد قال ناصر الدين بن المنجب *

تطيرة الوزارة من قريب ... بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبة كعب شوم ... ولا سيما على الملك السعيد

واقام السنجاري في الوزارة الى ان ولي قلاوون في رجب سنة ثمان وسبعين فعزله واستوزر فخر الدين بن لقمان كاتب الستر فاقام الى جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين فاعيد السنجاري الى الوزارة ورجع ابن لقمان الى كتابة الانشا فاقام الى ربيع الاول سنة ثمانين فعزل ووزر نجم الدين حمزة بن محمد بن هبة الله الاصفوني ووزر الامير علم الدين سنجر الشجاعي وهو اول من ولي الوزارة من الامراء واول وزير ضرب على بابه الطبلخاناه على قاعدة وزراء الخلافة بالعراق ثم عزل ووزر الامير بدر الدين بيدار ثم صرف واعيد الشجاعي ثم صرف ووزر شمس الدين محمد بن عثمان المعروف بابن السلعوس فاقام الى ان قتل الاشرف فاخذ وضرب الى ان مات تحت الضرب وكان لما تولى الوزارة كتب اليه بعض اصحابه يحذره من الامير علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري

تنبه يا وزير الارض واعلم ... بانك قد وطيت على الافاعي
وكن بالله معتصما فاني ... اخاف عليك من نهش الشجاعي

فكان الذي تسبب في اهلاكه الشجاعي وولي الشجاعي الوزارة مكانه فاقام بها اكثر من شهر وحدثته

نفسه بالسلطنة فقتل وولى الوزارة بعده تاج الدين بن فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا فاقام الى ان
تولى العادل كتبغا فعزل وولى مكانه فخر الدين عثمان بن مجد الدين عبد العزيز بن الخليل فاقام الى ان تولى لاجين
فعزل وولى مكانه الامير شمس الدين سنقر الاعسر ثم عزله من عامه وحبس فلما اعيد الملك الناصر الى السلطنة
اخرج الاعسر من الحبس واعاده الى الوزارة ثم عزله في سنة احدى وسبعمائة وولى الامير عز الدين ايبك
المنصوري وولى ناصر الدين محمد المتنبي ثم عزل في شوال سنة اربع ووزر سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء الله
في المحرم سنة ست ووزر التاج ابو الفرج بن سعيد الدولة المسلماني ووزر ضياء الدين النشاء فلما عاد
الناصر الى السلطنة المرة الثالثة سنة سبع استوزر فخر الدين الخليلي ثم عزل في رمضان سنة عشر ووزر
الامير سيف الدين بكتمر الحاجب ثم عزل في ربيع الآخر سنة احدى عشرة ووزر امين الملك ابو سعيد
المستوفي ووزر في سنة ثلاث وعشرين امين الملك ثم الامير علاء الدين مغلطاي ابجاوي ثم ابطل الناصر الوزارة
ورتب وظيفة ناظر الخواص وولاها كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن المتديد فكان كالوزير وربما
قيل له الصاحب واستمرت الوزارة شاغرة الى سنة اربع واربعين فاستوزر الكامل شعبان نجم الدين
محمود بن شروين وكان اصله وزير بغداد في المحرم ووزر الامير ايتمش المجدي ووزر الامير سنجك اليوسفي
ثم عزل ثالث ربيع الاول سنة تسع واربعين ووزر الامير استدمر العمري في رابع عشرة ثم استعفى في خامس
عشرين ربيع الآخر فاعفي واعيد سنجك ثم عزل في محرم سنة احدى وخمسين ووزر علم الدين عبد الله بن احمد
ابن زنبور القبطي ثم عزل في رمضان سنة ثلاث وخمسين ووزر رفيق الدين هبة الله بن سعد الدولة القبطي
فاقام الى ان مات في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وشغرت الوزارة بعده الى سنة ثمان وخمسين ووزر
الامير قشتمر ثم عزل سنة تسع وخمسين ووزر تاج الدين بن رديشة ثم عزل سنة احدى وستين ووزر
جمال الدين يوسف بن ابي شاكر ثم وزر الامير الاكرا الكلاوي ثم وزر كريم الدين بن عنام ثم فخر الدين بن
تاج الدين موسى ثم صرف سنة اربع وسبعين ووزر ابن العنام ثم صرف سنة خمس وسبعين واعيد
سنجك اليوسفي الى الوزارة وفوض اليه السلطان كل امور المملكة وانه اقامه مقام نفسه في كل شيء وانه
يخرج الاقطاعات التي عبرتها سبعمائة دينار فصاعدا وانه يعزل من شاء من ارباب الدولة ويخرج
الطبلخانات والعشراوات وسائر المماليك الشامية ورسم للوزير أن يجلس قدامه في الدركاة ثم مات
سنجك في اول سنة سبعين قال ابن الكرماني في مختصر المسالك وهو الذي جعل اللحم السميط في وزارته
ولم يكن يفرق عليهم قبل ذلك الا السليخ ووزر تاج الدين عبد الوهاب الملكي ويعرف بالنشو ثم صرف
في رجب سنة ست وسبعين واعيد ابن العنام ثم صرف من عامه وتعطلت الوزارة الى ربيع الاول
سنة سبع وسبعين فاعيد التاج الملكي ثم صرف سنة ثمان وسبعين واعيد ابن العنام ثم صرف
واعيد النشو ثم صرف واستقر كريم الدين بن الرويهب ثم عزل في شوال سنة تسع وسبعين ووزر
صلاح الدين خليل بن عرام ثم عزل في صفر سنة ثمانين ووزر كريم الدين بن مكانس ثم عزل في شوال
من السنة واعيد النشو ثم عزل في ربيع سنة احدى وثمانين ووزر شمس الدين بن ابره ثم عزل

سنة خمس وثمانين ووزر شمس الدين ابراهيم كاتب اربان فاقام الى ان مات سنة تسع وثمانين ووزر
بعده علم الدين ابراهيم القبطي بن كاتب سيدى ثم عزل في رمضان سنة تسعين ووزر كريم الدين بن
غنام ثم وزر موفق الدين أبو الفرج في صفر سنة اثنتين وتسعين ثم وزر سعد الدين سعد الله بن البقري
في ربيع الآخر من السنة ثم عزل في رمضان سنة اثنتين وتسعين واعيد ابو الفرج ثم عزل في صفر ووزر
ركن الدين عمر بن قيماز ثم عزل في رجب ووزر تاج الدين بن ابي شاكر ثم عزل في المحرم سنة خمس وتسعين
واعيد موفق الدين ثم عزل سنة ست وتسعين ووزر الامير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلبك بن الحسام
ولقب وزير الوزراء الى ان مات سنة ثمان وتسعين ووزر مبارك شاه ثم صرف في رجب واعيد ابن البقري
ثم عزل في ربيع الاول سنة تسع وتسعين ووزر بدر الدين محمد الطوخي ثم صرف في ربيع الآخر سنة
احدى وثمانمائة ووزر تاج الدين عبد الرزاق بن ابي الفرج ثم صرف في ذي القعدة من السنة ووزر
الشهاب احمد بن عمر بن قطنة ثم صرف في ذي الحجة من السنة ووزر فخر الدين ماجد بن غراب ثم صرف
في ربيع الآخر سنة اثنتين واعيد بدر الدين الطوخي ثم عزل واعيد ابن غراب ثم عزل في رجب سنة
ثلاث ووزر علم الدين يحيى بن اسعد المعروف بابو كم ثم صرف في ربيع الآخر سنة اربع ووزر
الامير مبارك شاه الحاجب ثم صرف ووزر تاج الدين بن البقري ثم صرف في المحرم ووزر فخر الدين
ابن غراب ثم عزل سنة خمس ووزر علاء الدين الاخميمي ثم عزل في شوال ووزر مبارك شاه ثم
صرف وولي تاج الدين بن البقري ثم توارى في المحرم سنة ست وثمانمائة واعيد علم الدين ابو كم
ثم هرب بعد ثمانية ايام واعيد ابن البقري ثم هرب في ربيع الاول واعيد تاج الدين عبد الرزاق ثم
هرب ايضا بعد أيام واعيد ابن البقري ثم صرف في ذي الحجة سنة سبع واعيد فخر الدين ماجد بن
غراب ثم صرف سنة تسع ووزر جمال الدين البيري الاستادار ثم صرف في سنة اثنتي عشرة ووزر
سعد الدين ابراهيم بن البشيري ثم صرف في ربيع الاول سنة ست عشرة ووزر تاج الدين بن الهيصم
ثم وزر تقي الدين عبد الوهاب بن ابي شاكر في المحرم سنة تسع عشرة فاقام الى ذي القعدة من السنة
ومات فوزر فخر الدين الاستادار في سنة عشرين ووزر ارغون شاه ثم صرف في جمادى الاولى
سنة احدى وعشرين ووزر بدر الدين بن محب الدين ثم صرف في ذي القعدة من عامه ووزر بدر
الدين بن نصر الله ثم صرف في المحرم سنة اربع وعشرين ووزر تاج الدين كاتب المناخات ثم صرف
في ذي الحجة سنة خمس وعشرين ووزر ارغون شاه ثم صرف في شوال سنة ست وعشرين ووزر
كريم الدين بن كاتب المناخات ثم صرف في رجب سنة سبع وثلاثين ووزر امين الدين بن الهيصم
ثم صرف في سنة ثمان وثلاثين ووزر سعد الدين ابراهيم بن كاتب جكم ثم وزر اخوه جمال الدين
يوسف في ربيع الاول من السنة ثم صرف في جمادى الآخرة من السنة ووزر تاج الدين عبد الوهاب
ابن الخطير ثم صرف في رمضان سنة تسع وثلاثين ووزر الامير خليل بن شاهين نائب الاسكندرية
ثم صرف ووزر كريم الدين بن كاتب المناخ في ربيع الاول سنة اربعين ثم في جمادى الآخرة سنة احدى

وخمسين

وخمسين وزيد عوضا عن أمين الدين بن الهيصم صرف ووزر سعد الدين فرج بن النجار ثم صرف في جمادى سنة ثمان وخمسين واعيد امين الدين بن الهيصم ثم صرف في ذي القعدة من السنة واعيد سعد الدين ثم وزر علي بن محمد الاهناسي ثم صرف في صفر سنة اربع وستين ووزر فارس المجدي يوما واحدا ثم صرف ووزر منصور الكاتب ثم صرف ووزر محمد الاهناسي والد علي المذكور عشرة ايام ثم وزر منصور الاسلمي ثم صرف في ربيع الآخر واعيد سعد الدين بن النجار ثم صرف في ربيع الاول سنة خمس وستين واعيد علي بن الاهناسي ثم صرف ووزر شمس الدين بن صنيعة ثم صرف في صفر سنة سبع وستين واعيد ابن الاهناسي ثم صرف في شوال ووزر مجد الدين بن البقري ثم صرف في المحرم سنة ثمان وستين ووزر يونس بن عمر بن جوبغا ثم صرف عن قريب واعيد المجد بن البقري ثم صرف في ربيع الاول ووزر محمد البياوي الى ان غرق آخر ذي الحجة سنة تسع وستين واعيد الشرف يحيى بن صنيعة ثم صرف في جمادى الآخرة ووزر قاسم العراقي ثم صرف ووزر الامير بيشبك الدوادار ثم صرف ووزر الامير خشقدم الطواشي ثم صرف ووزر ابن الزراذيري كاشف الصعيد ثم صرف عن قريب واعيد قاسم ثم صرف ووزر الامير اقبردي الدوادار ثم ولي بعده الامير كرتباي الاحمر يوم الخميس مستهل ذي الحجة سنة احدى وتسعمائة *

ذكر كتاب السر

قال ابن الجوزي في التلقيح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابي بن كعب وزيد بن ثابت الانصاري ومعاوية بن ابي سفيان وحنظلة بن الربيع الاسدي وخالد ابن سعيد بن العاص وابان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وكان المداومة له على الكتابة زيد ومعاوية وكان كاتب ابي بكر الصديق عثمان بن عفان وكاتب عمر زيد بن ثابت وكاتب عثمان مروان بن الحكم وكاتب علي عبد الله بن رافع وسعيد بن ابي نمر وكاتب الحسن كاتب ابيه وكاتب معاوية عبيد الله بن اوس الغساني وكاتب يزيد عبيد الله بن اوس ثم عمر العذري وكاتب ابنه معاوية زمل بن عمرو العذري وكاتب مروان عبيد الله بن اوس وشعبان الاحول وكاتب عبد الملك بن مروان روح بن زنباع الجذامي وقبيصة بن ذويب وكاتب ابنه الوليد قبيصة بن ذويب وقرة بن شريك والضحاك بن زمل وكاتب سليمان يزيد بن المهلب وعبد العزيز بن الحارث وكاتب عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة الكندي والليث ابن ابي رقية وكاتب يزيد بن عبد الملك سعيد بن الوليد الابرش ومحمد بن عبد الله بن حارثة الانصاري وكاتب هشام هذان وسالم مولاه وكاتب الوليد العباس بن مسلم وكاتب يزيد بن الوليد ثابت ابن سليمان وكاتب ابراهيم بن الوليد ثابت هذا وكاتب مروان الحمار عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر وقال ابن فضل الله كانت كتابة الانشا في المشرق في خلافة بني العباس منوطة بالوزراء وربما انفرد بها رجل واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة فكان يسمى في المشرق كاتب الانشا ثم لما كثر عددهم

سمى رئيسهم رئيس ديوان الانشا ثم بقي يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشا وتارة كاتب السر قال وهي عندي أثبته وعند الناس أدل وكانت في دولة السلاجقية وملوك الشرق يسمى ديوان الطغراوية والطغرا هي الطرة بالفارسية وأهل المغرب يسمون صاحب ديوان الانشا صاحب القلم الأعلى انتهى وقال غيره انما حدثت وظيفة كتابة السر في ايام قلاوون وكانت هذه الوظيفة قديما في ضمن الوزارة والوزير هو المتصرف في الديوان وتحت يده جماعة من الكتاب وفيهم رجل كبير يسمى صاحب ديوان الانشا وصاحب ديوان الرسائل فكان الكاتب للاسفاح عبد الجبار بن عدي ثم كتب للمنصور وكتب له ايضا عبد الله بن المقفع المشهور بالبلاغة وأبو أيوب المرزباني وكتب للمهدي وزيره معاوية بن عبد الله والربيع بن يونس الحاجب وكتب للهادي عمرو بن يزيد فلما استخلف الرشيد ولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الانشا فكان هو الذي قام خطيبا بين يديه حتى اخذت له البيعة وكتب للمامون احمد بن يوسف ابن القاسم بن صبيح الكاتب واحمد بن الضحاك الطبري وعمرو بن مسعدة والعلي بن ايوب وعمرو بن مهبول وكتب للمعتصم والواثق ابراهيم الموصلي وكتب للمتوكل احمد بن المدبر وابراهيم بن العباس الصولي وكتب للطائع ابو القاسم عيسى بن الوزير علي بن عيسى بن الجراح وكتب للقادر ابراهيم بن هلال الصابي وكان على دين الصابئة الى ان مات وكتب بجماعة من الخلفاء ابو سعيد العلاء بن الحسن ابن وهب بن الموجلايا قال بعضهم كتب في الانشا للخلفاء خمسا وستين سنة وكان نصرانيا فاسلم على يد المقتدي وكتب للمقتفي سديد الدولة ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الكريم بن الانباري قال ابن كثير كان كاتب الانشا ببغداد للخلفاء وانفرد بصناعة الانشا وكتب للناصر قوام الدين يحيى بن سعيد الواسطي المشهور بابن زيادة صاحب ديوان الانشا ببغداد ومن انتهت اليه رياسة الترسل وكتب للمستعصم عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن ابي الحديد المدائني الكاتب ومات سنة خمس وخمسين وستمائة وقتل الخليفة عقيب موته فهو آخر كتاب الانشا لخلفاء بغداد

قلت ومن الاتفاق الغريب ان آخر خلفاء بني امية كتب له عبد الحميد الكاتب وآخر خلفاء بني العباس ببغداد كتب له من اسمه عبد الحميد واما مصر فلم يكن بها ديوان انشا من حين فتحت الى ايام احمد بن طولون فقوي امرها وعظم ملكها فكتب عنده ابو جعفر محمد بن احمد بن مودود * وكتب لولده خمارويه اسحاق بن نصر العبادي وتوالت دواوين الانشا بذلك الى ان ملكها العبيدية فعظم ديوان الانشا بها ووقع الاعتناء به واختاروا لهذا الكتاب ما بين مسلم وذمي فكتب للعزيز ابن المعز وزيره ابن كلس ثم ابو عبد الله الموصلي ثم ابو المنصور بن حور بن النصراني ثم كتب للحاكم ومات في ايامه وكتب للحاكم بعده القاضي ابو الطاهر الهولي ثم كتب لابن الحاكم الظاهر وكتب للمستنصر القاضي ولي الدين بن خيران وولي الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله الى الوزارة وابو سعيد العبدي وكتب للآمر والحافظ ابو الحسن علي بن ابي اسامة الحلبي الى ان توفي فكتب ولده ابو المكارم الى ان توفي ومعه امين الدين تاج الرياسة ابو القاسم علي بن سليمان المعروف بابن الصيرفي والقاضي

كاتبي الكتاة محمود بن الموفق بن قادوس وابن ابي الدم اليهودي ثم كتب بعد ابن ابي المكارم القاضي موفق
الدين ابو الحجاج يوسف بن الخلال بقية ايام الحافظ الى آخر ايام المعاضد وبه تخرج القاضي الفاضل
ثم اشترك العاضد مع ابن الخلال في ديوان الانشا القاضي جلال الدين محمود الانصاري ثم كتب القاضي
الفاضل عبد الرحيم البيساني بين يدي ابن الخلال في وزارة صلاح الدين فلما ملك صلاح الدين
كتب له القاضي الفاضل ثم اضيفت اليه الوزارة ثم كتب بعده لابنه العزيز ثم لولده المنصور وسات
وكتب للكامل امين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج الى ان مات فكتب بعده امين الدين عبد المحسن
ابن حمود الحلبي ثم كتب للصالح ايضا ثم ولي ديوان الانشا الصاحب بهاء الدين زهير الشاعر المشهور
ثم صرف وولي بعده الصاحب فخر الدين ابراهيم بن لقمان الاسعردي فاقام الى انقراض الدولة الايوبية
وكتب بعدها للمعز ايبك ثم للظفر قطز ثم للظاهر بيبرس ثم للمنصور قلاوون ثم نقله قلاوون من
ديوان الانشا للوزارة وولي ديوان الانشا مكانه فتح الدين بن عبد الظاهر وهو اول من سمي كاتب
السر وسبب ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي ان الملك الظاهر رفع اليه مرسوم انكره فطلب
محيي الدين بن عبد الظاهر وانكر عليه فقال يا خوند هكذا قال لي الامير سيف الدين بلبان الدوادار
فقال السلطان ينبغي ان يكون للملك كاتب سر يتلقى المرسوم منه شفاهًا وكان قلاوون حاضرًا
من جملة الامر آفورت هذه الكلمة وصدره فلما استطن اتخذ كاتب سر فكان فتح الدين هذا
اول من شهر بهذا الاسم وكان هو والوزير بن لقمان بين يدي السلطان فحضر كتاب فاراد الوزير أن
يقرأه فاخذ السلطان الكتاب منه ودفعه الى فتح الدين وأمره بقراءته فعظم ذلك على ابن لقمان
وكانت العادة اذ ذاك ان لا يقرأ أحد على السلطان كتابا بحضرة الوزير واستمر فتح الدين بكتابة
السر الى ان توفي ايام الاشرف خليل فولي مكانه تاج الدين بن الاثير الى ان توفي وولي شرف الدين
عبد الوهاب المعري ثم نقله الناصر في سنة احدى عشرة وسبعمائة الى الكتابة السر بدمشق وولي
مكانه علاء الدين بن تاج الدين بن الاثير الى ان افلج وولي محيي الدين بن فضل الله وولده شهاب
الدين معينا له لكبر سنه ثم صرفا وولي شرف الدين بن الشهاب محمود ثم صرف واعيد ابن فضل الله
وولده شهاب الدين ثم صرفا الى الشام وولي علاء الدين بن فضل الله اخو شهاب الدين فاستمر
في الوظيفة نيفا وثلاثين سنة الى ان مات سنة تسع وستين وسبعمائة وولي ولده بدر الدين
محمد الى ان تسلطن برقوق فصرفه وولي اوحد الدين عبد الواحد بن اسمعيل التركماني الى ان مات
في ذي الحجة سنة ست وثمانين واعيد بدر الدين الى ان تسلطن برقوق الثانية فصرفه وولي علاء الدين
علي بن عيسى الكركي الى ان مات سنة اربع وتسعين واعيد بدر الدين الى ان مات في شوال سنة
ست وتسعين وولي بدر الدين محمود الكلستاني الى ان مات في جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة
وولي فتح الدين فتح الله بن مستعصم التبريزي ثم صرفه الناصر فرج بسعد الدين بن غراب مدة يسيرة
ثم صرف ابن غراب واعيد فتح الله ثم صرف وولي فخر الدين بن المزوق ثم صرف واعيد فتح الله الى ان

قبض عليه المؤيد سنة ست عشرة وثمانمائة وولى ناصر الدين محمد بن البارزى الى ان مات فى سنة ثلاث وعشرين وولى ولده كمال الدين محمد ثم صرف وولى علم الدين داود بن الكويز الى ان مات سنة ست وعشرين وولى جمال الدين يوسف بن الكركى ثم صرف وولى قاضى القضاة شمس الدين الهـ. وى الشافعى ثم صرف وولى نجم الدين عمر بن حجى ثم صرف وولى شمس الدين محمد بن مزهر الى ان مات فى جمادى الآخرة سنة اثنين وثلاثين وولى ولده جلال الدين محمد ثم صرف وولى الشريف شهاب الدين الدمشقى الى ان مات بالطاعون وولى شهاب الدين احمد بن الشماخ الحلبى الى ان مات سنة خمس وثلاثين وولى الوزير كريم الدين عبد الكريم كاتب المناخ مضافا للوزارة ثم صرف بعد اشهر واعيد الكمال بن البارزى ثم صرف فى رجب سنة تسع وثلاثين وولى محب الدين بن الأشقر ثم صرف وولى صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الى ان مات بالطاعون سنة احدى واربعين وولى مكانه ابوه الصاحب بدر الدين حسن ثم صرف فى ربيع الآخر سنة اثنتين واربعين واعيد ابن البارزى الى ان مات فى صفر سنة ست وخمسين واعيد ابن الاشقر ثم صرف فى ذى القعدة وولى محب الدين بن الشحنة ثم صرف بعد ستة اشهر واعيد ابن الاشقر ثم صرف فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين واعيد ابن الشحنة ثم صرف فى شوال سنة ست وستين وولى القاضى برهان الدين بن الديرى ثم صرف بعد نصف شهر وولى القاضى تقى الدين ابو بكر بن كاتب السترى بدر الدين بن مزهر فاستمر الى الآن كامله الله بالطافه وختم لنا وله بخير آمين ثم توفى فى سادس رمضان سنة ثلاث وتسعين وولى ولده القاضى بدر الدين اعزه الله تعالى

ذكر جوامع مصر

اعلم انه من حين فتحت مصر لم يكن بها مسجد تقام فيه الجمعة سوى جامع عمرو بن العاص الى ان قدم عبيد الله بن على بن عبد الله بن عباس من العراق فى طلب مروان الحمار سنة ثلاث وثلاثين ومائة فنزل عسكره فى شمالى الفسطاط وبنوا هنالك الابنية فصح فى ذلك الموضع بالعسكر واقيم هناك الجمعة فى مسجد فصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع العسكر الى ان بنى السلطان احمد بن طولون جامعه حين بنى القطائع فابطلت الخطبة من جامع العسكر وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون الى ان قدم جوهر القائد واختط القاهرة وبنى الجامع الازهر فى سنة ستين وثلاثمائة فصارت الجمعة تقام بثلاثة جوامع ثم ان العزيز بالله بنى فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم سنة ثمانين وثلاثمائة واكمله ابنه الحاكم ثم بنى جامع المقس وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع الستة الى ان انقضت دولة العبيديين فى سنة سبع وستين وخمسمائة فبطلت الجمعة من الجامع الازهر وبقيت فيما عداه فلما كانت الدولة التركية احدثت عدة جوامع فبنى فى زمن الظاهر بيبرس

جامع بالحسينية في سنة تسع وستين ثم بنى الناصر بن قلاوون الجامع الجديد بمصر في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وبنى امراؤه وكتابه في ايامه نحو ثلاثين جامعا وكثرت في هذا القرن وما بعده الى الآن فلعلها الآن في مصر والقاهرة اكثر من مائتي جامع قال هشام بن عمار حدثنا المغيرة بن المغيرة حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن ابيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب الى ابي موسى وهو على البصرة يامره ان يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن ابي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى امراء اجناد الشام ان لا ينيخوا الى القرى وان ينزلوا المدائن وان يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد وكان الناس متمسكين بامر عمر وعهده وقال القضاعي لم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاصي بشيء من ارض مصر الا بجامع الفسطاط قال ابن يونس جاء نفر من غافق الى عمرو بن العاصي فقالوا انا نكون في الريف فنجتمع في العيدين الفطر والاضحى ويؤمنا رجل منا فقال نعم قالوا فالجمعة قال لا ولا يصلي الجمعة بالناس الا من اقام الحدود واخذ بالذنوب واعطى الحقوق

جامع عمرو

قال ابن المتوج في ايقاظ المتغفل وانقاظ المتوسل هو الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع قال الليث بن سعد ليس لاهل الراية مسجد غيره وكان الذي حاز موضعه ابن كلثوم التجيبي ويكنى ابا عبد الرحمن ونزله في حصارهم الحصن فلما رجعوا من الاسكندرية سأل عمرو قيسبة في منزله هذا ليجعله مسجدا فقال قيسبة فاني اتصدق به على المسلمين فسلمه اليهم فبني في سنة احدى وعشرين وكان طوله خمسين ذراعا في عرض ثلاثين ويقال انه وقف على اقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت والدرداء وابو ذر وابو بصرة وتميم ابن جزء الزبيدي ونبيه بن صهاب وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر ورافع بن مالك وغيرهم ويقال انها كانت مشرفة جدا وان قرة بن شريك لما هدم المسجد وبناه في زمن الوليد تيامن قليلا وذكر ان الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة كانا يتيامنان اذا صليا فيه ولم يكن للمسجد الذي بناه عمرو محراب يحوفي وانما قرة بن شريك جعل المحراب المجوف واول من احدث ذلك عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ عامل الوليد على المدينة حين هدم المسجد النبوي وزاد فيه واول من زاد في جامع عمرو مسلمة بن مخلد وهو امير مصر سنة ثلاث وخمسين شكى الناس اليه ضيق المسجد فكتب الى معاوية فكتب معاوية اليه يأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من بحريه وجعل له رحبة من البحري وبيضنه وزخرفه ولم يغير البناء القديم ولا احدث في قبلته ولا غربيه شيئا وكان عمرو قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزم عليه في كسره اما يحسبك ان تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره وذكر انه زاد من شرقيه حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاصي وفرشه بالحصر وكان مفروشا بالحصباء وقال في كتاب الجند العربي ان مسلمة نقض جميع ما كان عمرو بن العاص

بناه وزاد فيه من شرقيه وبنا فيه اربع صوامع فاركانه الاربعة برسم الاذان ثم هدمه عبد العزيز بن مروان
ايام امرته بمصر في سنة تسع وسبعين وزاد فيه من ناحية الغرب وادخل فيه الرحبة التي كانت بجريه ثم في سنة
تسع وثمانين امر الوليد نائبه بمصر برفع سقفه وكان مطاطيا ثم هدمه قرة بن شريك بامر الوليد سنة اثنتين
وتسعين وبناه فكانوا يجمعون في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه في رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب
فيه المنبر الجديد في سنة اربع وتسعين وعمل فيه المحراب المجوف وعمل الجامع اربعة ابواب ولم يكن له قبل
الايابان ويحيى فيه بيت المال بناه اسامة بن زيد التنوخي متولي الخراج بمصر سنة تسعة وتسعين فكان
مال المسلمين فيه ثم زاد فيه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وهو يومئذ أمير من قبل السفاح وذلك في سنة
ثلاث وثلاثين ومائة فادخل فيه دار الزبير بن العوام واحدث له بابا خامسا ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمي
وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر
ابن الحسين وهو أمير مصر من قبل المامون في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة ومائتين فكامل ذرع الجامع
مائتان وتسعين ذراعا يذراع العمل طولا في مائة وخمسين عرضا ويقال ان ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك
سوى الازقة المحيطة بجوانبه الثلاث ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الاخضر فلما احترق الجامع احترق
ذلك اللوح فجعل احمد بن محمد البجيفي هذا اللوح مكانه وهو الباقي الى اليوم ولما تولى الحارث بن مسكين
القضا من قبل المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين امر ببناء هذه الرحبة لينتفع الناس بها وبلط زيادة
ابن طاهر واصلح السقف ثم زاد فيه ابو أيوب احمد بن محمد بن شجاع صاحب الخراج في ايام المعتصم في سنة
ثمان وخمسين ومائتين ثم وقع في مؤخر الجامع حريق في ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين
ومائتين فامر خمارويه بن احمد بن طولون بعمارته على يد البجيفي فاعيد على ما كان وانفق فيه ستة آلاف
واربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه في دائرة الرواق الذي عليه اللوح الاخضر وزاد فيه ابو حفص
العباسي ايام نظره في قضا مصر خلافة لاخيه الغرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح وذلك في سنة ست
وثلاثين وثلاثمائة ثم زاد فيه ابو بكر محمد بن عبد الله بن الخازن رواقا مقداره تسعة اذرع وذلك في رجب
سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ومات قبل اتمامه فاتمه ابنه علي وفرغ في رمضان سنة ثمان وخمسين
ثم بنا فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس بامر العزيز بالله الفوارة التي تحت قبة بيت المال وهو اول من
عمل فيه فوارة وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة بيض المسجد ونقشت الواحه وذهب على يد برجوان
الخادم وعمل فيه تنور يوقد كل ليلة جمعة وفي سنة ثلاث واربعمائة انزل اليه من القصر بالف ومائتين
وتسعين مصحفا في ربعات فيها ما هو مكتوب بالذهب كله ومكن الناس من القراءة فيها وانزل اليه
تنور من فضة استعمله الحاكم بامر الله برسم الجامع فيه مائة الف درهم فضة فاجتمع الناس وعلق
بالجامع بعد ان قلعت عتبا الجامع حتى ادخل به ثم في ايام المستنصر في رمضان سنة ثمان وثلاثين
واربعمائة زيد في المقصورة في شرقيها وغربيها وعمل منطقة فضة في صدر المحراب الكبير اثبت
عليها اسم امير المؤمنين وجعل لعمود المحراب اطواقا فضة فلم يزل ذلك الى ان استبد السلطان

صلاح الدين بن ايوب فأزاله وفى ربيع الآخر سنة اثنتين واربعين واربعمائة عمل مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمود رخام صندل برسم الخليفة تنصب له فى زمن الصيف وتقلع فى زمن الشتا اذا صلى الامام فى المقصورة الكبيرة وفى سنة اربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا فى القاهرة حكما جائرا فتشعث الجامع فلما استبد السلطان صلاح الدين جدده فى سنة ثمان وستين وخمسمائة ورخمه ورسم عليه اسمه وعمر المنظرة التى تحت المأذنة الكبيرة وجعل لها سقاية ولما تولى تاج الدين بن بنت الاعز قضا الديار المصرية اصلح ما مال منه وهدم ما به من الغرف المحدثة وجمع ارباب الخبرة واتفق الرأى على ابطال جواز الماء الى القسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيل فأمر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدار الجامع وحدث السلطان بيبرس فى عمارة ما تهدم من الجامع فرسم بعمارته وكتب اسم الظاهر بيبرس على اللوح الاخضر ويُجليت العمد كلها وبيض الجامع باسره وذلك فى رجب سنة ست وستين وستمائة ثم جدد فى ايام المنصور قلاوون سنة سبع وثمانين وستمائة ولما حدثت الزلزلة فى سنة اثنتين وسبعمائة تشعث الجامع فجدده سلار نائب السلطنة ثم تشعث فى ايام الظاهر برقوق فعمره الرئيس برهان الدين ابراهيم بن عمر المحلى رئيس التجار وازال اللوح الاخضر وجدد لوحا آخر بدله وهو الموجود الآن وانتهت عمارته فى سنة اربع وثمانمائة وقال ابن المتوج ذرع هذا الجامع اثنان واربعون الف ذراع بذراع البز المصرى القديم وهو ذراع المختصر المستعمل الآن وذرع بذراع العمل ثمانية وعشرون الف ذراع وعدد ابوابه ثلاثة عشر بابا وممن تولى امامة هذا الجامع ابو رجب لعلاء بن عاصم المخولانى وهو اول من سلم فى الصلاة تسليمتين بهذا الجامع بكتاب ورد عليه من المأمون يأمره بذلك وصلى خلفه الامام الشافعى حين قدم مصر فقال هكذا تكون الصلاة ما صليت خلف احد أتم صلاة من ابى رجب ولا احسن ولما تولى القضاء حسن بن الربيع بن سليمان فى زمن المتوكل سنة اربعين ومائتين امر بترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة وأمر أن تصلى التراويح وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح قال القضاعى ولم يكن الناس يصلون بالجامع صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلاثمائة صلى فيها رجل يعرف بعلى بن احمد بن عبد الملك الفهمى صلاة الفطر ويقال انه خطب من دفتر نظر فيه وحفظ عنه انه قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال بعض الشعراء

وقام فى العيد لنا خطيبا ... فحرض الناس على الكفر

وذكر بعضهم انه كان يوقد فى الجامع العتيق كل ليلة ثمانية عشر الف فتيلة وان المطلق برسمه خاصة لوقود كل ليلة احد عشر قنطارا زيتا طيبا وقال المقريزى اخبرنى شهاب الدين احمد بن عبد الله الاوحدى اخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات اخبرنا العلامة شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى انه ادرك بجامع عمرو قبل الوبا الكائن فى سنة تسع واربعين وسبعمائة بضعا واربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه *

جامع أحمد بن طولون

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام ناجى ربه عليه بكلمات وابتدأ في بناء هذا الجامع الامير ابو العباس احمد بن طولون بعد بنائه القطائع وهي مدينة بناها ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين الكبارة وما بين كوم الجارح وقناطر السباع فهذه كانت القطائع وكان ابتداء بنائه في سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة ست وستين وبلغت النفقة عليه في بنائه مائة الف دينار وعشرين الف دينار وقيل انه قال اريد أن ابني بناء ان احترقت مصر بقي وان غرقت بقي فقيل ابنى بالجير والرماد والاجر الأحمر ولا تجعل فيه اساطين رخام فانه لا صبر له على النار ففي هذا البناء فلما كمل بناؤه امر بان يعمل دائرة منطقه عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين واشعر الناس بالصلاة فيه فلم يجتمع فيه احد وظنوا انه بناه من مال حرام فخطب فيه وحلف انه ما بنى هذا المسجد شيئا من ماله وانما بناه بكنز ظفر به وان العشار الذي نصبه على منارته وجده في الكنز فصلى الناس فيه وسألوه ان يوسع قبلته فذكر ان المهندسين اختلفوا في تحرير قبلته فرأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا أحمد ابن قبلة هذا الجامع على هذا الموضع وخط له في الارض صورة ما يعمل فلما كان الفجر مضى مسرعا الى ذلك الموضع فوجد صورة القبلة في الأرض مصورة فبنى المحراب عليها ولا يسعه ان يوسع فيه لأجل ذلك فعظم شان الجامع وسألوه ان يزيد فيه زيادة فزاد فيه قال الخطيب ركب احمد بن طولون يوما يتصيد بمصر فعاست قوائم فرسه في الرمل فامر بكشف ذلك الموضع فظهر له كنز فيه الف الف دينار فانفقها في ابواب البر والصدقات وبنى منها الجامع وانفق عليه مائة الف دينار وعشرين الف دينار وبنى المارستان وانفق عليه ستين الف دينار وقال صاحب مرآة الزمان قرأت في تاريخ مصر ان ابن طولون كان لا يعبث قط وانه اخذ يوما دريجا من الكاغد وجعل يعبث به وبقي بعضه في يده فعجب الحاضرون فقال اصنعوا منارة الجامع على هذا المثال وهي قائمة اليوم على ذلك قال ولما تم بنا الجامع راى ابن طولون في منامه كان الله تجلى للقصور التي حول الجامع ولم يتجل للجامع فسال المعبرين فقالوا اخرب ما حوله وبقي الجامع قائما وحده قال ومن اين لكم هذا قالوا من قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وقوله عليه الصلاة والسلام اذا تجلى الله لشيء خضع له فكان كما قالوا * وفي الخطط للمقريزي بنى احمد بن طولون جامعه على بنا جامع سامراء وكذلك المنارة وبيضه وحلقه وفرشه بالحصر العبداني وعلق فيه القناديل المحكمة بالسلاسل النحاس المفرغة الحسان الطوال وحمل اليه صناديق المصاحف وكان في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة على عشرة اعمدة رخام مفروشة كلها بالرخام

وتحت القبة قصعة رخام سعتها اربعة اذرع في وسطها فوارة تفور بالماء وكانت على السطح علامات للزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق هذا كله في ساعة واحدة فليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة فلما كان في محرم سنة خمس وثمانين وثلاثمائة امر العزيز بالله ابن المعز ببناء فوارة عوضا عن التي احترقت قال المقريزي ولما كمل بناء جامع ابن طولون صلى فيه القاضي بكار اماما وخطب فيه ابو يعقوب البلخي واملى فيه الحديث الربيع ابن سليمان تلميذ الامام الشافعي ودفع اليه احمد بن طولون في ذلك اليوم كيسا فيه الف دينار وعلى الربيع كتابا فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة ودس احمد بن طولون عيونا لسماع ما يقوله الناس من العيوب في الجامع فقال رجل محرابه صغير وقال آخر ما فيه عمود وقال آخر ليس له ميضاة فجمع الناس وقال اما المحراب فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي واما العمد فاني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز وما كنت لاشوبه بغيره وهذا العمد اما ان تكون من مسجد او كنيسة فنزهته عنها واما الميضاة فهاانا ابنيها خلفه ثم عمل في مؤخره ميضاة وخزانة شراب فيها جميع الاشربة والادوية وعليها خدم وفيها طبيب يجالس يوم الجمعة لحادث يحدث من الحاضرين للصلاة وأوقف على الجامع اوقافا كثيرة سوى الرباع ونحوها ولم يتعرض الى شئ من اراضي مصر البتة ثم لما وقع الغلاء في زمن المستنصر خربت القطائع بأسرها وعدم السكن هنالك وصار ما حول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك فتشعث الجامع وخرب اكثره وصارت المغاربة تنزل فيه بإبلها ومتاعها عند ما تقدم ايام الحج وتمادى الامر على ذلك ثم ان لاجين لما قتل الاشرف خليل بن قلاوون هرب فاختفى بمنارة هذا الجامع فنذر ان نجاه الله من هذه الفتنة ليعمرنه فنجاه الله وتسلطن فأمر بتجديده وفوض اموره الى الامير علم الدين سنجر الزيني فعمره ووقف عليه وقفا ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الاربعة والقراآت والطب والميقات حتى جعل من جملة ذلك وقفا على الديكة تكون في سطح الجامع في مكان مخصوص بها لانها تعين الموقتين وتوقظهم في السحر فلما قرئ كتاب الوقف على السلطان اعجبه كل ما فيه الا امر الديكة فقال ابطلوا هكذا لا تضحكوا الناس علينا فابطل وأول من ولي نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر العادلي وهو اذ ذاك دوادار السلطان لاجين ثم ولي نظره قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ثم وليه امير مجلس في ايام الناصر محمد بن قلاوون فلما وليه قاضي القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضي كريم الدين فجدد فيه مآذنتين فلما نكبه السلطان عاد نظره للقاضي الشافعي الى ايام السلطان حسن فتولاه الامير صرغتمش وتوفي في مدة نظره من مال الوقف مائة الف وهم فضة وقبض عليه وهي حاصلة فباشره قاضي القضاة الى ايام الاشرف شعبان فعوض نظره الى الامير الجاي اليوسفي الى ان غرق فتحدث فيه القاضي الشافعي الى ان فوض الظاهر

يرفوق نظره الى الامير فطلب بغا الصفوى ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوى وهو بأيديهم الى اليوم وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق للمأذنة البازدار مقدم الدولة عبيد بن محمد بن عبد الهادى وجدد فيه ايضا ميضاة بجانب الميضاة القديمة

الجامع الأزهر

هذا الجامع اول جامع انشئ بالقاهرة انشاه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى المعز لدين الله لما اختط القاهرة وابتدأ بناءه فى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وستين وكان به طلسم لا يسكنه عصفور ولا يمام ولا حمام وكذا سائر الطيور ثم جدده الحاكم بامر الله ووقف عليه اوقافا وجعل فيه تنورين فضة وسبعة وعشرين قنديلا فضة وكان قنديله فى محرابه منطقة فضة كما كان فى محراب جامع عمرو فقلعت فى زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقره وقلع ايضا المناطق من بقية الجوامع ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع ايضا وجدده الحافظ وانشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع ثم جدد فى ايام الظاهر بيبرس ولما بنى الجامع كانت الخطبة تقام فيه حتى بنى الجامع الحاكمى فانتقلت الخطبة اليه وكان الخليفة يخطب فى جامع عمرو جمعة وفى جامع ابن طولون جمعة وفى الجامع الأزهر جمعة وبيت مال جمعة فلما بنى الجامع الحاكمى صار الخليفة يخطب فيه ولم تنقطع الجمعة من الجامع الازهر بالكلية فلما ولى السلطان صلاح الدين بن ايوب قلد وظيفة القضا صدر الدين ابن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة خطبتين فى بلد واحد كما هو مذهب الشافعى رضى الله عنه فابطل الخطبة من الجامع الازهر وأقرها بالجامع الحاكمى لكونه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الخطبة فيه الى ايام الظاهر بيبرس فحدث فى اعادتها فيه فامتنع قاضى القضاة ابن بنت الأعز وصمم فولى السلطان قاضيا حنفيا فاذن فى اعادتها فاعيدت

جامع الحاكم

اول من استسه العزيز بالله ابن المعز وخطب فيه وصلى بالناس ثم اكمله الحاكم بامر الله وكان اولا يعرف بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الأنور وكان تمام عمارته فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وحبس عليه الحاكم عدة قياسر وأملاك بباب الفتوح وقد هدم فى الزلزلة الكائنة فى سنة اثنتين وسبعمائة فجدده بيبرس الجاشنكير ورتب فيه دروسا على المذاهب الأربعة ودرس حديث ودرس نحو ودرس قرآن ومن بناء الحاكم ايضا جامع راشدة بجوار رباط الآثار وعرف بجامع راشدة لانه فى خطة راشدة قبيلة من لخم وصلى به الحاكم الجمعة ايضا ومن بنائه أيضا الجامع الذى بالمقس على شاطئ النيل ووقف

عليه

عليه أوقافا ثم جدده في سنة سبعين وسبعمائة الوزير شمس الدين المقسي ومن الجوامع التي بنيت في خلافة بني عبيد الجامع الأقمر بناه الآمر باحكام الله والجامع الأنور وهو الذي يقال له اليوم جامع الفكاهين بناه الخليفة الظافر وجامع الصالح خارج باب زويلة بناه الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفائز ***

ذكر أمهات المدارس والخانقاه العظيمة بالديار المصرية

قال ـــ اول من بنى المدارس في الاسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسن بن علي الطوسي وكان وزير السلطان الب ارسلان السلجوقي عشر سنين ثم وزر لولده ملكشاه عشرين سنة وكان يحب الفقهاء والصوفية ويكرمهم ويؤثرهم بنى المدرسة النظامية ببغداد وشرع فيها في سنة سبع وخمسين واربعمائة وبنيت سنة تسع وخمسين وجمع الناس على طبقاتهم فيها يوم السبت عاشر ذي القعدة ليدرس فيها الشيخ ابو اسحاق الشيرازي فجاء الشيخ ليحضر الدرس فلقيه صبي في الطريق فقال له ياشيخ كيف تدرس في مكان مغصوب فرجع الشيخ واختفى فلما ايسوا من حضوره ذكر الدرس بها ابو نصر بن الصباغ عشرين يوما ثم ان نظام الملك احتال على الشيخ ابي اسحاق ولم يزل يرفق به حتى درس بها فحضر يوم السبت مستهل ذي الحجة والقى الدرس بها الى ان توفي وكان يخرج اوقات الصلوات فيصلي بمسجد خارجها احتياطا وبنى نظام الملك ايضا مدرسة بنيسابور تسمى النظامية درس بها امام الحرمين واقتدى الناس به في بناء المدارس وقد انكر الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام على من زعم ان نظام الملك اول من بنى المدارس وقال قد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل ان يولد نظام الملك والمدرسة السعيدية بنيسابور ايضا بناها الامير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها ابو سعد اسمعيل بن علي بن المثنى الاستراباذي الصوفي الواعظ شيخ الخطيب ومدرسة رابعة بنيسابور ايضا بنيت للاستاذ ابي اسحاق قال الحاكم في ترجمة الاستاذ أبي اسحاق لم يكن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها وهذا صريح في انه بنى قبلها غيرها قال القاضي تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى قد ادرت فكري وغلب على ظني ان نظام الملك أول من رتب فيها المعاليم للطلبة فانه لم يصح لي هل كان للمدارس قبله معاليم املا والظاهر أنه لم يكن لهم معلوم انتهى واما مصر فقال ابن خلكان لما ملك السلطان صلاح الدين بن ايوب الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس فان الدولة العبيدية كان مذهبها مذهب الرافضة والشيعة فلم يكونوا يقولون بهذه الاشياء فبنى السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة للامام الشافعي وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسيني بالقاهرة وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء للمصريين خانقاة وجعل دار عباس الوزير الصيدي مدرسة للحنفية وهي المعروفة الآن بالسيوفية وبنى المدرسة

التي بمصر المعروفة بزين التجار للشافعي وتعرف الآن بالشريفية وبنى بمصر مدرسة اخرى للمالكية وهي المعروفة الآن بالصالحية * وقد حكى ان الخليفة المعتضد بالله العباسي لما بنى قصره ببغداد استزاد في الذرع فسئل عن ذلك فذكر انه يريد ليبني فيها دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما او صناعة وثيسا فيأخذ عنه وقد ذكر الواقدي ان عبد الله بن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة فنزل دار القراء * * *

ذكر المدرسة الصالحية

بجوار الامام الشافعي رضي الله عنه وينبغي ان يقال لها تاج المدارس وهي اعظم مدارس الدنيا على الاطلاق لشرفها بجوار الامام الشافعي ولان بانيها اعظم الملوك ليس في ملوك الاسلام مثله لا قبله ولا بعده بناها السلطان صلاح الدين بن ايوب رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وجعل التدريس والنظر بها للشيخ نجم الدين الخبوشاني وشرط له من المعلوم في كل شهر اربعين دينارا معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم عن التدريس وجعل له عن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصري وراويتين من ماء النيل قال المقريزي ولي تدريسها جماعة من الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفي فيها بالمعيدين وهم عشرة انفس فلما كان سنة ثمان وسبعين وستمائة وولي تدريسها تقي الدين بن رزين وقرر له نصف المعلوم فلما مات وليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم فلما ولي الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري التدريس قرر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف وقد استمرت بيد الخبوشاني الى ان مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوليها شيخ الشيوخ صدر الدين ابو الحسن محمد بن حموية الجويني في حياة الواقف فلما مات الواقف عزل عنها واستمرت عليها ايدي بني السلطان واحدا بعد واحد ثم خلصت بعد ذلك وعاد اليها الفقهاء والمدرسون كذا في تاريخ ابن كثير وذكر المقريزي في الخطط ان صدر الدين بن حموية ولي تدريس الشافعي وابنه وليها ولده كمال الدين احمد ومات سنة تسع وثلاثين وستمائة ثم وليها قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الاعز ثم وليها قاضي القضاة تقي الدين بن رزين ثم وليها قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الاعز ثم وليها قاضي القضاة شيخ الاسلام تقي الدين بن دقيق العيد ثم وليها عز الدين محمد بن محمد بن الحارث بن عساكر ثم وليها في سنة احدى عشرة وسبعمائة ضياء الدين عبد الله بن احمد بن منصور النشاي ومات سنة ست عشرة وسبعمائة ثم وليها مجد الدين حرمي بن قاسم بن يوسف الفاقوسي الى ان مات سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ثم وليها شمس الدين بن النحاس ثم ضياء الدين محمد بن ابراهيم المناوي ثم شمس الدين بن اللبان ثم شمس الدين محمد بن احمد بن خطيب بيروت الدمشقي ثم بهاء الدين بن الشيخ تقي الدين السبكي

ثم اخوه تاج الدين ثم ابن بهاء الدين عوضه قاضيا بالشام ثم لما عاد تاج الدين الى القضا عاد اليها الى التدريس الى ان مات ثم ان عم قاضي القضاة بهاء الدين ابو البقا محمد بن عبد البر السبكي ثم ولده بدر الدين محمد ثم البرهان بن جماعة ثم الشيخ سراج الدين البلقيني ثم اعيد البرهان بن جماعة ثم اعيد بدر الدين ابو البقا السبكي ثم قاضي القضاة عماد الدين احمد بن عيسى الكركي ثم اعيد البدر بن ابي البقا ثم وليها بعده ولده جلال الدين محمد الى ان مات فوليها بعده شمس الدين البيري اخو جمال الدين الاستاذار ثم عزل في سنة ثنتي عشرة وثمانمائة لما نكب اخوه وليها نور الدين علي بن عمر التلواني فاقام بها مدة طويلة الى ان مات في ذي القعدة سنة اربع واربعين وثمانمائة وهو أطول شيوخها مدة وليها بعده العلاء القلقشندي ثم ابن حجر ثم الوناي ثم القاياتي ثم السفطي ثم الشرف المناوي ثم السراج للمحصي ثم اعيد المناوي الى ان مات ثم ولده زين العابدين ثم ابنه ثم إمام الكاملية ثم للمحصي ثم الشيخ زكريا * * *

خانقاة سعيد السعداء

وقفها السلطان صلاح الدين بن ايوب وكان داراً لسعيد السعداء قنبر ويقال عنبر عتيق الخليفة المستنصر فلما استبد الناصر صلاح الدين بالأمر وقفها على الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمائة ورتب لهم كل يوم طعاماً وكعكا وخبزاً وهي اول خانقاة عملت بديار مصر ونعت شيخها بشيخ الشيوخ وما زال ينعت بذلك الى ان نحا الناصر محمد بن قلاوون خانقاة سرياقوس فدعي شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك بعدهم الى ان كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة وضاعت الاحوال وتلاشت الرتب تلقب كل شيخ خانقاة بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وولي مشيخها الاكابر وحيث اطلق في كتب الطبقات في ترجمة أحدانه ولي مشيخة الشيوخ فالمراد مشيخها ولشيخها شيخ الشيوخ هذا هو المراد عند الاطلاق وقد وليها عن الواقف صدر الدين محمد ابن حموية الجويني ثم ولده كمال الدين احمد ثم ولده معين الدين حسن اخو كمال الدين ثم وليها كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الاملي ثم وليها قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ثم وليها الشيخ صبا بر الدين حسن البخاري ثم وليها شمس الدين محمد بن ابي بكر الأيكي ثم وليها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ثم وليها الاملي ثم وليها العلامة علاء الدين القونوي ثم وليها مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الاقصرائي ثم وليها شمس الدين محمد بن ابراهيم النقشواني ثم وليها كمال الدين ابو الحسن الجوادي ثم سراج الدين عمر الصدي الى ان مات سنة تسع واربعين وسبعمائة ثم وليها الشيخ بدر الدين حسن بن العلامة علاء الدين القونوي الى ان مات سنة ست وسبعين وسبعمائة ثم جلال الدين جار الله الحنفي الى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ثم وليها علاء الدين أحمد بن محمد السراي ثم الشيخ برهان الدين

الابناسي ثم شمس الدين محمد بن محمود بن عبد الله بن اخي جار الله ثم اعيد البرهان الابناسي ثم شهاب الدين احمد بن محمد الانصاري ثم اعيد محمد بن اخي جار الله ثم وليها شمس الدين محمد بن علي البلالي مدة متطاولة الى ان مات سنة عشرين وثمانمائة ثم وليها شمس الدين البيري اخو جمال الدين الاستاذار ثم وليها الشيخ شهاب الدين بن المحمرة ثم جمال الدين يوسف بن احمد التزمنتي المعروف بابن المجبر ثم اعيد ابن المحمرة ثم القاياتي ثم الشيخ خالد ثم تقي الدين القلقشندي ثم السراج العبادي ثم الكوراني ثم السنباوي

المدرسة الكاملية

وهي دار الحديث وليس بمصر دار حديث غيرها وغير دار الحديث التي بالشيخونية قاله المقريزي وهي ثاني دار عملت للحديث فان اول من بنى دار حديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار بناها الملك الكامل وكملت عمارتها في سنة احدى وعشرين وستمائة وجعل شيخها ابا الخطاب عمر بن دحية ثم وليها بعده اخوه ابو عمرو عثمان بن دحية ثم وليها الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري ثم وليها شرف الدين بن ابي الخطاب بن دحية ثم وليها بعده المحدث يحيى الدين بن سراقة ثم وليها تاج الدين ابن القسطلاني المالكي ثم وليها النجيب عبد اللطيف الحراني ثم وليها القطب القسطلاني الشافعي ثم وليها ابن دقيق العيد ثم وليها ابو عمرو بن سيد الناس والد الحافظ فتح الدين فانتزعها منه البدر بن جماعة ثم وليها عماد الدين محمد بن علي بن حوحي الدمياطي ومات سنة تسع واربعين وسبعمائة ثم البدر بن جماعة ثم نزل عنها للجمال ابن التركماني الى ان مات سنة تسع وستين وسبعمائة وليها الحافظ زين الدين العراقي ثم لما ان ولي قضا المدينة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة استقر فيها الشيخ سراج الدين بن الملقن

المدرسة الصالحية

بين القصرين هي اربع مدارس للمذاهب الاربعة بناها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل شرع في بنائها سنة تسع وثلاثين قال المقريزي وهذه المدرسة من اجل مدارس القاهرة الا انها قد تقادم عهدها فرثت ولما فتحت انشد فيها الأديب ابو الحسين الجزار

الا هكذا يبنى المدارس من بنى ... ومن يتغالى في الثواب وفي البنا

في ابيات اخر وقال السراج الورّاق

مليك له في العلم حب واهله ... فلله حب ليس فيه ملام
فشيدها العلم مدرسة غدت ... عراق اهلها سرو وشام
ولا يذكرن يوما نظامية لها ... فليس يضاهي النظام نظام

قال ابن السنبرة الشاعر وقد نظر الى قبر الملك الصالح وقد دفن الى ما يختص بالمالكية من مدرسته

بنيت لأرباب العلوم مدارسًا لتنجيهم من هول يوم المهالك
ومن ضاقت عليك الارض لم تلق منزلا تحل به الا الى جنب مالك

المدرسة الظاهرية القديمة

للملك الظاهر بيبرس البندقداري شرع في بنائها سنة احدى وستين وستمائة وتمت في أول سنة اثنتين وستين ورتب لتدريس الشافعية بها تقي الدين بن رزين والحنفية محب الدين عبد الرحمن بن الكمال عمر بن العديم ولتدريس الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطي ولاقراء القراآت بالروايات كمال الدين الفرخي ووقف بها خزانة كتب * (المدرسة المنصورية) *

انشاها هي والبيمارستان الملك المنصور قلاوون وكان على عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعي فلما تمت دخل عليه الشرف البوصيري فمدحه بقصيدة اولها *

انشأت مدرسة وبيمارستانا لتصحح الأديان والأبدانا

فأعجبه ذلك وأجزل عطاءه ورتب في هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب الاربعة ودرس تفسير ودرس حديث ودرس طب. (المدرسة الناصرية) ابتدأها الملك كتبغا وأتمها الناصر محمد بن قلاوون فرغ من بنائها سنة ثلاث وسبعمائة ورتب بها دروسًا للمذاهب الأربعة قال المقريزي ادركت هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ولا يمكن غريب ان يصعد اليها (الخانقاة البيبرسية) بناها الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير في سنة سبع وسبعمائة موضع دار الوزارة ومات بعد أن تسلطن واغلقها الناصر بن قلاوون في سلطنته الثالثة مدة ثم امر بفتحها قال المقريزي وهي أجل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارًا وأتقنها صنعة والشباك الكبير الذي بها هو الشباك الذي كان بدار الخلافة ببغداد وكانت الخلفاء تجلس فيه حمله الامير البساسيري من بغداد لما غلب على الخليفة القائم العباسي وارسل به الى صاحب مصر (خانقاة قوصون بالقرافة) بنيت في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وأول من ولي مشيختها الشمسي محمود الاصفهاني الامام المشهور صاحب التصانيف المشهورة وكانت من اعظم جهات البر واعظمها خيرًا الى ان حصلت المحن سنة ست وثمانمائة فتلاشى امرها كما تلاشى غيرها *

خانقاة شيخو

بناها الامير الكبير راس نوبة الامراء بالمهارية سيف الدين شيخو العمري جالبه خواجا عمر واستاذه الناصر محمد بن قلاوون ابتدا عمارتها في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة وفرغ من عمارتها في سنة سبع وخمسين وسبعمائة ورتب فيها اربع دروس على المذاهب الاربعة ودرس حديث ودرس قراآت ومشيخة اسماع الصحيحين والشفا وفي ذلك يقول ابن ابي حجلة *

ومدرسة للعلم فيها مواطن فشيخو بها فرد وايثاره جمع

لئن بانت منها في القلوب مهابة فواقفها ليث وأشياخها سبع

ومات شيخ بعد فراقها بسنة في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وشرط في شيخها الاكبر وهو شيخ حضور التصوف وتدريس الحنفية ان يكون اعلم الحنفية بالديار المصرية وان يكون عارفا بالتفسير والاصول وأن لا يكون قاضيا وهذا الشرط عام في جميع ارباب الوظائف بها وأول من تولى المشيخة بها الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود البابرتي واول من تولى تدريس الشافعية بها الشيخ بهاء الدين بن الشيخ تقي الدين السبكي واول من تولى تدريس المالكية بها الشيخ خليل صاحب المختصر واول من تولى تدريس الحنابلة بها قاضي القضاة موفق الدين وأول من تولى تدريس الحديث بها جمال الدين عبد الله بن الزملكاني واقام الشيخ اكمل الدين في المشيخة الى ان مات في رمضان سنة ست وثمانين وولي بعده عز الدين يوسف بن محمود الرازي الى ان مات في المحرم سنة اربع وتسعين وولي بعده جمال الدين محمود بن احمد القيصري المعروف بابن البجمي ثم عزل في سنة خمس وتسعين وولي الشيخ سيف الدين السيرامي مصنفا فالمشيخة الظاهرية ثم ولي بدر الدين الكلستاني ثم عزل وولي الشيخ زاده ثم ولي بعده جمال الدين بن العديم سنة ثمان وثمانمائة ثم ولده ناصر الدين سنة احدى عشرة وثمانمائة ثم وليها امين الدين بن الطرابلسي سنة اثنتي عشرة ثم اعيد ابن العديم ثم وليها شرف الدين بن التباني سنة خمس عشرة الى ان مات في صفر سنة سبع وعشرين وولي الشيخ سراج الدين قارئ الهداية الى ان مات سنة تسع وعشرين ووليها الشيخ زين الدين التفهني ثم صرف في سنة ثلاث وثلاثين بالقضا ووليها صدر الدين بن البجمي فمات في رجب من عامه ووليها البدر حسن بن ابي بكر القدسي ثم وليها الشيخ بكير

مدرسة صرغتمش

ابتدئ بعمارتها في رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وتمت في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وهي من ابدع المباني وأجلها ورتب فيها درس فقه على مذهب الحنفية قرر فيه القوام الاتقاني ودرس حديث وقال العلامة شمس الدين بن الصائغ *

ليهنك يا صرغتمش ما بنيته لآخرك في دنياك من حسن بنيان
به يزدهي الترخيم كالزهر بهجة فلله من زهر ولله من باني

مدرسة السلطان حسن

ابن الناصر محمد بن قلاوون شرع في بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وكان في موضعها دور واسطبلات قال المقريزي لا يعرف ببلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكي هذه المدرسة في كبر قالبها وحسن هندامها وضخامة شكلها اقامة العمارة فيها مدة ثلاث سنين لا تبطل يوما واحدا وارصد لعمرها في كل يوم عشرون الف درهم عنها غير الف مثقال ذهبا حتى قال السلطان لولا ان يقال ملك مصر عجز عن اتمام بنائه لتركت بناءها من كثرة ما صرف وذرع ايوانها الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها ويقال انه اكبر من ايوان كسرى بخمسة اذرع وبها اربع مدارس

للمذاهب الاربعة قال الحافظ ابن حجر في انباء الغمر يقال إن السلطان حسن اراد ان يعمل في مدرسته درس فرائض فقال البهاء السبكي هو باب من ابواب الفقه فأعرض عن ذلك فاتفق وقوع قضية في الفرائض مشكلة فسئل عنها السبكي فلم يجب عنها فارسلوا الى الشيخ شمس الدين الكلاوي فقال اذا كان الفرائض بابا من ابواب الفقه فما له لا يجيب فشق ذلك على بهاء الدين وندم على ما قال وكان السلطان قد عزم على ان يبني اربع مناير يؤذن عليها فبنيت ثلاث مناير الى ان كان يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة سقطت المنارة التي على الباب فهلك تحتها نحو ثلاثمائة نفس من الايتام الذين كانوا قد تبوا مكتب السبيل ومن غيرهم فلهج الناس بان ذلك ينذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين السبكي في ذلك ابياتا *

ابشر فسعدك يا سلطان مصر اتى ... بشيره بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة ... لكن لسر خفي قد تبين لي
من تحتها قرئ القرآن فاستمعت ... فالوجد في الحال اداها الى الميل
لو انزل الله قرآنا على جبل ... تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت ... من خشية الله لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت وغمت ... بنفسها الجوى في القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بما ... قد كان قدره الرحمن في الأزل
لا يعتري البؤس بعد اليوم مدرسة ... شيدت بنيانها للعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأت ... علما فليس بمصر غير مشتغل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المأذنة بثلاثة وثلاثين يوما *

المدرسة الظاهرية

كان الشروع في عمارتها في رجب سنة ست وثمانين وانتهت في رجب سنة ثمان وثمانين وكان القائم على عمارتها جركس الخليلي اميراخور وقال الشعراء في ذلك واكثروا فمن أحسن ما قيل *

الظاهر الملك السلطان همته ... كادت لرفعته تسمو على زحل
وبعض خدامه طوعا لخدمته ... يدعوا الجبال فتاتيه على عجل

وقال ابن العطار

قد انشا الظاهر السلطان مدرسة ... فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي ان جاءت لخدمته ... ثم الجبال لها تاتي على عجل

قال الحافظ ابن حجر ومن وراء الاحمدية التي بها عرف الاشارة ونزل السلطان اليها في الثاني عشر من رجب ومد سماطا عظيما وتكلم فيها المدرسون واستقر علاء الدين البيرامي مدرس الحنفية بها وشيخ الصوفية وبالغ السلطان في تعظيمه حتى فرش سجادته بيده واستقر اوحد الدين الروحي

مدرس الشافعية وشمس الدين بن مكين مدرس المالكية وصلاح ابن الأعمى مدرس الحنابلة واحمد زاد البجمي مدرس الحديث وفخر الدين الضرير امام الجامع الأزهر مدرس القراآت قال ابن حجر فلم يكن فيهم من هو فائق في فن على غيره من الموجودين غيره ثم بعد مدة قررفيها الشيخ سراج الدين البلقيني مدرس التفسير وشيخ الميعاد *

(المدرسة المؤيدية) *

انتهت عمارتها في سنة تسع عشرة وثمانمائة وبلغت النفقة عليها اربعين الف دينار واتفق بعد ذلك بسنة ميل المأذنة التي بنيت لها على البرج الشمالي بباب زويلة وكان الناظر على العمارة بهاء الدين بن البرجي فأنشد تقي الدين بن حجة في ذلك ابياتا

على البرج من باب زويلة انشئت ... منارة بيت الله للعمل المبجى
فاخبر بها البرج المعين امالها ... الا صرحوا يا قوم بالعين للبرج

وقال شعبان الاثاري

عرجنا على ميل المنار زويلة ... وقلنا تركت الناس بالميل في هرج
فقالت قرين برج بخس اما لسخى ... فلو بارك الرحمن في ذلك البرج

وقال الحافظ ابن حجر

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهو وبالزين
تطول وقد مالت عن القصد امهلوا ... فليس على حسني أضر من العين

وقال العيني

منارة كعروس الحسن اذ جليت ... وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا اصيبت بعين قلت قد غلطوا ... كما أوجب للهدم الاحسة الحجر

وقال نجم الدين بن المشيبه

يقولون في المنار تواضع ... وعين واقوال وعندي جليتها
فلولا البرج اخفى والحجارة لم تعب ... ولكن عروس انقلتها حليتها

وقال ايضا

بجامع مولانا المؤيد انشئت ... عروس سمت ما حظيت قط مثالها
وبذ علت اذ لا نظير لها انثنت ... واعجبها والعجب عنا أمالها

رباط الآثار

بالقرب من بركة الحبش عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين حنا وفيه قطعة خشب وحديد وأشيا اخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين الف درهم فضة من بني ابراهيم اهل ينبع ذكروا انها لم تزل موروثة عندهم من واحد الى واحد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها الى هذا الرباط وهي به الى اليوم يتبرك بها ومات الصاحب تاج الدين في جمادى الآخرة سنة

سبع وسبعمائة وللأديب جلال الدين بن خطيب داريا في الآثار بيتين *

يا عين ان بعد الحبيب وداره ... ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل ... ان لم ترتويه فهذه اشاره

ذكر الحوادث الغريبة لكائنة بمصر في ملة الاسلام

من غلاء ووباء وزلازل وآيات وغير ذلك ففي سنة اربع وثلاثين من الهجرة قال سيف بن عمر رجل يقال له عبد الله بن سبا كان يهوديا فاظهر الاسلام وصار الى مصر فاوحى الى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه مضمونه انه يقول للرجل العجب قد ثبت ان عيسى بن مريم سيعود الى هذه الدنيا فيقول الرجل بلى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل منه فما يذكر ان يعود الى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى ثم يقول وقد كان اوصى الى علي بن ابي طالب فمحمد خاتم الانبياء وعلي خاتم الاوصياء ثم يقول فهو احق بالأمر من عثمان وعثمان معتد في ولايته ما ليس له فانكروا عليه فافتتن به جمع كثير من اهل مصر وكان ذلك مبدأ تالبهم على عثمان وفي سنة ست وستين وقع الطاعون بمصر وفي سنة سبعين كان الوباء بمصر قاله الذهبي وفي سنة اربع وثمانين قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وقطع رأسه فامر الحجاج فطيف به في العراق ثم بعث به الى عبد الملك بن مروان فطيف به في الشام ثم بعث به الى عبد العزيز ابن مروان وهو بمصر فطيف به فيها ودفن بمصر وجثته بالزنج فقال بعض الشعراء في ذلك

هيهات موضع جثة من رأسها ... رأس بمصر وجثة بالزنج

وفي سنة خمس وثمانين كان الطاعون بالفسطاط ومات فيه عبد العزيز بن مروان امير مصر وفي سنة خمس واربعين ومائة انتثرت الكواكب من أول الليل الى الصباح فخاف الناس ذكره صاحب المرآة وفي سنة ثمانين ومائة كان بمصر زلزلة شديدة سقطت منها رأس منارة الاسكندرية وفي سنة ست عشرة ومائتين وثب رجل يقال له عبدوس الفهري في شعبان ببلاد مصر فتغلب على نواب ابي اسحاق بن الرشيد وقويت شوكته واتبعه خلق كثير فركب المامون من دمشق في ذي الحجة الى الديار المصرية فدخلها في المحرم سنة سبع عشرة وظفر بعبدوس فضرب عنقه ثم كر راجعا الى الشام وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ظهر في السماء شيء مستطيل دقيق الطرفين عريض الوسط من ناحية المغرب الى عشاء الآخرة ثم ظهر خمس ليال وليس بضوء كوكب ولا كوكب له ذنب ثم نقص قاله في المرآة وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين اقبلت الروم في البحر في ثلاثمائة مركب وابهة عظيمة فكبسوا دمياط وسبوا واحرقوا واسرعوا الكرة في البحر وسبوا استمائة امراة واخذوا من الاسعة والاسلحة شيأ كثيرا وفر الناس منهم في كل جهة فكان من غرق في بحيرة تنيس اكثر ممن اسر

ورجعوا الى بلادهم ولم يعرض لهم أحد وفي سنة اثنتين واربعين ومائتين زلزلت الارض ورجت السويداء قرية بناحية مصر من السماء وقوذن حجر من الحجارة فكان عشرة ارطال وفي سنة اربع واربعين ومائتين اتفق عيد الاضحى وعيد الفطر لليهود وثمانين النصارى في يوم واحد قال ابن كثير وهذا عجيب غريب وقال في المرآة لم يتفق في الاسلام مثل ذلك وفي سنة خمس واربعين ومائتين زلزلت مصر وسمع بتنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير وفي سنة ستة وستين ومائتين قتل اهل مصر عاملهم الكرخي وفي سنة ثمان وستين ومائتين قال ابن جرير اتفق ان رمضان كان يوم الاحد وكان الاحد الثاني لشعبان والاحد الثالث الفصيح والاحد الرابع النوروز والاحد الخامس انسلاخ الشهر وفي سنة تسع وستين في المحرم كسفت الشمس وخسف القمر واجتماعهما في شهر نادر قاله في المرآة وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين قال ابن الجوزي لليلتين بقيتا من المحرم طلع بنجمة وجمة ثم صارت الجمة ذؤابة قال وفي هذه السنة وردت الاخبار ان نيل مصر غار فلم يبق منه شيء وهذا شيء لم يعهد مثله ولا بلغنا في الاخبار السابقة فغلت الاسعار بسبب ذلك وفي ايام احمد بن طولون تساقطت النجوم فراعه ذلك فسأل العلماء والمنجمين عن ذلك فما اجابوا بشيء فدخل عليه الجمل الشاعر وهم في الحديث فانشد في الحال

قالوا تساقطت النجوم لحادث فظ عسير
فاجبت عند مقالهم بجواب محتنك خبير
هذي النجوم الساقطات نجوم اعداء الامير

فقابل ابن طولون بذلك ووصله وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين زفت قطر الندى بنت خمارويه ابن احمد بن طولون من مصر الى الخليفة المعتضد ونقل ابوها في جهازها ما لم ير مثله كانت من جملته الف تكة بجوهر وعشر صناديق جوهر ومائة هون ذهب ثم بعد كل حساب معها مائة الف دينار لتشتري بها من العراق ما قد تحتاج اليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية وقال بعض الشعراء *

يا سيد العرب الذي وردت له ... باليمن والبركات سيدة العجم
فاسعد بها كسعودها بك انها ... ظفرت بما فوق المطالب والهمم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى ... فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

وفي سنة اربع وثمانين ومائتين ظهر بمصر ظلمة شديدة وحمرة في الافق حتى جعل الرجل ينظر الى وجه صاحبه فيراه احمر اللون جدا وكذلك الجدران فكثروا كذلك من العصر الى الليل فخرجوا الى الصحراء يدعون الله ويتضرعون اليه حتى كشف عنهم حكاه ابن كثير وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين ظهر رجل بمصر يقال له الخليجي فخلع الطاعة واستولى

على مصر وحارب الجيوش وأرسل اليه الخليفة المكتفي جيشا فهزمهم ثم أرسل اليه جيشا آخر
عليهم قائد المعتضدي فهزم الخليجي وهرب ثم ظفر به وامسك وسير الى بغداد وفي سنة تسع
وتسعين ومائتين ظهر ثلاث كواكب مذنبة أحدها في رمضان واثنان في ذي القعدة بقي أياما
ثم تضمحل حكاه ابن الجوزي وفيها استخرج من كنز بمصر خمسمائة الف دينار من غير موانع ووجد
في هذا الكنز صنم انسان طوله اربعة عشر شبرا وعرضه شبر فبعث به الى الخليفة المقتدر وأهدى
معه من مصر تيسا له ضرع يحلب لبنا حكى ذلك الصولي وصاحب المرآة وابن كثير وفي سنة
احدى وثلاثمائة سار عبد الله المهدي المتغلب على المغرب في اربعين الفا ليأخذ مصر حتى بقي
بينه وبين مصر أيام فحفر تكين الخاصة النيل فحال الماء بينهم وبين مصر ثم جرت حروب فرجع
المهدي الى برقة بعد ان ملك الاسكندرية والفيوم وفي سنة اثنين وثلاثمائة عاد المهدي
الى الاسكندرية وبنت وقعة كبيرة ثم رجع الى القيروان وفي سنة ست وثلاثمائة اقبل
القائم بن المهدي في جيوشه فاخذ الاسكندرية واكثر الصعيد ثم رجع وفي سنة سبع
كانت الحروب والاراجيف الصعبة بمصر ثم لطف الله واوقع المرض بالمغاربة ومات جماعة
من أمرائهم واشتدت علة القائم وفيها انقض كوكب عظيم وتقطع ثلاث قطع وسمع بعد
انقضاضه منه صوت رعد شديد هائل من غير غيم وفي سنة ثمان ملك العبيديون جزيرة
القسطاط فجزعت الخلق وشرعوا في الهرب والجفل وفي سنة تسع استرجعت الاسكندرية
الى نواب الخليفة ورجع العبيدي الى المغرب وفي سنة عشر وثلاثمائة في جمادى الاولى ظهر
كوكب له ذنب طوله ذراعان وذلك في برج السنبلة وفي شعبان منها اهدى نائب مصر الى
الخليفة المقتدر هدايا من جملتها بغلة معها فلوها يتبعها ويرضع منها وغلام يصل لسانه الى
طرف انفه حكاه صاحب المرآة وابن كثير وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة في آخر المحرم
انقض كوكب من ناحية الجنوب الى الشمال قبل مغيب الشمس فأضاءت الدنيا منه وسمع له
صوت كصوت الرعد الشديد وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة في المحرم ظهر كوكب بذنب رأسه
الى المغرب وذنبه الى المشرق وكان عظيما جدا وذنبه منتشر وبقي ثلاثة عشر يوما الى ان اضمحل
وفي سنة أربع وأربعين زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفزع
الناس الى الله بالدعاء وفي سنة تسع واربعين رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا واديا فجاءهم
سيل فأخذهم كلهم فألقاهم في البحر عن آخرهم وفي سنة خمس وخمسين قطعت بنو سليم
الطريق على الحجيج من اهل مصر وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها وعليها من الأموال
والأمتعة ما لا يقوم كثرة وبقي الحاج في البوادي فهلك اكثرهم وفي ايام كافور الاخشيدي
كثرت الزلازل بمصر فأقامت ستة اشهر فأنشد محمد بن القاسم بن عاصم قصيدة منها

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحا

كذا رأيته في نسخة عتيقة من كتاب مهذب الطالبين تاريخ كتابتها بعد الستمائة ثم رأيته بخالف ذلك كما سأذكره وفي سنة تسع وخمسين انقض كوكب في ذي الحجة فاضاء الدنيا حتى بقي له شعاع كالشمس ثم سمع له صوت كالرعد وفي سنة ستين وثلاثمائة سارت القرامطة في جمع كثير إلى الديار المصرية فاقتتلوا هم وجنود جوهر القائد قتالاً شديداً بعين شمس وحاصروا مسرور سهوة *

ومن شعر أمير القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام *

زعمت رجال الغرب اني هبتهم ... فدمي اذن ما بينهم مطلول
يا مصر ان لم اسق ارضك من دم ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

وفي هذه السنة سار رجل من مصر الى بغداد وله قرنان فقطعهما وكواهما وكان يصرخ ويقول انا صاحب المرآة وفي سنة ثلاث وستين خرج بنو هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام ولم يحصل لأحد حج في هذه السنة سوى اهل درب العراق وحدهم وفي سنة سبع وستين كان امير الحاج المصري الامير باديس بن زيري فاجتمع اليه اللصوص وسألوا منه ان يضمنهم الموسم هذا العام بما شاء من الاموال فأظهر لهم الاجابة وقال اجتمعوا كلكم حتى اضمنكم كلكم فاجتمع عنده بضع وثلاثون لصا فقال هل بقي منكم أحد فخافوا ان لم يبق منهم احد فعند ذلك امر بقطع ايديهم كلهم ونعما فعل وفي سنة اربع وثمانين انفرد بالحج اهل مصر ولم يحج ركب العراق ولا الشام لخوف طريقهم وكذا في سنة خمس وثمانين والتي بعدها وفي سنة ست وثمانين قدمت مصر اربعة عشر قطعة من الاسطول فقتلت ونهبت واحرقت اموال التجار واخذت سرايا العزيز وحظاياه وكان حالا لم ير أعظم منه ذكره ابن المتوج وفي سنة تسعين امر الحاكم بمصر بقتل الكلاب فقتلت كلها وفي سنة اثنين وتسعين وليلة الاثنين ثالث ذي القعدة انقض كوكب اضاء كضوء القمر ليلة التمام ومضى الضياء وبقي جرمه متموج نحو ذراعين في ذراع يرى للعين وتشقق بعد ساعة وفي هذه السنة انفرد المصريون بالحج ولم يحج احد من بغداد وبلاد المشرق لعيث الاعراب بالفساد وكذا في سنة ثلاث وتسعين وفي سنة ثلاث وتسعين امر الحاكم بقطع جميع الكروم التي بديار مصر والصعيد والاسكندرية ودمياط فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر وفي هذه السنة امر الحاكم النساء بالتجرد اذا ذكر اسمه في الخطبة وفي سنة سبع وتسعين انفرد المصريون بالحج ولم يحج اهل العراق لفساد الطريق بالاعراب وكسا الحاكم الكعبة القباطي البيض وفي سنة ثمان وتسعين هدم الحاكم الكنائس التي ببلاد مصر ونادى من اراد ان يسلم والا فليخرج من مملكتي او يلتزم بما أمرتم امر بتعليق صلبان كبار على صدور النصارى وزن الصليب اربعة ارطال بالمصري ويتعلق خشبة على تمثال راس عجل وزنها ستة ارطال في عنق اليهود وفي هذه السنة كان سيل عظيم حتى غرق الخندق ذكره ابن المتوج وفي سنة تسع وتسعين انفرد

المصريون بالحج وفي سنة اربعمائة بنى الحاكم دارًا للعلم وفرشها ونقل اليها الكتب العظيمة مما يتعلق بالسنة واجلس فيها الفقهاء والمحدثين واطلق قراءة فضائل الصحابة واطلق صلاة الضحى والتراويح وبطل الاذان بحي على خير العمل فكثر الدعاء له ثم بعد ثلاث سنين هدم الدار وقتل خلقًا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين واهل الخير والديانة ومنع صلاة الضحى والتراويح وفي سنة احدى واربعمائة انفرد المصريون بالحج وفي سنة اثنتين واربعمائة كتب محضر ببغداد في نسب خلفاء مصر الذين يزعمون انهم فاطميون والشيرازي كذلك وكتب فيه جماعة من العلماء والقضاة والفقهاء والأشراف والامائل والمعدلين والصالحين شهدوا جميعًا ان الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال ابن معد بن اسمعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا اسعده الله فانه لما صار الى المغرب سمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ومن تقدم من سلفه من الارجاس الانجاس علمه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ادعيا خوارج ولا نسب لهم في ولد علي بن ابي طالب ولا يتعلقون منه بسبب وانه منزه عن باطلهم وان الذي ادعوه من الانتساب اليه باطل وزور وانهم لا يعلمون ان احدًا من اهل بيوت الطالبيين توقف عن اطلاق القول في هؤلاء الملاعين انهم ادعياء وقد كان هذا الانكار لباطلهم شائعًا في الحرمين وفي اول امرهم بالمغرب منتشرًا انتشارًا يمنع من ان يدلس على احد كذبهم او يذهب وهم الى تصديقهم وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق فجار وملحدون زنادقة معطلون وللاسلام جاحدون ولمذهب المنوية والمجوسية معتقدون قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الانبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية وكتب في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وقد كتب خطه في المحضر خلق كثيرون فمن العلويين المرتضى والرضي وابن الازرق الموسوي وابو طاهر بن ابي الطيب ومحمد بن محمد بن عمرو بن ابي يعلى ومن القضاة ابو محمد بن الاكفاني وابو القاسم الحريري وابو العباس بن السوري ومن الفقهاء ابو حامد الاسفرايني وابو محمد بن الكشفلي وابو الحسين القدوري وأبو عبد الله الصيمري وابو عبد الله البيضاوي وابو علي بن حمكان ومن الشهود ابو القاسم التنوخي في كثير وفي سنة ثلاث وأربعمائة قال ابن المتوج رسم الحاكم بان لا تقبل الارض بين يديه ولا يخاطب مولانا ولا بالصلاة عليه وكتب بذلك سجل في رجب قال وفيها حبس النساء ومنعهن من الخروج في الطرقات واحرق الزبيب وقطع الكروم وغرق العسل قال ابن الجوزي وفي رمضان انقض كوكب من المشرق الى المغرب غلب ضوءه على ضوء القمر وتقطع قطعًا وبقي ساعة طويلة وفي سنة خمس وأربعمائة زاد الحاكم في منع النساء من الخروج من المنازل ومن دخول الحمامات ومن التطلع من الطاقات والاسطحة ومنع الخفافين من عمل الخفاف لهن وقتل خلقًا من النساء على مخالفته في ذلك وهدم بعض الحمامات عليهن وغرق خلقًا وفي سنة سبع واربعمائة ورد الخبر بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام وبسقوط جدار بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبسقوط القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس

قال ابن كثير فكان ذلك من أغرب الاتفاقات وأعجبها وفي سنة سبع أيضًا انفرد المصريون بالحج ولم يحج أحد من بلاد العراق لفساد الطرقات بالأعراب وكذا في سنة ثمان وفي سنة احدى عشرة واربعمائة قال ابن المتوج عز القوت ثم هان جهد أو اجيف عظيمة وفي ايام الحاكم بن نفسل الله في المسلمين زلزلت مصر حتى رجفت ارجاؤها وضجت الأمة لا تعرف كيف يجارها فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر الحاكم *

يا حاكم العدل اضحى الدين معتليًا ... بحل الهدى وسليل السادة الصلحا
تمازلزلت مصر من كيد يراد بها ... والعار قصمت من عدله فسرحا

وكانت ايام الحاكم من سنة ست وثمانين وثلاثمائة الى سنة احدى عشرة واربعمائة وفي سنة ثلاث عشرة واربعمائة قال ابن كثير جرت كائنة غريبة ومصيبة عظيمة وهي ان رجلًا من المصريين من اصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على امر سوء فلما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الاول اطاف هذا الرجل بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود جاء عليّ قتله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات وقال الى متى يعبد هذا الحجر ولا محمد ولا علي فيمنعني عما افعله فانا أهدم اليوم هذا البيت فانقضاه اكثر الحاضرين وتأخروا عنه وذلك انه كان رجلًا طويلًا جسيمًا احمر أشقر وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن اراده بسوء فتقدم الى رجل من اهل اليمن معه تجمل وظاجاه بها ونكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه قطعًا وتتبعوا أصحابه فقتل منهم جماعة وذهب اهل مكة ركب المصريين وجرت فتنة عظيمة جدًا وسكن الحال واما الحجر الشريف فانه سقط عنه ثلاث فلق مثل الاطفار وبدا ما تحتها اسمر يضرب الى صفرة عجيبا مثل الخشخاش فاخذ بنو شيبة تلك الفلق فجعلوها بالمسك والمك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت وذلك ظاهر فيه الى الآن وفي سنة سبع عشرة منع الظاهر صاحب مصر من ذبح البقر السليمة من العيوب التي تصلح للحرث وكتب عن لسانه كتاب قرئ على الناس فيه ان الله سابغ نعمته وبالغ حكمته خلق ضروب الانعام وعلم بها منافع الانام فوجب ان يحمى البقر المخصوصة بعمارة الأرض المذللة لمصالح الخلق فان ذبحها غاية الفساد واضرار بالعباد والبلاد وفيها انفرد المصريون بالحج ولم يحج اهل العراق والمشرق لفساد الأعراب وكذا في سنة ثمان عشرة وفي سنة تسع عشرة لم يحج أحد من أهل المشرق ولا من اهل الديار المصرية ايضًا الا انه قوم من خراسان ركبوا في البحر من مدينة مكران فانتهوا الى جدة فحجوا وفي سنة عشرين حج اهل مصر دون غيرهم وفيها في رجب انقضت كواكب كثيرة شديدة الضوء قوية الضوء وفي سنة احدى وعشرين تعطل الحج من العراق ايضًا وقطع على حجاج مصر الطريق وأخذت الروم اكثره وفي سنة ثلاث وعشرين تعطل الحج من العراق ايضا وفيها قال ابن المتوج استخبر خليفة مصر الظاهر بن الحاكم كل من في القصر من الجواري وقال لهم تجتمعون لاصنع لكم يومًا حسنًا

لم يرمثله بمصر وأمر كل من كان له جارية فليحضرها ولا يتخ بجارية إلا وهي مزينة بالحلي والحلل ففعلوا ذلك حتى لم تترك جارية إلا أحضرت فجمعهن في مجلس وفرغ البنايين فبنى أبواب المجلس عليهن حتى ماتوا عن آخرهن وكان يوم جمعهن يوم الجمعة لست خلون من شوال وعدتهن ألفان وستمائة وستون جارية فلما مضى لهن سنة أشهر أضرم النار عليهن فأحرقهن بثيابهن وحليهن فلا رحمه الله ولا رحم الذي خلقه وفي سنة خمس وعشرين كثرت الزلازل بمصر وفيها انقض كوكب عظيم وسمع له صوت مثل الرعد وضوء مثل المشاعل ويقال ان السماء انفرجت عند انقضاضه حكاه في المرآة ولم يحج أحد سوى أهل مصر وكذا في سنة ست وعشرين وسنة ثمان وعشرين وفي سنة ثمان وعشرين بعث صاحب مصر مالا لينفق على نهر بالكوفة ان اذن الخليفة العباسي في ذلك فجمع القائم بالله الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بان هذا في ء المسلمين يصرف في مصالحهم فاذن في صرفه في مصالح المسلمين وفي سنة ثلاثين واربعمائة تعطل الحج من الاقاليم باسرها فلم يحج أحد لا من مصر ولا من الشام ولا من العراق ولا من خراسان وفي سنة احدى وثلاثين والتي تليها انفرد بالحج اهل مصر وكذا في سنة ست وثلاثين وسبع وثلاثين وتسع وثلاثين وثلاث سنين بعدها وفي سنة احدى واربعين في ذي الحجة ارتفعت سحابة سوداء ليلا فوافت على ظلمة الليل وظهر في جوانب السماء كالنار المضيئة فانزعج الناس لذلك وأخذوا في الدعاء والتضرع فانكشفت بعد ساعة وفي سنة خمس واربعين وثلاث تليها انفرد أهل مصر بالحج وفي سنة ثمان واربعين قال في المرآة عم الوبا والقحط مصر والشام وبغداد والدنيا وانقطع ماء النيل واتفقت غريبة قال ابن الجوزي ورد كتاب من مصر ان ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى احدهم على باب النقب والثاني على راس الدرجة والثالث على الثياب المكورة وفيها في العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت الفجر نجم له ذؤابة بيضاء طولها في راي العين نحو عشرة أذرع في نحو ذراع ولبث على هذه الحال الى نصف رجب ثم اضمحل وفي سنة احدى وخمسين وسنتين بعدها انفرد أهل مصر بالحج وفي شوال من هذه السنة لاح في السماء في الليل ضوء عظيم كالبرق يلمع في موضعين احدهما ابيض والآخر أحمر الى ثلث الليل وكبر الناس وهللوا واحكاه في المرآة وفي سنة ثلاث وخمسين في جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفا عظيما جميع القرص فمكث اربع ساعات حتى بدت النجوم وأوت الطيور الى اوكارها لشدة الظلمة وفي سنة خمس وخمسين وقع بمصر وباء شديد كان يخرج منها في كل يوم الف جنازة وفي سنة ست وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك واقتتلوا وغلب العبيد على الجزيرة التي في وسط النيل بين مصر والجيزة واتصل الحرب بين الفريقين وفي سنة ثمان وخمسين في العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة اذرع وطولها اذرع كثيرة وبقي الى اواخر الشهر ثم ظهر كوكب آخر عند

غروب الشمس قد استدار فزرده عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا فلما اعتم الليل رحلوا به نحو الجنوب وأقام الى ايام فى رجب وذهب وفى سنة ستين واربعمائة كان ابتداء الغلاء العظيم بمصر الذى يسمع بمثله فى الدهور من عهد يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام واشتد الغلاء والوبا سبع سنين متوالية بحيث اكلوا الجيف والميتات وافنيت الدواب وأبيع الكلب بخمسة دنانير والحمر بثلاثة دنانير ولم يبق بخليفة عشر سوى ثلاثة اواس بعد العدد الكثير ونزل الوزير يوما من بعلته فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها واكلوها فاخذوا فصلبوا فأصبحوا وقد اكلهم الناس ولم يبق الا عظامهم وظهر على رجل يقتل الصبيان وينشر ويبيع لحومهم ويدفن رؤسهم واطرافهم فقتل وبيعت البيضة بدينار وبلغ الأردب القمح مائة دينار ثم عدم اصلا حتى حكى صاحب المرآة ان امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر فقالت من ياخذه بمد قمح فلم يلتفت اليها أحد وقال بعضهم يهنى القائم ببغداد *

وقد علم المصرى ان جنوده ... سنو يوسف هؤلاء وطاعون عواس
اقامت به حتى استراب بنفسه ... وأوجس منها خيفة اى ايجاس

وفى سنة اثنين وستين زلزلت مصر حتى نفرت احدعذقا يا جامع عمرو وفيها ضرب صاحب مصر اسم ابنه ولى العهد على الدينار وسمى الآمرى ومنع المتعامل بغيره وفى سنة خمس وستين اشتد الغلاء والوبا بمصر حتى ان اهل البيت كانوا يموتون فى ليلة وحتى ان امرأة اكلت رغيفا بالف دينار وباعت عروضها فيما قيمته الف دينار واشترت بها جملة قمح وحملته الى منزلها على ظهرها فنهبه الناس فنهبت المرأة مع الناس فصح لها رغيف واحد وكان السودان يعقرون فى الأزقة يصطادون النساء بالكلاليب فيأكلون لحومهن واجتازت امرأة بزقاق القناديل فعلقها السودانى بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها فخرجت من الدار واستغاثت بنجاء الوالى وكبس الدار فأخرج منها ألوفا من القتلى وفى سنة ست وثمانين وسنتين بعدها انفرد المصريون بالحج وفى سنة احدى وتسعين حدثت بمصر ظلمة عظيمة غشيت ابصار الناس حتى لم يبق احد يعرف اين يتوجه وفى سنة سبع وتسعين عز القمح بمصر ثم هان وفيها تولى الآمر بمصر فضرب الفضة السوداء المشهورة بالآمرية وفى سنة خمس عشرة وخمسمائة هبت ريح سوداء بمصر فاستمرت ثلاثة أيام فاهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب والأنعام قاله ابن كثير وفى سنة سبع عشرة بلغ النيل ستة عشر ذراعا سواء بعد توقف وفى سنة ثمان عشرة اوفى النيل بعد النوروز بتسعة ايام وزاد عن الستة عشر ذراعا احد عشر اصبعا لا غير وعز السعر ثم هان وفى حدود هذه السنين احترق جامع عمرو وفى سنة خمس وستين حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما بحيث ضيقوا على اهلها وقتلوا منهم فارسل نور الدين محمود الشهيد

اليهم جيشا عليهم صلاح الدين يوسف بن ايوب فاحملوهم عنها وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك حتى انه قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزأ فيه حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه ان يتبسم ليفصل التسلسل فامتنع من ذلك وقال إني لأستحيي من الله ان يراني متبسما والمسلمون تحاصرهم الفرنج بثغر دمياط وذكر أبو شامة ان بعضهم رأى في تلك الليلة التي اجلي فيها الفرنج عن دمياط رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سلم على نور الدين وبشره بان الفرنج قد رحلوا عن دمياط فقال له الرآى يا رسول الله باى علامة فقال بعلامة كذا لما يجيء يوم كذا وقال في دعوته اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب فاصبح الرآى وبشر نور الدين بذلك واعلمه بالعلامة ففرح ثم جاء الخبر باجلائهم تلك الليلة فرحم الله هذا الملك وأمثاله وفي سنة ثلاث وثمانين قال ابن الاثير في الكامل كان اول يوم منها يوم السبت وكان يوم النيروز وذلك اول سنة الفرس واتفق انه اول سنة الروم ايضا وفيه نزلت الشمس برج الحمل وكذلك كانا القمر في برج الحمل ايضا قال وهذا شيء يبعد وقوع مثله وفي سنة ثلاث وتسعين ورد كتاب من الفاضل من مصر الى القاضي محيي الدين بن الزكي يخبره فيه بان في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة اتى عارض فيه ظلمات متكاثفة * وبروق خاطفه * ورياح عاصفه * فقوى اهويتها * واشتد هبوبها * فتدافعت لها اعنة مطلقات * وارتفعت لها صواعق مصعقات * فزحفت لها الجدران واصطفقت * وتلاقت على بعدها واعتنقت * وثار بين السماء والارض عجاج فقيل لعل هذه على هذه أطبقت * ولا تحسب الا ان جهنم قد سال منها واد * وعدا منها عاد وزاد عصف الرياح الى ان انطفات سرج النجوم * وحرقت اديم السماء ومحت ما فوقه من الرقوم * فكنا كما قال الله يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق * وكما قلنا ويردون ايديهم على اعينهم من البوارق * لا عاصم من الخطف للابصار * ولا ملجا من الخطب الا معاقل الاستغفار * وفر الناس نساء ورجالا واطفالا * ونفروا من دورهم خفافا وثقالا * لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فاعتصموا بالمساجد الجامعة * واذعنوا للنازلة باعناق خاضعة ووجوه عانية ونفوس عن الاهل والمال سالبه ينظرون من طرف خفي * ويتوقعون اي خطب جلي * قد انقطعت من الحياة علقهم * وعمت عن النجاة طرقهم * ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون * وقاموا الى صلاتهم وودوا ان لو كانوا من الذين هم عليها دائمون * الى ان اذن الله في الركود * واسعف الهاجدين بالهجود * واصبح كل ليسلم على رفيقه * ويهنيه بسلامة طريقه * ويرى انه قد بعث بعد النفخة * وافاق بعد الصيحة والصرخة * وان الله قد رد له الكرة * وأدبه بعد ان كان يأخذه على الغرة * ووردت الاخبار بانها كسرت المراكب في البحار * والاشجار في القفار * واتلفت خلقا كثيرا من السفار * ومنهم من فر فلم ينفعه الفرار * الى ان قال ولا يحسب المجلس اني ارسلت القلم محرفا والقول مجزفا *

فالامر أعظم * ولكن الله سلم * ونرجو ان الله قد أيقظنا بما وعظنا * ونبهنا بما ونهنا * فما من عباده من يراعي القيامة عيانا ولم يلتمس عليها من بعده برهانا الا اهل بلدنا فانقض الاولون مثالها في المثلات * ولا سبقت لها سابقة في المعضلات * والحمد لله الذي من فضله جعلنا نخبر عنها ولا نخبر عنا ونسأل الله ان يصرف عنا عارض الحرص والغرور اذا عنا وفي سنة ست وتسعين قال الذهبي في العبر كسر النيل من ثلاثة عشر ذراعا الا ثلاثة اصابع فاشتد الغلا وعدمت الاقوات ووقع البلا وعظم الخطب الى ان آل بهم الامر الى اكل الآدميين الموتى قال ابن كثير في هذه السنة والتي بعدها كان بديار مصر غلا شديد فهلك الغني والفقير وعم الجليل والحقير وهرب الناس منها نحو الشام ولم يصل منهم الا القليل من الفشام وتخطفتهم الفرنج من الطرقات وعروهم في انفسهم واغتالوهم بالقليل من الاقوات وكان الاسير لؤلؤ احد الحجاب بالديار المصرية يتصدق في هذا الغلا في كل يوم باثني عشر الف رغيف على اثني عشر الف فقير وفي سنة سبع وتسعين قال الذهبي في العبر كان الجوع والموت المفرط بالديار المصرية وجرت امور تجاوز الوصف ودام ذلك الى نصف العام الآتي فلو قال القائل مات ثلاثة ارباع اهل الاقليم لما ابعد والذي دخل تحت قلم الحصر في مدة اثنين وعشرين شهرا مائة الف واحد وعشرون الفا بالقاهرة وهذا نزر في جنب ما هلك بمصر والحواضر وفي البيوت والطرقات ولم يدفن وكله نزر في جنب ما هلك بالاقليم وقيل ان بمصر كان فيها تسعمائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجا فقس على هذا وبلغ الفروج مائة درهم ثم عدم الدجاج بالكلية لولا ما جلب من الشام واما اكل لحوم الآدميين فشاع وتواتر هذا كلام الذهبي وقال صاحب المرآة في هذه السنة كان هبوط النيل ولم يعهد ذلك في الاسلام الا مرة واحدة في دولة الفاطميين ولم يبق منه الا شئ يسير واشتد الغلا والوبا بمصر فهرب الناس الى المغرب والحجاز واليمن والشام وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق قال وكان الرجل يذبح ولده وتساعده امه على طبخه وشيه واحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا وكان الرجل يدعو صديقه واحبته الناس اليه الى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله وفعلوا بالاطباء ذلك وفقدت الميتات والجيف وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم وكفن السلطان في مدة يسيرة مائتي الف وعشرين الفا وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام برمم الناس وصلى امام جامع اسكندرية في يوم واحد على سبعمائة جنازة قال العماد الكاتب في سنة سبع وتسعين وخمسمائة اشتد الغلا وامتد الوبا وتحدثت الجماعة وتفرقت الجماعة وهلك القوي فكيف الضعيف ونحف السمين فكيف الجحيف وخرج الناس حذر الموت من الديار وتفرقت فرق مصر في الامصار ولقد رأيت الارامل على الرمال والجمال بارك تحت الاحمال ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم تسترق الجياع باللقم قال صاحب المرآة وغيره وكان

في هذه السنة في شعبان زلزلة هائلة من الصعيد هدمت بنيان مصر فمات تحت الهدم خلق كثير وفي سنة تسع وتسعين في ليلة السبت سلخ المحرم ماجت النجوم في السماء شرقًا وغربًا وتطايرت كالجراد المنتشر يمينا وشمالًا وقام ذلك الى الفجر وانزعج الخلق وضجوا بالدعاء ولم يعهد مثل ذلك الا في عام البعث وفي سنة احدى واربعين ومائتين قاله صاحب المرآة وغيره وفي سنة ستمائة كانت زلزلة عظيمة بديار مصر قاله ابن الاثير في الكامل وفيها اخذت الفرنج فوة واستباحوها دخلوا من فم رشيد في النيل ذكره الذهبي في العبر وفي سنة سبع وستمائة دخلت الفرنج من البحر من غربي دمياط وساروا في البر فاخذوا قرية بورة واستباحوها قتلًا وسبيا وردوا في الحال ولم يدركهم الطلب وفي سنة ثمان وستمائة كانت زلزلة شديدة هدمت بمصر والقاهرة دورًا كثيرة ومات خلق تحت الهدم وفي سنة خمس عشرة وستمائة في جمادى الاولى نزلت الفرنج على دمياط واخذوا برج السلسلة ثم استحوذوا على دمياط في سنة ست عشرة فاستقرت بايديهم الى ان استرجعت منهم في سنة ثمان عشرة قال الذهبي في العبر في سنة ست عشرة وستمائة حاصر الفرنج اهل دمياط ووقع حروب كثيرة يطول شرحها وجدت الفرنج في المحاصرة وعملوا عليهم خندقا كبيرا وثبت اهل البلد ثباتا لم يسمع بمثله وكثر فيهم القتل والجرح والموت وعدمت الاقوات ثم سلموها بالامان في شعبان وطار عقل الفرنج وتنادوا اليها من كل فج وشرعوا في تحصينها واصبحت دار هجرتهم ورجوا بها اخذ ديار مصر واشرف الاسلام على خطة خسف وأقبل التتار من المشرق والفرنج من المغرب وعزم المصريون على الجلاء فبثهم الكامل الى ان سار اليه أخوه الأشرف والمعظم وحصل الفتح ولله الحمد وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة كان غلاء شديد بديار مصر قاله ابن كثير وبلغ النيل ستة عشر ذراعًا وثلاثة اصابع فقط بعد توقف عظيم ووصل القمح خمس دنانير الاردب فرسم السلطان بفتح الاهراء وشون الامراء ان يباع بثمانية دراهم الاردب من غير زيادة فانحط السعر اليه ذكره ابن المنجو وفي سنة تسع وعشرين وصل النيل ثمانية عشر ذراعًا وستة اصابع وتاخر نزوله حتى خاف الناس من عدم نزوله فغلا السعر ثم نزل فانحط السعر وفي سنة احدى وثلاثين قدم الى الملك الكامل هدية من الافرنج فيها دب ابيض وشعره مثل شعر السبع ينزل البحر فيصعد بالسمك فيأكله وفي سنة اثنتين وثلاثين كان الوبا العظيم بمصر وفي سنة ثلاث واربعين كان الغلا بمصر وقاسى اهلها شدائد وفي سنة سبع واربعين نزلت الفرنج دمياط برا وبحرا وملكوها ثم استنقذت منهم وفي سنة تسع واربعين قال ابن كثير صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر قال وهذا اتفاق غريب وفي سنة سبع وخمسين حصلت بديار مصر زلزلة عظيمة جدا وفي سنة احدى وستين جهز الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى اخشابا وآلات كثيرة لعمارة المسجد النبوي بعد حريقه فطيف بها بالديار المصرية فرحا بها وتعظيما لشانها ثم ساروا بها الى المدينة وفي سنة اثنتين وستين كان بديار مصر غلاء عظيم وفرق الظاهر

الفقراء على الأمراء والاغنياء والزمهم باطعامهم وفرقهم فحا كثيرا ورتب كل يوم للفقراء مائة اردب تخبز وتفرق عليهم وفي هذه السنة ولد بمصر ولد ميت له رأسان وربعة اعين واربعة ايدى واربعة ارجل وفي سنة ثلاث وستين وقع حريق عظيم ببلاد مصر اتهم منه النصارى فعاقبهم السلطان عقوبة عظيمة وفيها استجد الظاهر بمصر القضاة الثلاثة من كل مذهب قاض * وفي سنة اربع وستين قال ابن المتوج حفر الظاهر بحر مصر بنفسه وعسكره ما بين الروضة والمنشاة وفي سنه خمس وستين كبا الفرس بالملك الظاهر فانكسرت فخذه وحصل له سرج * وفي سنة ست وستين كانت كائنة الجيش النصراني كان كائنا ثم ترهب وأقام بمغارة بجبل حلوان فقيل انه ظفر بكنز للحاكم صاحب مصر فواسى منه الفقراء والمشتورين من كل ملة واشتهر امره وشاع ذكره وأنفق في ثلاث سنين اموالا عظيمة فأحضره السلطان ولطف به فابى عليه ان يعرفه بجلية امره وأخذ يراوغه ويغالطه فلما اعياه حنق عليه وبسط عليه العذاب فمات قال الذهبي وقد أفتى غير واحد بقتله خوفا على ضعفاء الايمان من المسلمين اذ يضلهم ويغويهم وفي سنة سبع وستين رسم السلطان باراقة الخمور وابطال المفسدات والخواطي من الديار المصرية والشامية وحبست الخواطي حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بذلك واسقطت الضرائب التي كانت مرتبة عليها وفي هذه السنة حج السلطان فأحسن الى اهل الحرمين وغسل الكعبة بماء الورد بيده وفي اواخر ذي الحجة من هذه السنة هبت ريح شديدة بديار مصر غرقت مائتي مركب في النيل وهلك فيها خلق كثير ووقع مطر شديد جدا واصابت الثمار صقعة اهلكتها حكاه ابن كثير وفي سنة تسع وستين شدد السلطان في امر الخمور وهدد من يعصرها بالقتل واسقط الضمان في ذلك وكان الف دينار كل يوم بالقاهرة وحدها وكتب بذلك توقيع قرئ على منبر مصر والقاهرة * وسارت البرد بذلك الى الآفاق وفي سنة سبعين قال قطب الدين في جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلعة الجبل وارضعت من بقرة قال وهذا شئ لم يعهد مثله وفي سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين قال ابن كثير طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة وكان يوما مشهودا قلت كان هذا مبدأ ذلك واستمر ذلك كل عام الى الآن وفي سنة تسع وسبعين في يوم عرفة وقع ببلاد مصر برد كبار اتلف كثيرا من الغلال ووقعت صاعقة بالاسكندرية واخرى تحت الجبل الاحمر على حجر فأحرقته فأخذ ذلك الحجر وسبك فخرج منه من الحديد أوقية بالرطل المصري وفي سنة ثمانين وستمائة تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر واشتد وتشعث بالكلية واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشي ولم يعهد فيما تقدم وحصل لأهل القاهرة مشقة من نقل الماء لبعد النيل فاراد السلطان حفره فقالوا انه لا يفيد وتشعث الى الابد وفي سنة احدى وثمانين في شعبان نطافوا بكسوة الكعبة ولبست ما ليك الملك المنصور قلاوون

ايام الكسوة بالرماح والسلاح وهو أول ما وقع ذلك بالديار المصرية واستمر ذلك الى الآن يعمل سنين ويبطل سنين وفي سنة احدى وتسعين في الرابع والعشرين من المحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل اتلف شيأ كثيرا من الذخائر والنفائس والكتب وفي سنة ثلاث وتسعين قال ابن المتوج كثرت الفلوس وردها ارباب المعاش وجعلت بالميزان بربع نقرة كل اوقية ثم بسدس الاوقية وتحرك السعر بسبب ذلك وكان القمح في اول السنة بثلاثة عشر درهما الاردب فانتقل الى ستين درهما الاردب * وفيها قال ابن المتوج كانت زلزلة بديار مصر وفي سنة اربع وتسعين او في النيل في السادس من ايام النسيء وكسر وبلغ مجموع زيادته ستة عشر ذراعا وسبعة عشر اصبعا وحصل في هذه السنة بديار مصر غلا شديد واستهلت سنة خمس وتسعين وأهل الديار المصرية في قحط شديد ووباء مفرط حتى اكلوا الجيف ونفدت حواصل السلطان من العليق فاقامت خيول السلطان ثلاثة ايام حتى احضرت النقاوى المخلد في البلاد وبلغ الاردب القمح مائة وسبعين درهما نقرة وذلك عبارة عن ثمانية مثاقيل ذهب ونصف مثقال والخبز كل رطل وثلث بالمصري بدرهم نقرة واكلت الضعفاء الكلاب وطرحت الاموات في الطرقات وكانوا يحفرون للحفائر الكبار فيلقون فيها الجماعة الكثيرة وابيع الفروج بالاسكندرية بستة وثلاثين درهما نقرة وبالقاهرة بتسعة عشر والبيض كل ثلاثة بدرهم وفنيت الحمر والخيل والبغال والكلاب ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح وفي جمادى الآخرة خف الأمر وأخذ في الرخص وانحط سعر القمح الى الخمسة وثلاثين درهما الاردب وفي سنة ست وتسعين بلغت زيادة النيل الى اول توت خمسة عشر ذراعا وثمانية عشر اصبعا ثم نقص ولم يوف وفي سنة سبع وتسعين توقف النيل ثم اوفى آخر ايام النسيء وفي سنة ثمان وتسعين في المحرم ظهر كوكب له ذؤابة وفي سنة تسع وتسعين اوفى النيل في ثالث عشر توت وفي شعبان سنة سبعمائة امر بمصر والشام اليهود بلبس العمائم الصفر والنصارى بلبس الزرق والسامرة بلبس الحمر واستمر ذلك الى الآن وقال الشعراء في ذلك فقال العلاء الوداعي

لقد الزموا الكفار شاشات ذلة ... تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما البسوكم عمائما ... ولكنهم قد البسوكم براطيشا

وقال آخر

تعجبوا للنصارى واليهود معا ... والسامريين لما عمموا الخرقا
كانما بات بالاصباغ منسهلا ... نسر السماء فاضحى فوقهم فرقا

وفي سنة اثنتين وسبعمائة في ذي الحجة كانت الزلزلة العظمى بمصر وكان تاثيرها بالاسكندرية اعظم من غيرها وطلع البحر الى نصف البلد واخذ المال والرجال وغرقت المراكب وسقطت بمصر دور لا تحصى وهلك تحت الردم خلق كثير وفي هذه السنة قال البرزالي في تاريخه

قرات فى بعض الكتب الواردة من القاهرة انه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة عجيبة الخلقة من بحر النيل الخارج من المنوفية وصفتها لونها لون الجاموس بلا شعر واذانها كاذان الجمل وعيناها وفرجها مثل الناقة يخطى فرجها ذنبها طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك ورقبتها مثل غلظ المسند المحشو تبنا وفمها وشفتاها مثل الكرباج ولها اربعة انياب اثنان من فوق واثنان من اسفل طولها دون الشبر وعرض اصبعين وفى فمها ثمانية واربعون ضرسا وسنا مثل بياذق الشطرنج وطول يديها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة باربعة اظافير مثل اظافير الجمل وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاثة كروش ولحمها احمر وزفرته مثل السمك وطعمه كلحم الجمل وغلظ جلدها اربع اصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة اجمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل واحضروه الى القلعة بين يدى السلطان وحشوه تبنا واقاموه بين يديه وفى هذه السنة ابطل الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عيد الشهيد بمصر وذلك ان النصارى كان عندهم تابوت فيه اصبع يزعمون انه من اصابع بعض شهدائهم وان النيل لا يزيد ما لم يلق فيه هذا التابوت وكان يجتمع النصارى من سائر النواحى الى شبرا ويقع هناك امور فظيعة من سكر وغيره فابطل ذلك الى يومنا هذا ولله الحمد وفى سنة اربع وسبعمائة ظهر فى معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا فاخفاها الصناع من ثم حملها الى بعض الملوك فدفع له فيها مائة الف وعشرين الف درهم فابى ان يبيعها بذلك فاخذها الملك منه غصبا وبعث بها الى السلطان فمات الصناع من غمها وفيها او فى النيل رابع توت وكذا فى سنة خمس وفى سنة تسع وسبعمائة توقف النيل واستسقى الناس فلم يسقوا وانتهت زيادته فى سابع عشرى توت الى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر اصبعا ثم زاد واوفى ستة عشر ذراعا فى تاسع عشر بابه وتشاءم الناس بسلطنة بيبرس وغنت العامة فى ذلك سلطانا تركين وتابنا دقين يجينا المامين ان يجيبوا لنا الاعرج يجى الماء ويدرج وفى هذه السنة لما عاد ابن تلاوون تكلم الوزير ابن الخليلى فى اعادة اهل الذمة الى لبس العمائم البيض بالصلاة ثم وانهم قد التزموا للديوان بسبعمائة الف فى كل سنة زيادة على الجالية فسكت اهل المجلس وقام الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله وتكلم كلاما عظيما ورد على الوزير مقالته وقال للسلطان حاشاك ان تكون ممن ينصر اهل الذمة فاصغى اليه السلطان واستقر لبسهم للاصفر والازرق ثم عمل فى ذلك ببغداد ايضا فى سنة اربع وثلاثين اقتداء بملك مصر وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة وقع الشروع فى فروك الاقطاعات بمصر وابطل السلطان مكوسا كثيرة وافردت الجهات التى بقيت من المكس واضيفت للوزير وافرد لكل راتب من الدولة ولكل فريق جهة من البلاد ولم يكن الوزير يتعلق

به بجهة مكس قديما ولذا كان يتولاه العلماء وقضاة القضاة وفى سنة عشرين وسبعمائة حصل بالديار المصرية مرض كثير قل ان سلمت منه دار وغلت الادوية والاشربة وبيعت الرمانة الحامضة بثلاثة ارباع نقرة والعناب الرطل المصرى بستة دراهم نقرة وكذلك الاجاص والقراصيا والقلب اللوز ومكث مدة عظيمة ولكن كان المرض سليما والموت قليلا ذكره فى العبر وفى سنة احدى وعشرين كان بالقاهرة حريق كبير متتابع خارج عن الوصف ودام اياما فى اماكن واحرق جامع ابن طولون وما حوله باسره ثم ظفر بقا عليه وهم جماعة من النصارى يعملون قوارير القفط فقتلوا واحرقوا وهدم غالب كنائس النصارى بمصر وذهب الباقى وبقيت القاهرة اياما لم يظهر فيها احد من النصارى وبقى لا يظهر نصرانى الا ضربه العوام وربما قتلوه وفى هذه السنة قال الذهبى فى العبر نقلت من خط بدر الدين بن العزازى ان كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وانها احضرت بين يدى السلطان فعجب منها وسال المخبرين عن ذلك فلم يكن عندهم علم منه وفى سنة اثنتين وعشرين ابطل السلطان المكس المتعلق بالمأكول بمكة وعوض صاحبها ثلثى بلد دمامين من صعيد مصر وفى سنة اربع وعشرين رسم السلطان بابطال الملاهى بالديار المصرية وحبس جماعة من النساء الزوانى وحصل بالديار المصرية موت كثير وفى هذه السنة نودى على الفلوس ان يتعامل بها بالرطل كل رطل بدرهمين ورسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم وفى سنة خمس وعشرين وقع بالقاهرة مطر كثير قل ان وقع مثله وجاء سيل الى النيل حتى تغير لونه وزاد نحو اربع اصابع وفى هذه السنة حضر السلطان الناصر ابن قلاوون عند قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة فسمع عليه عشرين حديثا من تساعياته وخلع عليه خلعة عظيمة وفرق من الذهب والفضة على الفقراء نحو ثلاثين الف درهم وفى سنة سبع وعشرين رسم بقتل الكلاب بالديار المصرية وفى سنة تسع وعشرين رسم بان لا يباع مملوك تركى لكتابى ولا لمسلم وفى سنة اربعين نودى على الذهب كل دينار بخمسة وعشرين درهما وكان بعشرين درهما وان يتعاملوا به ولا يتعاملوا بالفضة فشق ذلك على الناس ثم بطل ذلك وفى سنة اربع واربعين اشتد آل ملك نائب السلطنة على والى القاهرة فى اراقة الخمر ومنع المحرمات وعاقب جماعة كثيرة على ذلك واخرب خزانة النبوذ وكانت دار فسق وفجور وبنى مكانها مسجدا ونادى من احضر سكرانا او معه جرة خمر خلع عليه فقعد العامة لذلك بكل طريق واتوه بجندى سكران فضربه وقطع خبزه واخلع على الآتى به وصار له مهابة عظيمة وكف الناس عن اشياء كثيرة حتى اعيان الامراء فقال بعض الشعراء فى ذلك

آل ملك الحاج غدا سعده ... يملأ ظهر الارض فيما سلك
فالامر آمن دونه سوقة ... والملك الظاهر هو آل ملك

وفى سنة سبع واربعين قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض وصار من بولاق

الى المنشية طريقا يمشي فيه وبلغت راوية الماء درهمين وكانت بنصف درهم وفي سنة تسع واربعين كان الطاعون العام بمصر وغيرها وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة امر بان يكون ازار النصرانية ازرق وازار اليهودية اصفر وازار السامرية احمر وفي سنة سبع وخمسين في ربيع الآخر هبت ريح من جهة المغرب وامتدت من مصر الى الشام في يوم وليلة وغرقت بولاق نحو ثلاثمائة مركب واقتلعت من النخيل والجميز ببلاد مصر ولبيس شيا كثيرا وفي سنة احدى وستين وقع الوباء بالديار المصرية وفي سنة اربع وستين كان الطاعون بديار مصر وفي سنة خمس وستين وقع الغناء في البقر فهلك منها شئ كثير وفي سنة سبع وستين اخذت الفرنج مدينة اسكندرية وقتلوا واسروا فخرج السلطان والعسكر لقتالهم ففروا وتركوها وفي سنة تسع وستين وقع الوباء بالديار المصرية وفي سنة ثلاث وسبعين رسم للاشراف بالديار المصرية والشامية ان يميزوا عمائمهم بعلامة خضراء تمييزا لهم عن الناس ففعل ذلك في مصر والشام وغيرها وفي ذلك يقول ابو عبد الله بن جابر الاندلسي الاعمى نزيل حلب *

جعلوا الأبناء الرسول علامة ... ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن احسنها قول الاديب شمس الدين محمد بن ابراهيم الدمشقي

اطراف تيجان انت من سندس ... خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الاطراف

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة وثبت الى ايام من هاتور فاجتمع جماعة بجامع الازهر وجامع عمرو وسألوا الله في هبوطه وعمل ابن ابي حجلة مقامته المشهورة وفي هذه السنة اراد السراج الهندي قاضي الحنفية ان يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتولية القضاة في البلاد وتقرير مودع الايتام فأجيب الى ذلك فاتفق انه توعك عقب ذلك وطال مرضه الى ان مات ولم يتم الذي أراده وفي سنة اربع وسبعين وقعت صاعقة على القلعة فأحرقت منها شيا كثيرا واستمر الحريق اياما وفي هذه السنة عقد الجاي مجلسا بالعلماء في اقامة خطبة بالمنصورية فأفتاه البلقيني وابن الصائغ بالجواز وخالف الباقون وصنف البلقيني كتابا في الجواز وصنف العراقي كتابا في المنع وجمع ايضا القاضي برهان الدين بن جماعة جزأ في المنع وفي سنة خمس وسبعين توقف النيل عن الزيادة وابطأ الى ان دخل بؤنة واجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو واستسقوا وكسر الخليج تاسع بؤنة عن نقص اربع اصابع من العادة ثم نودي بصيام ثلاثة ايام وخرجوا الى الصحراء مشاة وحضر غالب الاعيان ومعظم العوام وصبيان المكاتب ونصب المنبر فخطب عليه شهاب الدين

القسطلاني خطيب جامع عمرو وصلى صلاة الاستسقاء ودعا وابتهل وكشف رأسه واستغاث وتضرعوا وكان يوما مشهودا وابتدأ الغلاء وزادت الاسعار وفي هذه السنة في اول جمادى الاولى حدثت زلزلة لطيفة فيها ابتدئت قراءة البخاري في رمضان بالقلعة بحضرة السلطان ورتب الحافظ زين الدين العراقي قارئا ثم اشرك معه شهاب الدين المرياني يوما بيوم وأمر السلطان مشايخ العلم ان يحضروا عنده سامعين ليثبتوا فحضر جماعة من الاكابر وفيها ابطل ضمان المغاني ومكس القراريط التي كانت في بيع الدور وقرئ بذلك مرسوم على المنابر وكان ذلك بتحريك البلقيني واعانة اكمل الدين والبرهان بن جماعة وفي سنة ست وسبعين وقع الغناء بالديار المصرية وبيع كل رمانة بستة عشر درهما وهي قريب من دينار وكل فروج بخمسة واربعين وكل بطيخة بسبعين وفي هذه السنة احضر الى الاشمونين الى الامير منجك بنتا عمرها خمس عشرة سنة فذكرت انها لم تزل بنتا الى هذه الغاية فاستد الفرج وظهر لها ذكر وانثيان واحتلمت فشاهدوها وسموها محمدا ولهذه القضية نظير ذكرها ابن كثير في تاريخه قال الحافظ ابن حجر ووقع في عصرنا نظير ذلك في سنة اثنتين واربعين وثمانمائة وفي سنة سبع وسبعين وصلت هدايا اسطنبول من الروم وفي جملة الهدايا صندوق فيه شخوص لها حركات كلما مضى ساعة من الليل ضربت تلك الشخوص بانواع الملاهي وكلما مضت درجة سقطت بندقة وفي سنة ثمان وسبعين في شعبان خسف الشمس والقمر جميعا فطلع القمر خاسفا ليلة السبت رابع عشرة وكسفت الشمس بين الظهر والعصر يوم السبت ثامن عشرينه وفي سنة ثمانين كان بمصر حريق عظيم مرة دام اياما وفي هذه السنة في ذي القعدة عقد برقوق اتابك العساكر مجلسا بالقضاة والعلماء وذكر أن اراضي بيت المال اخذت منه بالحيلة وجعلت اوقافا من بعد الناصر بن قلاوون وضاق بيت المال بسبب ذلك فقال الشيخ سراج الدين البلقيني اما ما وقف على خديجة وعويشة وفطيمة فنعم واما ما وقف على المدارس والعلماء والطلبة فلا سبيل الى نقضه لان لهم في الخمس اكثر من ذلك فانفصل الامر على مقالة البلقيني وفي هذه السنة ظهر كوكب له ذؤابة وبقي مدة يرى في اول الليل من ناحية الشمال وفي هذه السنة امر بتطبيل الوكلاء من دور القضاة وفي سنة احدى وثمانين رسم الامير بركة بنفي الكلابيين من مصر ورسم بان يعمل على قنطرة فم الخور سلسلة تمنع المراكب من الدخول والى بركة الرطلي فقال بعض الشعراء في ذلك

اطلقت دمعي على خليج ... مذ سلسلوه فراح مقفل
من رام من دهرنا عجيبا ... فلينظر المطلق المسلسل

وفي ربيع الآخر من هذه السنة احدث السلام على النبي صلى الله عليه وسلم عقب اذان العشاء ليلة الاثنين مضافا الى ليلة الجمعة ثم احدث بعد عشر سنين عقب كل اذان الا المغرب

وفي سنة ثلاث وثمانين ابتدأ الطاعون بالقاهرة وفيها امطرت السماء مطرا عظيما حتى صار
باب زويلة خوضا الى بطون الخيل وخرج سيل عظيم الى جهة طرى فغرق زرعها وأقام الماء
اياما ولم يعهد الناس ذلك بالقاهرة وفيها ظهر نجم له ذؤابة قدر رمحين من جهة القبلة *
وفي سنة اربع وثمانين وقع الغلاء بمصر وفيها شرع جركس الخليلي في عمل جسر بين الروضة
ومصر وطوله مائتي قصبة في عرض عشرة عند مورده الحبش وعمل على النيل طاحونا تدور بالماء
وفي هذه السنة قال الحافظ ابن حجر توجه الظاهر برقوق الى بولاق التكرور فاجتاز من الصليبة
وقناطر السباع وفم الخور قال وكانت عادة السلاطين قبله من زمن الناصر لا يظهرون
الا في الاحيان ولا يركبون الا من طريق الجزيرة الوسطى قال ثم تكرر ذلك منه وشق القاهرة
مرارا وجرى على ما الف في زمن الامرة وأبطل كثيرا من رسوم السلطنة وأخذ من بعده
بطريقته في ذلك الى ان لم يبق من رسمها في زماننا الا اليسير جدا وفي هذه السنة بنى السلطان
قناطر بنى منجة فاحكم عمارتها وفي سنة خمس وثمانين نزل السلطان الى النيل فخلق المقياس
وكسر الخليج بحضرته قال ابن حجر ولم يباشر ذلك السلطان قبله في زمن الظاهر بيبرس *
وفي سنة سبع وثمانين زلزلت مصر والقاهرة زلزلة لطيفة في ليلة الثالث عشر من شعبان
وفيها احضرت صغيرة ميتة لها رأسان وصدر واحد ويدان فقط ومن تحت صدره
شخصان كاملين كل شخص برجل انثى ورجلين فشاهدها الناس ودفنت وفيها وقع الغلاء
بمصر وفي سنة ثمان وثمانين في جمادى الآخرة زلزلت الارض زلزلة لطيفة وفي هذه السنة
عز الفستق عزة شديدة الى ان بيع الرطل منه بمثقال ذهب ونصف وفي سنة تسع وثمانين
ضربت الدراهم الظاهرية وحمل اسم السلطان في دائرة فقناه لوالده من ذلك بالحبس فوقع
عن قريب ووقع نظيره لولده الناصر فرج في الدنانير الناصرية وفي سنة تسعين اصاب
الحاج في رجوعهم عند ثعرة حامد سيل عظيم اهلك خلقا كثيرا وفي هذه السنة وقع
الطاعون بالقاهرة وفي سنة احدى وتسعين في شعبان امر نجم الدين الطنبدي المحتسب ان
يزاد بعد كل اذان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يصنع ذلك ليلة الجمعة بعد العشاء
فصنعوا ذلك الا في المغرب لضيق وقتها وفي سنة اثنتين وتسعين عطش الحاج بعجرود
حتى بلغت القربة مائة درهم فضة وفي سنة ثلاث وتسعين امر كتبغا نائب الغيبة ان لا
تخرج النساء الى التربة بالقرافة وغيرها ومنع النساء من لبس القمصان الواسعة الاكمام
وشدد في ذلك وفي هذه السنة في جمادى الآخرة ظهر كوكب كبير ذؤابة طولها رمحين *
وفي سنة اربع وتسعين وقع الوباء في البقر حتى كاد اقليم مصر ان يفنى منها وفي هذه السنة
امر أصحاب العاهات والقطعات ان يخرجوا من القاهرة وفيها ضربت بالاسكندرية
فلوس فاقصة الوزن عن العادة طمعا في الربح فآل الأمر الى ان كانت اعظم الاسرار

في فساد

فى فساد الاسرار ونقص الاموال وفى سنة تسع وتسعين استاذن كاتب المترجم الدين الكلستانى السلطان له ولجميع المتعممين ان يلبسوا الصوف الملون فى المواكب فأذن لهم وكانوا لا يلبسون الا الابيض خاصة وفيها ولدت امرأة بظاهر القاهرة اربعة ذكور أحياء وفى سنة ثمانمائة هبت ريح شديدة بالقاهرة حتى انقق الشيوخ العتق على انهم لم يسمعوا بمثلها وفى سنة احدى وثمانمائة ذكر أهل الهيئة انه يقع فى اول يوم منها زلزلة وشاع ذلك فى الناس فلم يقع شئ من ذلك وفى رجب سنة اربع ظهر كوكب قدر الثريا له ذؤابة ظاهرة النور جدا فاستمر يطلع ويغيب ونوره قوى يرى مع ضوء القمر حتى رؤى بالنهار فى اوائل شعبان فاوله بعضهم بظهور ملك شيخ المحمودى وفى سنة ست وثمانمائة نودى على الفلوس بان يتعامل بها بالميزان وسعرت كل رطل بستة دراهم وكانت فسدت الى الغاية بحيث صار وزن الفلوس ربع درهم بعد ان كان مثقالا وفى سنة عشر وقع الطاعون بالديار المصرية وفى سنة خمس عشرة ضربت الدراهم الخالصة زنة الواحد نصف درهم والدينار ثلاثين منه وفرح الناس بها وبطلت الدراهم النقرة وكان ضربها قديما فى كل درهم عشرة فضة وتسعة اعشاره نحاس وفى سنة ست عشرة فشا الطاعون بمصر وفى سنة سبع عشرة امر المؤيد بضرب الدراهم المؤيدية وفى سنة ثمان عشرة كان الطاعون بالقاهرة وفى سنة تسع عشرة كان الطاعون بالقاهرة وكثر الوبا بالصعيد والوجه البحرى وفى هذه السنة امر الملك المؤيد الخطباء اذا وصلوا الى الدعاء اليه فى الخطبة ان يهبطوا من المنبر درجة ليكون اسم الله ورسوله فى مكان اعلا من المكان الذى يذكر فيه السلطان فصنع ذلك الحافظ ابن حجر بالجامع الازهر وابن النقاش بجامع ابن طولون قال ابن حجر وكان مقصد السلطان فى ذلك جميلا وفى سنة عشرين ولدت جاموسة ببلبيس مولودا برأسين وعنقين واربعة ايدى وسلسلتى ظهر واحد ورجلين اثنين لا غير وفرج واحد أنثى والذنب مفروق باثنتين فكانت من بديع صنع الله وفى هذه السنة امسك نصرانى زنا بامراة مسلمة فاعترفا فحكم برجمهما فرجما خارج باب الشعرية وأحرق النصرانى ودفنت المرأة وفى سنة اثنتين وعشرين فشا الطاعون بالديار المصرية وفى سنة خمس وعشرين زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة وفى سنة سبع وعشرين جدد للمشايخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فاجرى سنجاب وهو أول ما فعل بهم ذلك وفى سنة ثمان وعشرين وقع بدمياط حريق عظيم حتى احترق قدر ثلثها وهلك من الدواب والناس شئ كثير وفى سنة ثلاث وثلاثين كان الطاعون العظيم بالديار المصرية وفى سنة احدى واربعين كان الطاعون بالديار المصرية * * *

ذكر الطريق المسلوك من مصر الى مكة شرفها الله تعالى

قال ابن فضل الله المحامل السلطانية وجماهير الركبان لا تخرج الا من اربع جهات مصر ودمشق وبغداد وتعز قال فيخرج الركب من مصر بالمحمل السلطاني والسبيل للمسبل للفقراء والضعفاء والمنقطعين بالماء والزاد والاشربة والادوية والعقاقير والاطباء والكحالين والمجبرين والادلاء والائمة والمؤذنين والامراء والجند والقاضي والشهود والدواوين والامناء ومفسل للموتى فاذا كمل زحه واتم ابهمة واذا نزلوا منزلا او رحلوا مرحلا مذق الكوسات وينفر المنفير ليؤذن الناس بالرحيل والنزول فاذا خرج الركب من القاهرة نزل البركة على مرحلة واحدة فيقيم بها ثلاثة أيام او اربعة ثم يرحل الى السويس في خمس مراحل ثم الى نخل في خمس مراحل وتعمل فيها الأمير آل ملك الجوكندار المنصوري احد أمراء المشورة في الدولة الناصرية ابن قلاوون بركا واتخذ لها مصانع ثم يرحل الى ايلة في خمس مراحل وبها العقبة العظمى فينزل منها الى الحجز بحر القلزم ويمشي على حجزه حتى يقطعه من الجانب الشمالي الى الجانب الجنوبي ويقيم به اربعة ايام او خمسة وبه سوق عظيم فيه انواع المتاجر ثم يرحل الى حفل مرحلة واحدة ثم الى بدر مدين في اربع مراحل وبه مغارة شعيب عليه الصلاة والسلام ويقال ان ماءها هو الذي سقى عليه موسى عليه الصلاة والسلام غنم بنات شعيب ثم يرحل الى عيون القصب في مرحلتين ثم الى المويلحة في ثلاث مراحل ثم الى الاخلم في اربع مراحل وماؤه من افجع المياه وهناك خان بناه الامير آل ملك الجوكندار وعمل هناك بئرا ايضا ثم الى الوجه في خمس مراحل وماؤه من اعذب المياه ثم الى اكرى في مرحلتين وماؤه اصعب ماء في هذه الطريق ثم الى الحوراء وهي على ساحل بحر القلزم في اربع مراحل وماؤها شبيه بماء البحر لا يكاد يشرب ثم الى ينبط في مرحلتين وماؤه عذب ثم الى ينبع في خمس مراحل ويقيم عليه ثلاثة ايام ثم الى الدهنا في مرحلة ثم الى بدر في ثلاث مراحل وهي مدينة حجازية وبها عيون وجداول وحدائق وبها الجار وضنة المدينة الشريفة ثم يرحل الى رابغ في خمس مراحل وهي بازاء الجحفة التي هي الميقات ثم يرحل الى خليص في ثلاث مراحل وبها بركة عملها الامير ارغون الناصري ثم الى بطن مر في ثلاث مراحل وفي طريقه بئر عسفان ثم يرحل من بطن مر الى مكة المشرفة مرحلة واحدة ثم يرجع في منازله الى بدر فيعطف الى المدينة الشريفة فيرحل الى الصفرا في مرحلة ثم الى ذي الحليفة في ثلاث مراحل ثم الى المدينة الشريفة في مرحلة ثم يرجع الى الصفرا ويأخذ بين جبلين في فجوة تعرف بنقب علي حتى يأتي الينبع في ثلاث مراحل ثم يستقيم على طريقه الى مصر *

ذكر قدوم المبشر بقاي بخبر بسلامة الحاج

كان ذلك في عهد الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فمن بعدهم وله حكمة لطيفة قل من يعرفها قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه في قصة حصر عثمان رضي الله عنه واستمر الحصار بالدار المصرية حتى مضت ايام التشريق ورجع البشير من الحج فاخبر بسلامة

الناس

الناس وأخبراؤلئك بان أهل الموسم عازمون على الرجوع الى المدينة ليكفوهم عن امير المؤمنين
ولتوجه مالك في الموطا عن ابن دلان عن ابيه ان رجلا من جهينة كان يشترى الرواحل فيغالى
بها ثم يسرع السفر فيسبق الحاج فافلس فرفع امره الى عمر فقال أما بعد أيها الناس ان الاسيقع
اسيقع جهينة رضى من دينه وامانته ان يقال سبق الحاج الا وانه اذان معرضا فاصبح وقد
دين به فهمد فمن كان له عليه دين فليات بالغداة فقسم ماله بين غرمائه ثم الى كم والدين
واخرج الخطيب البغدادى في تالى التلخيص من طريق عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن عمر
ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال تخرج الدابة من جبل ابياد في ايام التشريق والناس بمنى
قال فلذلك جاء سابق الحاج يخبر بسلامة الناس

ذكر حمائم الرسائل

قال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وستين وخمسمائة اتخذ السلطان
نور الدين الشهيد الحمام الهوادى وذلك لامتداد مملكته واتساعها فانها من حد النوبة
الى همذان فلذلك اتخذ قلعة وحبس الحمام التي تسرى الآفاق في اسرع مدة وابسر عدة
وما احسن ما قال فيهن القاضي الفاضل الحمام ملائكة الملوك وقد اطنب في ذلك
العماد الكاتب واظرف واطرب وابجب واغرب وفي سنة احدى وتسعين وخمسمائة
اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء زائدا حتى صار يكتب باسناب الطير
المحاضر انه من ولد الطير الفلاني وقيل انه بيع بالف دينار وقد الف القاضي محيي الدين بن
عبد الظاهر في امور هذه الحمام كتابا سماه تمام الحمام وذكر فيه فصلا فيما ينبغي ان يفعله
المنطق وما جرت العادة به في ذلك فقال كان الجاري به العادة انها لا تحمل البطاقة الا
في جناحها لامور منها حفظها من المطر ولقوة الجناح والواجب انه اذا انطلق من مصر
لا يطلق الا من امكنة معلومة فاذا سرحت الى الاسكندرية فلا تسرح الا من منية
عقبة بالجيزة والى الشرقية فمن مسجد التين ظاهر القاهرة والى دمياط فمن بيسوس
بشط بحر منجى والذى استقر عليه قواعد الملك عليه ان طائر البطاقة لا يلهو الملك عنه ولا
يغفل ولا يمهل لحظة واحدة فيفوت مهمات لا تستدرك اما من واصل واما من هارب
واما من متجدد في الثغور ولا يقطع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة
احد فان كان ياكل لا يمهل حتى يفرغ وان كان نائما لا يمهل حتى يستيقظ بل ينبه وينبغي ان يكتب
البطاقة في ورق الطير المعروف بذلك قال ورايت الاوائل لا يكتبون في اوائلها بسملة قال وانا
ما كتبتها قط الا ببسملة للبركة وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين وينبغي ان لا يكثر في نعوته
المخاطب فيها ولا يذكر في البطاقة حشو الالفاظ ولا يكتب الا آلت الكلام وزيدته ولا بد ان
يكتب شرح الطائر ورفيقه ان كانا طائرين قد سرحا حتى ان تاخر الطائر الواحد رقب حضوره

او يطلق لئلا يكون قد وقع في برج من ابراج المدينة ولا يعمل البطاقة هامش ولا بجلد وجرت العادة باذ يكتب في آخرها وحسبنا ونعم الوكيل وذلك حفظ لها ونمق ومثل في وصفها تاج الدين احمد بن سعيد ابن الاثير كاتب الانشا طال ما جادت بها فاضحت مخلفة وراءها تبكي عليها السحب وصدق من سماها انها الطير لانها مرسلة بالكتب وفيها يقول ابو محمد احمد بن علوي بن ابي عقيل الفقير واني الملقب * *

خضر تفوت الريح في طيرانها ... يا بعد بين غدوها ورواحها
تاتي باخبار الغدو عشية ... لمسير شهر تحت ريش جناحها
وكانما الروح الامين يوحيه ... نفث الهداية منه في ارواحها

وقال غيره

يا حبذا الطائر الميمون يطرقنا ... في الامر بالطائر الميمون تنبيها
فاقت على الهدهد المذكور اذ حملت ... كتب الملوك وصانتها اعاليها
تاتي بكل كتاب نحو صاحبه ... تعنون نظرة صونا وتحفيها
فما تمكن عين الشمس تنظره ... ولا يجوز ان تلقيه من فيها
منسوبة لرسالات الملوك فبال ... منسوب تسمو ويدعوها تسميها
اكرم بجيش سعيد ما سعادته ... مما يشكيك فيها فكر جاليها
حماحمي الغار يوم الغار وقعته ... فيالها وقعة عزت مساعيها
وقوفه عند ذاك الباب شرفه ... وللسعادة اوقات تؤاتيها
ويوم فتح رسول الله مكته ... عند الدخول اليها من بواديها
صفت تظلل من شمس كتيبته ... الخضر امطره فيها تواليها
فظللته بما كانت تود هوى ... لو قابلتها باشواق فتنهيها
فعند ما حظيت بالقرب امنها ... فشرفت بعطايا جل مهديها
فما يحل لدى صيد تناولها ... ولا ينال المنا بالنار مصليها
ولا تطير باوراق الفريخ ولا ... يسير عنها بما فيه اما نيها
سمت بملك المعاني غير ذي دنس ... لا ترتضيهم ولو جرت نواصيها
وتنظر لها كيف تاتي للخلائق من ... آل الرسول بحب كامن فيها
من المقام الى دار السلام فلم ... يمض النهار بعزم في دواعيها
وزعم اصل عنه الهند ملتقطا ... حبات فلفله وارتد مبطيها
فجاء في يومه في اثر سابقه ... حفظا لحق يد طابت ايادي ها
مناقب لرسول الله ايسرها ... لدى نبوته الغرا تكفيها

ومن اناشيد القاضي الفاضل في وصف حمائم الرسائل سرحت لا تزال الا جنحتها محملة من البطائق ابجنحة

وتجهز جيوش القاصد والاقلام اسلحه * وتخبر من الاخبار ما تحمله الضمائر * وتطوى الارض اذا نشرت
الجناح الطائر * وتزوى بها الارض ما سيبلغه ملك هذه الامة * وتقرب منها السماء حتى ترى ما لا
يبلغه هم ولا همة * وتكون مراكب الاعراض والاجنحة طوعا * ويركب البحر بحرا تصفق فيه هبوب الرياح موجا
مرفوعا * وتعلق الحاجات على اعجازها * ولا تفوق الارادات عن انجازها * ومن بلاغات البطائق استفادة
ما هي مشهورة به من السجع * ومن رياض كتبها الفت الرياض فهي اليها دائمة الرجع * وقد سكنت النجوم
فهي انجم * واعدت في كنانتها فهي للحاجات اسهم * وكادت تكون ملائكة لانها رسل فاذا نيطت
بالرقاع * صارت اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع * وقد باعد الله بين اسفارها وقربها * وجعلها
طيف خيال اليقظة الذي صدق العين وما كذبها * وقد اخذت عهود الامانة
في رقابها اطواقا وصارت خوافي من وراء الخوافي * وغطت سرحها المودع بكتمان سجيت
عليه ذيول ريشها الضوافي * ترغم انف النوى بتقريب العهود * وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ
انجم السعود * وهي انبياء الطير لكثرة ما تاتي به من الانباء * وخطباؤها لانها تقوم على الاغصان
مقام الخطباء * وقال في وصفها شيخ الكتاب ذو البلاغتين السديد ابو القاسم شيخ القاضي
الفاضل واما حمام الرسائل فهي من آيات الله المستنطقة الالسن بالتسبيح * العاجز عن
وصفها اعجاز البليغ الفصيح * فيما تحمله من البطائق * وترد به مسرعة من الاخبار الواضحة
الحقائق * وتعاليه في الجو محلقا عند مطاره * وتهديه على الطريق التي عليها اليا من من ادراك
فوت الادراك واخطاره * ونظره الى القصد الذي يسرح اليه من علي * ووصوله الى اقرب
المتاعات بما يصل به البريد في ابعد الايام من الخبر الجلي * ومجيئه معادلا لرؤس المسافر مساءة
وايثارا بالمجددات فكانه ناطق وان كان صامتا * وكونه مضى محمولا على المركوب * ورجع
عاملا على ظهره للمكتوب * ولا يعرج على تذكار الهدير * ولا يسام من الدأب في الخدمة زائدا على
التقدير * وفي تقدمه البشائر * يكون المغنى بقولهم ايمن طائر * ولا غرو ان فارق رسل اهل الارض
وفاتهم وهو مرسل والعنان عنان والجو ميدانه والجناح مركبه والرياح موكبه * وابتداء الغاية
شرطه والشوق الى اهله شرطه مع امنه ما يحدث لمناب السفار ومجمات القفار من مخاوف الطوارق
وطوارق المخاوف * وتسلف الغوائل وغوائل المتالف * الا ما يشد من اعتراض جارح جارح وانقضاض
كاسب كاسر فيكفيه سعادة الدولة تاميمة وتصد عنه تصميمة * لانه احسنها من الطير الذين يجرثات
في اعدائها هذا بالانذار الجاعل كيدهم في تضليل وذلك بما ترى رايتها المنصورة عليهم من تضليل * وقال
القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى وعلى ما انشاه الشيخ السديد رحمه الله تعالى اردت ان اجري
الخاطر * فانشأت وانا غير مخاطب احدا بل مخاطر * وان الثري من الثريا * وما الحسن لكل احد بمتيا * وعلى
ان اجيب وما علي ان اجيد * وما كل والد يرزق ولدا نجيبا ولا كل كاتب عبد الرحيم ولا عبد الحميد * فقلت
واما حمائم الرسائل فكم اخذت البرد عن جوب القفار * وكم قدت جيوبها على اسرى اسرار * وكم اعادت لهم

اجنحة فاحسنت بسلك العادية المطار * وكم قال جناحها لطالب النجاح لا جناح * وكم سرت فحدت المسا اذا احمد غيرها من السارين الصباح * وكم سارقت الصبا والجنايب فقاتهما ولم تحوج سلام المشتاقين الى امتطا كاهل الرياح * كم حسب ملك كل منهما ملك * وكم مال سرحتها لمحبته بها قرة عين لمولاك * كم احملت في الهوى تقلبا * واذا غنت الحمائم على الغصون صمت عن الهذيل والهدير تادبا * كم دفعت شكا بيقينها * ورفعت شكوى بتبيينها * وكم ادت امانة ولم تعلم اجنحتها اجنحة ما في شمالها ولا شمالها ما في يمينها * كم التفت منها الساق بالساق فأحسنت لربها المساق * وكم اخذت عهود الامانة فبرت اطواقا في الاعناق * ويقال ما تضمنته من البطائق بعض ما تعلق منها في الرياض من الاوراق * تسبق اللمح * وكم استفتح بها المسير اذا جاء بالفتح * تسبق الطرف السابق والطرف الرامي الرامق * وما تلت سورة البروج الا وتلت سورة الطارق * كم انسى مطارها عدو السلكة والتسليك * وكم غنت في خدمة سلطانها عن الغنا وقال كل منهما الرفيقه اليك عن الايك * ما احوج تصديقهما في رسالتهما الى الاعزاز بثالث * وكم قيل في كل منهما لمن سام هذا حام في خدمة ابناء يافث * كم سرحا باحسان * وكم طارا بافق فاستحق ان يقال لهما فرسا سحاب اذا قيل لاحدهما فرسا رهان * كاملة علم لمن هو اعلم به منها يغني السفار والسفار فلا تحوجهم الى الاستغناء عنها * تغدو وتروح وبالسر لا تبوح * فكم عيب باجتماعها بالفها على انها تنوح * كم سارت تحت امر سلطانها على احسن التدبير * وكم افهمت ان ملكه سليماني اذ سخر له منها في مهمة الطير * اسرع من السهام المفوقة * وكم من البطائق مخلقة وغير مخلقة * كم ضللت من كيد * وكم بدت في مقصورة تصيح في النسا والنساد ونها مقصورة ابن دريد * ومن القضاة الاديب تقي الدين ابو بكر بن حجة في ذلك سرح كما سرح العيون الادون رسالته مقبولة * وطلب السبق فلم يرض بعرف البرق سرحا ولا استظل صفحته المصقولة * وكم جرى دونه النسيم فقصر وامست اذياله بعرف المسك مبلولة * وأرسل فاقر الناس برسالاته وكتابه المصدق * وانقطع كوكب الصبح خلفه فغار عند التقصير كتب يجاب وعلى يدي مخلق * يؤدي ما جاء على يديه من التوسل فيهيج الاشواق * وما برحت الحمام تحسن الاداء في الاوراق * وصحبناه على الهدى فقال ما ضل صاحبكم وما غوى * وما روي عنه حديث الفضل المسند فعن عكرمة فقد روى * يطير مع الهوى لفرط صلاحه * ولم يبق على السر المصون جناح اذا دخل تحت جناحه * ان برز من مقصه لم يبق للصرح الممرد قيمه * بل ينغز ابدا بريح اطواقه ويعلق عليه من العين تلك التميمة * ما سجن الا صبر على السجن وضيقة الاطواق * ولهذا حمدت عاقبته على الاطلاق * ولا غنا على عود الا أسال دموع الندامى من حدائق الرياض * ولا اطلق من كبد الحق الا كان سهما مريشا تبلغ به الاغراض * كم علا فصها دريش القوادم كالاهداب لعين الشمس * واسى عند الهبوط لعيون الهلال الب كالطمس * فهو الطائر

الميمون والغاية السباقة * والأمين الذي اذا اودع اسرار الملوك حملها بطاقه * فهو من الطيور التي خلا لها الجو فقرت ما شاءت من حبات النجوم * والبحر التي من اخذ عنها شرح المعلقات فقد اعرب عن دقائق المفهوم * والمقدمة والنتيجة للكتاب الجلي في منطق الطير وهي من حملة الكتاب الذي اذا وصل القارئ منه الى الفتح يهتل لجنة الخير ان يصدر المبازي بغير علم فكم جمعت بين طرفي كتاب * وان سالت العقبان على بديع السجع احجمت عن رد الجواب * رعت النسور بقوة جيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف ما قدمت الا وارتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة * واظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمة * كم اهدت من مخلفها وهي غادية رايحه * وكم حنت اليها الجوارح وهي اذا ام الله اطلاقها عن جارحة * وكم ادارت من كؤوس السجع ما هو ارق من قهوة الاحشاء والمهج على زهر المنشور من صبح الاعشاء * وكم عامت بحور القضا ولم تحفل بموج الجبال وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف من تلك الانملة قلامة الهلال * وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكل كف خضيب * وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشقيق لامر مريب * وكم لمع في اصيل الشمس خضابا كفها الوضاح * فصارت بسمو وفوط البهجة كمشكاة فيها مصباح * والله تعالى يديم افنانا بوابر العالية الحان السواجع * ولا برح تغريدها مطربا بين البادي والراجع * *

ذكر عادة الملكة في الخلع والزي

قال ابن فضل الله واما القضاة والعلما فخلعهم من الصوف بغير طراز فلهم الطرحة واصل الصوف ان يكون ابيض وتحته اخضر واما زي القضاة والعلماء فدلق متسع بغير تفريق فتحته على كتفه وشاش كبير منه ذؤابة بين الكتفين ويميلها الى الكتف الايسر واما من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج والذؤابة ايضا ويميلها الى الكتف الايسر ومنهم من يلبس الطيلسان واما قاضي القضاة الشافعي رضي الله تعالى عنه فرسمه الطرحة وبها يمتاز ومراكبهم البغال ويعمل بدلا من الكنبوش الزناري وهو من الجوخ بالعبا المجوفة الصدر مستديرة من وراء الكفل والبسة الخطبا دلق مدور اسود للشعار العباسي وشاش اسود وطرحة سودا واما زي الامرا والجند فتقدم عند ذكر السلطان واما خلعهم وخلع الوزرا ونحوهم فاسقطتها من كلام ابن فضل الله لانها ما بين حرير وذهب وذلك محرم شرعا وقد التزمت ان لا اذكر في هذا الكتاب شيا اسال عنه في الآخرة ان شاء الله تعالى *

ذكر عادة السلطان في الكتابة على التقاليد

قال ابن فضل الله عادته اذا كتب لأحد من النواب يكتب اسمه فقط فان كان من كبارهم وهو من ذوي السيوف كتب والله فلان وان كان من القضاة والعلماء كتب اخوه فلان *

ذكر معاملة مصر

قال ابن فضل الله في المسالك معاملة مصر الدراهم ثلثاها فضة وثلثها نحاس والدرهم ثمانية عشر خرنوبة والخرنوبة ثلاث قمحات والمثقال اربعة وعشرون خرنوبة والدرهم منها قيمته ثمانية واربعون فلسا والدينار الحبشي ثلاثة عشر درهما وثلث درهم واما الكيل فمختلف في مصر الاردب وهو ست ويبات الويبة اربعة ارباع الربع اربعة اقداح القدح مائتان اثنان وثلاثون درهما هذا اردب مصر وفي اريافها يختلف الاردب من هذا المقدار الى نحو ما ياتي ثلاث ويبات والرطل اثنا عشر اوقية الاوقية اثنا عشر درهما قال صاحب المرآة في سنة خمس وسبعين من الهجرة ضرب عبد الملك بن مروان على الدنانير والدراهم اسم الله تعالى قال الهيثم وسببه انه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الاسلام باربعمائة سنة عليها مكتوب باسم الاب والابن وروح القدس فسبكها ونقش عليها اسم الله تعالى وآيات من القرآن واسم الرسول صلى الله عليه وسلم واختلف في صورة ما كتب فقيل في وجه لا اله الا الله وفي الآخر محمد رسول الله وارخ وقت ضربها وقيل جعل في وجه قل هو الله احد وفي الآخر محمد رسول الله وقال القضاعي كتب على احد الوجهين الله احد من غير قل ولما وصلت الى العراق امر الحجاج فزيد فيها في الجانب الذي فيه محمد رسول الله في جواب الدرهم ارسله بالهدى ودين الحق الآية واستمر نقشها كذلك الى زمن الرشيد فاراد تغييرها فقيل له هذا امر قد استقر والفه الناس فابقاها على ما هي عليه اليوم ونقش عليها اسمه وقيل اول من غير نقشها المنصور وكتب عليها اسمه واما الوزن فما تعرض احد لتغييره انتهى كلام صاحب المرآة *

ذكر كوكب الذنب *

قال صاحب المرآة انا اهل النجوم يذكرون ان كوكب الذنب طلع في وقت قتل قابيل هابيل وفي وقت الطوفان وفي وقت نار ابراهيم الخليل وعند هلاك قوم عاد وثمود وقوم صالح وعند ظهور موسى وهلاك فرعون وفي غزوة بدر وعند قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وعند قتل جماعة من الخلفا منهم الرضي والمعتز والمهتدي والمقتدر قال وادنى الاحداث عند ظهوره هذا الكوكب الزلازل والاهوال قلت يدل لذلك ما اخرجه الحاكم في المستدرك وصححه من طريق ابن ابي مليكة قال غدوت على ابن عباس فقال ما نمت الليلة قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت ان يكون الدجال وطرق

ذكر بقية لطائف مصر

قال الكندي ذكر يحيى بن عثمان عن احمد بن الكريم قال رطبت الدنيا ورايت آثار الانبياء والملوك والحكماء ورايت آثار سليمان بن داود عليهما السلام ببيت المقدس وتدمر والاردن ورايت آثار الشياطين فلم ار

مثل

مثل برابي مصر واعلى حكما ولا مثل الاثار التي بها والابنية التي لملوكها وحكامها ومصر ثمانون كورة
ليس منها كورة الا وفيها طرائف وعجائب من اصناف الابنية والطعام والشراب والفاكهة والنبات
وجميع ما ينتفع به الناس ويتحوه الملوك وصعيدها ارض حجازية حرها كحر الحجاز تنبت النخل
والاراك والقرظ والدوم والعسر واسفل ارضي مصر شامية تمطر مطر الشام وتنبت نبات
الشام من الكرم والتين والموز وسائر الفاكهة والبقول والرياحين ويقع به الثلج ومنها لوبيه
ومراقيه برابي وجبال وغياض وزيتون وكروم بريه بحرية جبلية بلاد ابل وماشيه ونتاج
وعسل ولبن وكل كورة من مصر مدينة قال تعالى وابعثنا في المدائن حاشرين وفي كل مدينة منها
آثار عجيبة من الابنية والصخور والرخام والبرابي وتلك المدن كلها تؤتى في الماء من السفن
تحمل المتاع والآلة الى الفسطاط تحمل السفينة الواحدة ما يحمله خمسمائة بعير قال الكندي
وليس في الدنيا بلد يأكل اهله صيد البحر طريا غير أهل مصر قال وذكر بعض اهل العلم انه ليس في الدنيا
شجرة الا وهي بمصر عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ويوجد بمصر في كل وقت من الزمان
من المأكول والمادوم والمشموم وسائر البقول والخضر وجميع ذلك في الصيف والشتاء لا ينقطع
منها شيء لبرد ولا لحر وذكر أن بحت نصر قال لابنه بلسطان ما اسكنك مصر الا لهذه
الخصال وبلسطان هو الذي قصر الشمع وقال بعض من سكن مصر ولا ماء طوبة وخروف
امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنة وعسل ابيب وعنب مسرى
ورطب توت ورمان بابه وموزها نور وسمك كيهك ما اقمت بمصر واخرج ابن عساكر
من طريق الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول ثلاثة اشياء
دواء للداء الذي لا دواء له الذي اعيا الأطبا ان يداووه العنب ولبن اللقاح وقصب السكر
ولولا قصب السكر ما اقمت بمصر وقال بعضهم يجتمع بمصر في وقت واحد ما لا يجتمع
بمدينة وذلك المنفسج والورد والسوسن والمنثور والنرجس وشقائق النعمان والبهار
والياسمين والنسرين والليلوفر والنمام والمرزنجوش والريحان والنارنج والليمون
والتفاح الشامي والاترج والباقلى الاخضر والعنب والتين والموز واللوز الاخضر
والسفرجل والكمثرى والرمان والنبق والقثا والخيار والطلع والبسر والرطب
واللفت والقنبيط والاسفاناخ والقرع والجزر والباذنجان كل ذلك يجتمع في وقت
واحد من السنة وقال بعض من صنف في فضائل مصر بمصر الحمير المرسية والبقر الحسينية
والنجب التجارية والغنم النوبية والدجاج الحبشية والمراكب الحربية والسفن الزيبقية
والمناسب الحلية والستور البهنساوية والغلائل القصبية والحرم السمطاوية والمناك
السندية والتسلال الوهبانية والمضارب السلطانية ويحمل الى العراق وغيرها من مصر
زيت الخل والعسل النحل ويفتخر به على عسال الدنيا ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم

بارك فيه لما اهداه المقوقس وبمصر يزرع البلسان ودهنه يستعمل فى اكثر العلاج والنفط وهو من آلة الحرب التى بها قهر الاعداء ودهن الخروع وزيت البزر والدهن الصينى وزيت الخردل وزيت الخس ودهن القرطم وزيت السلجم وخشب البلح وهو اصلح من الابنوس اليونانى وفى صعيد مصر خشب الابنوس الابلق وسائر العقاقير التى تدخل فى الطب والعلاج وكلما زرع فى ارض مصر ينبت وفيها من نبات الهند والستند مثل الاهليلج والخيار شنبر والتمر هندى وغيره مما لا يوجد فى بلد من البلاد الاسلامية وبها الشب الواجى وهو ابلغ من اليمانى والاميون والشاهترج والصفر والزجاج والجزع الملون والفهوان وهو حجر لا يعمل فيه الحديد وكانت الاوائل تعمده وتقطعه باسوان ومنه العمد الجامية التى لا تكون بسائر الدنيا وكل حمامات مصر بالرخام لكثرته عندهم وكذلك صحون دارهم وبها الحجارة المسماة بالكدان يبلط بها الدور ويعقد بها الدرج وبها من الحصر العبدانى ومن سائر اصناف الحصر ما لا يوجد فى غيرها ويجلب من مصر البز الابيض من الدبيقى وغيره الذى يعمل بدمياط وتنيس وبالاسكندرية يعمل الوشى الذى يقوم مقام وشى الكوفة وبالصعيد يعمل من الجلود الانطاع وبالبهنسا الستور التى هى احسن ستور الارض والبسط * واجلة الدراريب والبرانق وستور النسوان فى المضار والاكسية والطيالسة وكان يعمل باخميم الفرش التى تسمى بطوع الخز وبمصر من اصناف الرقيق ما ليس ببلد من البلدان واصناف الطير الحسن الصوت فى صعيدها مثل القمرى والنوبى والنواح والدبسى الاحمر والابلق والكروان الذى ليس مثله فى بلد ومنها يحمل الطير الى البلدان فى الشرق والغرب والاسجاع المتخذة من الشهد وعسل الاسطروس والبندة المعمولة من القمح والقند والاباليج والطبرزد وماء طوبة الذى لا يعدله شئ ولا يتغير على ممر الايام والسمك الذى هو ملك الاسماك والبورى الطرى والمملوح والبلاطى الذى كانه دروع من الفضة وطير الماء وطير الحوصل يعمل من جلده الخفاف الناعمة والفرا الابيض الذى يقوم مقام الفنك فى لينه ورقته * وبها الكمأة ومنها يحمل الى سائر الارض والقراطيس وبها من العلم القديم ما ليس ببلد كعلم الطب اليونانى والمساحة والنجوم والحساب القبطى واللحون والشعر الرومى وفيها من سائر الثمار والاشجار والمشمومات والعقاقير والنبات * والحشائش ما لا يحصى والعصفور يفرخ بمصر فى كانون وليس ذلك فى بلد الا بها وقال الكندى بمصر معدن الزمرد وليس فى الدنيا زمرد الا معدن بمصر ومنها يحمل الى سائر الدنيا قال وبها معدن الذهب يفوق على كل معدن قال وفيها القراطيس وليس شئ فى الدنيا الا بمصر وقال غيره من خصائص مصر القراطيس وهى الطوامير وهى احسن ما كتب فيه وهو من حشيش ارض مصر

ويعمل

ويعمل طوله ثلاثين ذراعا واكثر في عرض شبر وقيل ان يوسف عليه السلام أول من اتخذ القراطيس وكتب فيها قال الكندي وبها من الطرز والقصب التنيسي والشرب والديبقي ما ليس بغيرها وبها الثياب الصوف والاكسية للمرعز وليس هي في الدنيا الا بمصر ويحكى ان معاوية لما كبر كان لا يدفأ فاتفقوا انه لا يدفيه الا اكسية تعمل في مصر من صوفها المرعز العسلي غير مصبوغ فعمل له منها عدد قما احتاج منها الا الى واحد وبها طراز البهنسا من الستور والمضارب ما يفوق ستور الارض وبها من النتاج العجيب من الخيل والبغال والحمير ما يفوق نتاج أهل الدنيا وليس في الدنيا فرس في نهاية الصورة في العتق غير الفرس المصري وليس في الدنيا فرس لا يرد غير المصري وسبب ذلك قصر ساقيه وبلاغة صدره وقصر ظهره ويحكى ان الوليد عزم على اجراء الحلبة فكتب الى الأمصار أن يوجه اليه بخيار خيل كل بلد فلما اجتمعت عرضت عليه فمرت عليه المصرية فلما رآها دقيقة العصب لينة المفاصل والاعطاف قال هذه خيل ما عندها طائل فقال له عمر بن عبد العزيز وابن الخير كله الا لهذه فقال له ما تترك تعصبك لمصر يا ابا حفص فلما اجريت الخيل جاءت المصرية كلها شاة ما خالطها غيرها قال وبها زيت الفجل ودهن البلسان والافيون والابرسيس وشراب العسل واليسر البري الأحمر واللبخ والخشخاش والكبريت والشمع والعسل وخل الخمر والترمس والجلبان والزرة والنيدة والاترج الاباتي والفراريج الزبلية وذكر ان مريم عليها السلام شكت إلى ربها قلة لبن عيسى فالهمها ان غلت النيدة فأطعمته اياها وذكر بعضهم ان رهبان الشأم لا يكادون يرون الا عمشا من اكل العدس ورهبان مصر سالمون من ذلك لاكلهم الجلبان والبقر الذي بمصر أحسن البقر صورة وليس في الدنيا بقر أعظم خلقا منها حتى ان العضو منها يساوي اكبر ثور من غيرها وبها الحطب القنطة والابنوس الاباتي والقرط الذي تعلفه الدواب وذكر انه يوقد بالحطب القنطة عشرين سنة في الكانون او التنور فلا يوجد له رماد طول هذه المدة وجيزتها في وقت الربيع من احسن مناظر الدنيا وقال صاحب مباهج الفكر يقال إن بمصر سبعمائة وخمسين معدنا توجد بجبل المقطم الذهب والفضة والحامان والياقوت الا انه لطيف جدا يستعمل في الاكحال والادوية وفي اسوان يغاص على التنباوح ومعدن التبر ومعدن الزمرد وليس في الدنيا غيره وبجبال القلزم المتصلة بجبل المقطم حجر المغناطيس ومن خصائص مصر بركة النطرون وينبت في ارض مصر سائر ما ينبت في الأرض انتهى وقال صاحب غرائب العجائب بمصر بئر البلسم بالمطرية يسقى بها شجر البلسان ودهنه عزيز والخاصية في البئر فان المسيح عليه السلام اغتسل فيها وليس في الدنيا موضع ينبت فيه البلسان الا هذا الموضع وقد استأذن الملك الكامل ابا بكر العادل ان يزرعه فاذن له ففعل ولم ينجح ولم يخلص منه دهن فسأل أباه ان يجري له ساقية من المطرية اليه ففعل فلم ينجح قال وبارض مصر حجر القمح اذا اخذه الانسان بيده غلب عليه الغثيان حتى يتقيأ جميع ما في بطنه فان لم يلقه من يده خيف عليه التلف

وقال الكندي جعل الله مصر متوسطة الدنيا وهي في الاقليم الثالث والرابع فسلمت من حر الاقليم
الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس والسابع فطاب هواها وبقي حرها وضعف حرها
وخف بردها فسلم اهلها من مشاتي الجبال ومصائف عمان وصواعق تهامة ودمامل الجزيرة
وجرب اليمن وطواعين الشام وغلاء العراق وعقارب عشكر مكرم وطلب البحرين وحمى خيبر
وامنوا من غارات الترك وجيوش الروم وطوائف العرب ومكابرة الديلم وسرايا القرامطة
وبثوق الانهار وقحط الامطار وقد اكتنفها معادن رزقها وقرب تصرفها فكثر خصبها
ورغد عيشها ورخص سعرها وقال الجاحظ في مصر ان اهلها يستغنون عن كل بلد حتى
لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا سور لغنى اهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا وفيها ما ليس
بغيرها وهو حيوان الشقنقور والنمس ولولاه لاكلت الثعابين اهلها وهولها كفتا فسبحان
لافاعيها والتمساح الرعاد والحطب الصنط الذي لو وقد منه يوما اجمع ما وجد من رماده
ملء كف صلب العود سريع الوقود بطيء الخمود ويقال انه الابنوس لكن البقعة قصرت عن
الكيان فجاء احمر شديد المرق ودهن البلسان والافيون وهو عصارة الخشخاش واللبخ
وهو ثمر في قدر اللوز الاخضر الا ان المأكول منه الظاهر والاترج الابلق والزمرد واهلها ياكلون
صيد بحر الروم وبحر فارس طريا وفي كل شهر من شهورها القبطية صنف من المأكول والمشروب
والمشموم يوجد فيه دون غيره فيقال رطب توت ورمان بابة وموز هتور وسمك كيهك وماء
طوبة وخروف امشير ولبن برمهات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بؤنة وعسل ابيب وعنب
مسرى وان صيفها خريف وشتاها ربيع وما يقطعه الحر في سائر البلاد من الفواكه يوجد
فيها في الحر والبرد اذ هي في الاقليم الثالث والاقليم الرابع فسلمت من حر الاول والثاني وبرد
السادس والسابع ويقال لولم يكن من فضل مصر الا انها تغني في الصيف عن الخيس والثلج
وبطون الارض وفي الشتاء عن الوقود والفرا لكفاها وما وصفت به ان صعيدها حجازي
كحر الحجاز ينبت النخل والدوم وهو شجر المقل والعشر والقرظ والاهليلج والفلفل والخيار شنبر
واسفل ارضها شامي يمطر مطر الشام ويقع فيه الثلوج وينبت التين والزيتون والعنب
والجوز واللوز والفستق وسائر الفواكه والبقول والرياحين وهي ما بين اربع صفات فضة
بيضا او مسكة سودا او زبرجدة خضرا او ذهبة صفرا وذلك اذ نيلها يطبقها فتصير كانها
فضة بيضا ثم ينضب عنها فتصير مسكة سودا ثم تزرع فتصير زبرجدة خضرا ثم تستحصد
فتصير ذهبة صفرا وحكى ابن زولاق في كتابه ان امير مصر موسى بن عيسى كان واقفا بالميدان
عند بركة الحبش فالتفت يمينا وشمالا وقال لمن معه من جنده اترون ما ارى قالوا لا قالوا وما
يرى الامير قال ارى عجبا ما في شيء من الدنيا مثله فقالوا يقول الامير فقال ارى ميدانا زهارا
وحيطان نخل وبستان شجر ومنازل سكنى وحيانة اموات ونهرا عجاجا وارض زرع ومراعي

ماشية ومرابط خيل وساحل بحر وقانص وحش وصايد سمك وملاح سفينة وحادى ابل ومغاير ورملا وسهلا وجبلا فهذه سبعة عشر مسيرها فى اقل من ميل فى ميل ولهذا قال ابو الصلت أمية ابن عبد العزيز الاندلسى يصف الرصد الذى بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التى لقد نزهت	عن كل شئ خلا فى جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا اجبل	فالضب والنون والملاح والحادى

وقال ابن فضل الله فى المسالك مملكة مصر من اجل ممالك الارض لما حوت من البقاع المعظمة والارض المقدسة والمساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال وقبور الانبيآء والطور والنيل والفرات وهما من الجنة وبها معدن الزمرد ولا نظير له فى اقطار الارض وحسب مصر فخرا ما تفردت به من هذا المعدن واستمداد ملوك الافاق له منها وبينه وبين قوص ثمانية ايام بالسير المعتدل والبياة تنزل حوله لاجل القيام بحفره وهو فى الجبل الآخذ على شرقى النيل فى منقطع من البر لا عمارة عنده ولا قريبا منه والماء عنه مسيرة نصف يوم وهذا المعدن فى صدر مغارة طويلة فى جبل ابيض منه يضرب فيستخرج منه الزمرد وهو كالعروق فيه قال واكثر محاسن مصر مجلوبة اليها حتى بالغ بعضهم فقال ان العناصر الاربعة مجلوبة اليها الماء وهو النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب من حمل الماء والآ فهى رمل محض لا ينبت والنار لا توجد بها شجرتها وهو الصوان الا اذا جلب اليها والهوآء لا يهب اليها الا من احد البحرين اما الرومى واما الخارج من القلزم اليها وهى كثيرة المجلوب من القمح والشعير والفول والحمص والعدس والبسلة واللوبيا والذخن والارز وبها الرياحين الكثيرة كالجلق والاس والورد وغيرها وبها الاترج والنارنج والليمون والحماض والكباد والموز الكثير وقصب السكر الكثير والرطب والعنب والتين والرمان والتوت والفرصاد والخوخ واللوز والمشمش والنبق والبرقوق والقراصيا والتفاح واما السفرجل والكمثرا فقليل وكذلك الزيتون مجلوب الا قليلا فى الفيوم وبها البطيخ الاصفر انواع والاخضر والخيار والقثا على انواع والقلقاس واللفت والجزر والقنبيط والفجل والبقول المنوعة وبها انواع الدواب من الخيل والبغال والحمير والبقر والجواميس والغنم والمعز ومما يوصف منه دوابها بالجودة الحمر لفراهتها والبقر والغنم لعظمها وبها الاوز والدجاج والحمام ومن الوحش الغزلان والنعام والارنب واما من انواع الطير فكثير كالكركى وغيره واوسط الاسعار فى غالب اوقاتها الاردب القمح بخمسة عشر درهما والشعير بعشرة وبقية المجلوب على هذا الانموذج واما الارز فيبلغ اكثر من ذلك واما اللحم فاقل سعره الرطل بنصف درهم ويعمل بمصر معامل كالتنانير ويعمل بها البيض بضعة ويوقد بنار يحاكى بها نار الطبيعة فى حضانة الدجاجة البيض ويخرج فى تلك المعامل الفراريج وهى معظم دجاجهم وبها ما يستطاب من الالبان والاجبان وبها العسل بمقدار متوسط بين الكثرة والقلة واما السكر فكثير جدا وقيمته المعهودة على الغالب

من السعر الرطل بدرهم ونصف ومنها يجلب السكر الى كثير من البلاد وقد نسي بها ما كان يذكر من سكر
الاهواز وبها الكتان المعدوم المثل المنقول منه ومما يعمل من قماشه الى أقطار الارض ومبانيها بالحجر
واكثرها بالطوب واغلاق النخل والجريد وخشب الصنوبر مجلوب اليهم من بلاد الروم في البحر
ويسمى عندهم الثق وبها المدارس والخوانق والربط والزوايا والعمائر الجليلة الفائقة المعدومة تمثل
المفروشة بالرخام المنقوشة بالاخشاب المدهونة الملمعة بالذهب واللازورد قال
وحاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام الفسطاط وهو بناء عمرو بن العاصي وهي المسماة
عند العامة بمصر العتيقة والقاهرة بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعز وقلعة الجبل بناها
قراقوش الملك الناصر صلاح الدين ابي المظفر يوسف بن ايوب واول من سكنها اخوه العادل
وقد انفصل بعض هذه الثلاثة ببعض بسور بناه قراقوش بها الا انه قد تقطع الآن في بعض
الاماكن وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتاب كتبه الى السلطان صلاح الدين
فقال والله يحيي الموتى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فهما عقيلة ما كان
معصمهما بغير سوار ولا حضرها يحلى بلا منطقة تصار قال وبها المارستان المنصوري المعدوم
النظير لعظم بنائه وكثرة اوقافه وبها البساتين الحسان والمناظر النزهة والآدر المظلة
على البحر وعلى الخلجان الممتدة فيه اوقات مدها وبها القرافة تربة عظمى لمدفن اهلها وبها
العمائر الضخمة وهي من احسن البلاد ابانة وبيعها للغدر الممتدة من مقطعات النيل بها وما
يحفها من زرع اخرجت شطأها وفقت ازهارها وبها من محاسن الاشيا ولطائف الصنائع
ما تكل شهرته ومن الاسلحة والقماش والزركش والمصوغ والكفت وغير ذلك ما يكاد يعجز
تفرد هابه والرماح التي لا يعمل في الدنيا احسن منها انتهى كلام ابن فضل الله وقال الكندي في فضل مصر انها
والبركات فجبلها المقدس ونيلها المبارك وبها الطور الذي كلم الله عليه موسى قال اهل العلم ذكروا ان الطور من
المقطم وانه داخل فيما وقع عليه القدس قال كعب كلم الله موسى عليه السلام من الطور الى اطراف المقطم المقدس
وبها الوادي المقدس وبها التي موسى عصاه وبها فلق البحر لموسى وبها ولد موسى وهارون وبها ولد عيسى وبها كان
ملك يوسف وبها النخلة التي ولدت مريم عيسى تحتها بريف من كورة اهناس وبها البلسة التي
اوضعت عندها مريم عيسى باشمون فخرج من هذه البلسة الزيت وبها مسجد ابراهيم ومسجد
يعقوب ومسجد موسى ومسجد يوسف ومسجد مارية سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفن
اوصت ان يبنى بها مسجد فبنى وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذي قال الله مرج البحرين يلتقيان
بينهما برزخ لا يبغيان وقال وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل
بينهما برزخا وقال غيره لاهل مصر القلم المعروف بقلم الطير وهو قلم البرابي وهو قلم عجيب
الوصف قال ومصر عند الحكما العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه ليس في بلد مخ غريب الا
وفيها مثله واغرب منه وتفضل على البلدان بكثرة عجائبها ومن عجائبها النمس وهو اقتل للثعابين

بمصر

بمصر من القناديل للافاعي بسجستان وبمصر جبل يكتب بحجارته كما يكتب بالمداد وجبل يؤخذ منه الحجر فيترك في الزيت فيقد كما يقد السراج ويقال انه ليس على وجه الارض نبت ولا حجر الا وفي مصر مثله وليس يطلب في سائر الدنيا الأموال المدفونة الا بمصر ويقال ان بمصر بقلة من مسها بيده ثم مس السمك الرعاد لم ترعد يده وبها حجر الخل يطفو على الخل وبها حجر التقيء اذا أمسكه الانسان بيديه تقيأ كلما في بطنه وبها خرزة تحملها المراة على حقوها فلا تحبل وبها حجر يوضع على خرق التنور فيتساقط خبزه وكان يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتقد كالمصابيح ومن عجائبها حوض كان يدلا لات مدن من حجارة * *

السبب في كون أهل مصر لا يحملون الضيم

قال محمد بن الربيع الجيزي سمعت يحيى بن عثمان بن صالح يقول قدم سعد بن أبي وقاص في خلافة عثمان رسولا من قبل عثمان الى اهل مصر أيام ابن ابي حذيفة فلقوه خارجا من الفسطاط ومنعوه من دخولها فقال لهم فلتسمعوا مما اقول لكم فامتنعوا عليه فدعا عليهم ان يضربهم الله بالذل هذا أو معناه قلت وسعد ممن عرف بإجابة الدعوة لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له اللهم استجب له اذا دعاك

في تذكرة الصلاح الصفدي كان الشيخ تاج الدين الغزاري يقول ان الحكماء وأهل التجارب ذكروا ان من أقام ببغداد سنة وجد في عقله زيادة ومن اقام بالموصل سنة وجد في عقله زيادة ومن أقام بحلب سنة وجد في نفسه شجاعة ومن اقام بدمشق سنة وجد في طباعه غلظة وفظاظة ومن أقام بمصر سنة وجد في اخلاقه رقة وحسنا

في مباهج الفكر يروى عن كعب قال لما خلق الله الأشياء قال القتل انا الاحق بالشام قالت الفتنة وانا معك وقال الخصب انا الاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء انا الاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك وقال محمد بن جبيب لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنا والفقر والذل والشقا فقال الايمان انا الاحق باليمن فقال الحيا وأنا معك وقالت النجدة انا الاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا الاحق بالعراق فقال النفاق وانا معك وقال الغنا انا الاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر انا الاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وقال غيره ان الله جعل البركة عشرة اجزاء فتسعة منها في قريش وواحد في سائر الناس وجعل الكرم عشرة اجزاء فتسعة منها في العرب وواحد في سائر الناس وجعل الغيرة عشرة اجزاء فتسعة منها في الاكراد وواحد في سائر الناس وجعل المكر عشرة اجزاء فتسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس وجعل الجفاء عشرة اجزاء فتسعة منها في البربر وواحد في سائر الناس وجعل النجابة عشرة اجزاء فتسعة منها في الروم وواحد في سائر الناس وجعل الصناعة عشرة اجزاء فتسعة منها في الصين

وواحد فى سائر الناس وجعل الشهوة عشرة اجزاء فتسعة منها فى النساء وواحد فى سائر الناس
وجعل العمل عشرة اجزاء فتسعة منها فى الانبياء وواحد فى سائر الناس وجعل الحسد عشرة
اجزاء فتسعة منها فى اليهود وواحد فى سائر الناس ويحكى ان الحجاج سأل ابن القرية عن
طبائع اهل الارض فقال اهل الحجاز أسرع الناس الى فتنة واعجزهم عنها رجالها حفاة ونساؤها
عراة واهل اليمن اهل سمع وطاعة ولزوم الجماعة واهل عمان عرب استنبطوا واهل البحرين
قبط استعربوا واهل اليمامة أهل جفاء واختلاف آراء واهل فارس اهل باس شديد وعز
عتيد واهل العراق ابحث الناس عن صغيره واضيعهم لكبيره واهل الجزيرة اشجع فرسان
واقتل للاقران واهل الشام أطوعهم لمخلوق واعصاهم لخالق واهل مصر عبيد لمن غلب اكيس
الناس صغارا وأجلهم كبارا وعن ابن القرية قال للهند بحر هادر وجبلها ياقوت
وشجرها عود وورقها عطر وكمان ماؤها رمث وثمرها قل ولصها بطل وخراسان ماؤها
جامد وعدوها جاهد وعمان حرها شديد وصيدها عتيد والبحرين كناسة بين المصرين
والبصرة ماؤها طل وحرها ضل مأوى كل تاجر وطريق كل عابر والكوفة ارتفعت عن حر
البحرين وسفلت عن برد الشام وواسطة جنة بين كماة وكنة والشام عروس بين سماجلوس
ومصر هواها راكد وحرها متزائد تطول الاعمار وتسود الاشعار وقال بعضهم
يقال فى خصائص البلاد فى الجواهر فيروزج نيسابور وياقوت سرنديب ولؤلؤ عمان
وزبرجد مصر وعقيق اليمن وجزع ظفار وكاري بلخ ومرجان اوربية وفى ذوات السموم
افاعى سجستان وحيات اصبهان وثعابين مصر وعقارب شهرزور وحوارات الاهواز
وبراغيث ارمينية وفار اردن ونمل ميافارقين وذباب تل باباذ واوزاغ بلد وفى
الملابس برود اليمن ووشى صنعا وربط الشام وقصب مصر وديباج الروم وقز السوس
وحرير الصين وكسية فارس وحلى البحرين وسقلاطون بغداد وعمائم الايلة والرحب
وملحم مرو وتكك ارمينية ومناديل الدامغان وجوارب قزوين وفى المراكب عتاق
البادية ونجائب الحجاز وبراذين طخارستان وحمير مصر وبغال برزعه وفى الامراض
طواعين الشام وطحال البحرين ودمامل الجزيرة وحمى خيبر وجنون حمص وعرق اليمن ووبا
مصر وبرسام العراق والنار الفارسية وقروح بلخ وقال الجاحظ فى كتاب الامصار
الصناعة بالبصرة والفصاحة بالكوفة والتخنيث ببغداد والطرمذة بسمرقند والحي
بالري والجفا بنيسابور والحسن بهراة والمروءة ببلخ والبلح بمرو والعجائب بمصر وقال
غيره قراطيس سمرقند لأهل المشرق كقراطيس مصر لاهل المغرب وقال القاضى الفاضل
اهل مصر على كثرة عددهم ومايتسبب من وفور المال الى بلدهم مساكين يعملون فى البحر ومجاهيد
يذأبون فى البر ومن العجائب شجرة العباس فى دندار من صعيد مصر وهى شجرة متوسطة

واوراقها قصيرة منبسطة فاذا قال الانسان يا شجرة العباس جال الناس تجتمع اوراقها وتحترق لوقتها

ذكر النيل

قال الشيباشي في كتاب بهجة للمذيل لم يسم نهر من الانهار في القرآن سوى النيل في قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم قال اجمع المفسرون على ان المراد باليم هنا نيل مصر * اخرج احمد ومسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النيل وسيحان وجيحان والفرات من انهار الجنة قال ابن عبد الحكم حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن يزيد بن ابي حبيب عن ابي الخير عن كعب الاحبار انه كان يقول اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة اخرجه الحارث في مسنده والخطيب في تاريخه وقال حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن واهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فأمدته الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما اراد الله اوحى الله الى كل ماء ان يرجع الى عنصره * اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره وقال حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية بن ابي سفيان سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى انى لاجده في كتاب الله يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند جريه ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا واخرج الخطيب في تاريخه وابن مردويه في تفسيره والضياء المقدسي في صفة الجنة عن ابن عباس مرفوعا انزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل واستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر من البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى وما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض عدم اهلها خيرها واخرج الحارث بن ابي اسامة في مسنده وابن عبد الحكم في تاريخ مصر والخطيب في تاريخ بغداد والبيهقي في البعث عن كعب الاحبار قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ونهر سيحان نهر الذا في الجنة واخرج البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال غار النيل على عهد فرعون فاتاه اهل مملكته فقالوا ايها الملك اجر

لنا النيل قال انى لم ارض عنكم فذهبوا ثم اتوه فقالوا ايها الملك اجرلنا النيل قال انى لم ارض
عنكم فذهبوا ثم اتوه فقالوا ايها الملك ماتت البهائم وهلكت الابكار لئن لم تجر لنا
النيل لنتخذن لنا غيرك قال اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم حيث لا يرونه ولا
يسمعون كلامه فألصق خده بالارض واشار بالسبابة لله ثم قال اللهم انى خرجت اليك
مخرج العبد الذليل الى سيده وانى اعلم انك تعلم انى اعلم انه لا يقدر على اجرائه احد غيرك فاجره
قال فجرى النيل جريا لم يجر قبله مثله فاتاهم فقال انى قد اجريت لكم النيل فخروا له سجدا
وعرض له جبريل فقال ايها الملك اعدنى على عبدى قال وما قصته قال عبد لى ملكته
على عبيدى وخولته مفاتيحى فعادانى فأحببت من عاديت وعادى من احببت قال بئس العبد
عبدك لو كان لى عليه سبيل لغرقته فى بحر القلزم فقال يا ايها الملك اكتب لى كتابا فدعا
بكتاب ودواة ما جزاء العبد الذى خالف سيده فاحب من عادى وعادى من احب الا ان
يغرق فى بحر القلزم قال يا ايها الملك اختمه لى فختمه ثم دفعه اليه فلما كان يوم البحر اتاه
جبريل بالكتاب فقال خذ هذا ما حكمت به على نفسك

اثر متصل الاسناد فى امر النيل

اخبرنى ابو الطيب الانصارى اجازة عن الحافظ ابى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى
عن ابى الفتح محمد بن محمد الميدومى اخبرتنا امة الحق شامية بنت الحافظ صدر الدين الحسن
ابن محمد بن محمد سماعا اخبرنا ابو حفص عمر بن طبرزد سماعا اخبرنا ابو القاسم اسمعيل بن
احمد السمرقندى وغيره سماعا قالوا اخبرنا ابو الحسين احمد بن محمد بن النقور سماعا
اخبرنا ابو طاهر محمد بن عبد الرحيم المخلص سماعا اخبرنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن عيسى
المتكرى حدثنا ابو اسماعيل محمد بن اسماعيل الترمذى وابو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن
الحافظ الانماطى قالا حدثنا ابو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث قال حدثنى
الليث بن سعد قال بلغنى انه كان رجل من بنى العيص يقال له حائد بن ابى شأل ومن بنى العيص بن
اسحاق بن ابراهيم عليه السلام خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتى دخل ارض مصر فاقام
بها سنين فلما رأى اعاجيب نيلها وما يأتى به جعل لله تعالى عليه ان لا يفارق ساحلها حتى
يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج او يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة
فى الناس وثلاثين فى غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا وخمسة عشر كذا حتى انتهى
الى بحر أخضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلى تحت شجرة
من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من انت
قال انا حائد بن ابى شأل ومن بنى العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام فمن انت قال انا
عمران بن فلان بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم قال فما الذى جاء بك الى هنا يا عمران

قال لجابي الذي جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فأوحى الله الي ان اقف في هذا الموضع حتى يأتيني
امره قال له حائد اخبرني يا عمران ما انتهى اليك من امر هذا النيل وهل بلغك في الكتب ان احدا من
بني آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغني ان رجلا من بني العبيص يبلغه ولا اظنه غيرك يا حائد قال له
حائد يا عمران اخبرني كيف الطريق اليه قال له عمران لست اخبرك بشيء الا ان تجعل لي ما اسالك
قال وما ذاك يا عمران قال اذا رجعت الي وأتاحي اقمت عندي حتى يوحي الله تعالى الي بامره او
يتوفاني فتدفني فاذا وجدتني ميتا دفنتني وذهبت قال ذلك لك علي قال له سر كما انت على هذا
البحر فانك تأتي دابة ترى آخرها ولا ترى اولها فلا يهولنك امرها اركبها فانها دابة معادية
للشمس اذا طلعت اهوت اليها لتلتقمها حتى يحول بينها وبينها بحجتها واذا غربت اهوت
اليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهي الى النيل فسر عليه فانك
ستبلغ ارضا من حديد جبالها واشجارها وسهولها من حديد فاذا انت جزتها وقعت في ارض
من نحاس جبالها واشجارها وسهولها من نحاس فاذا انت جزتها وقعت في ارض من فضة جبالها
واشجارها وسهولها من فضة فاذا انت جزتها وقعت في ارض من ذهب جبالها واشجارها
وسهولها من ذهب فيها ينتهي اليك علم النيل فسار حتى انتهى الى ارض الذهب فسار فيها حتى انتهى
الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبة من ذهب لها اربعة ابواب فنظر الى ما يخرج من فوق ذلك
السور حتى يستقر في القبة ثم ينصرف في الابواب الاربعة فاما ثلاثة فتغيض في الارض واما
واحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح واهوى الى السور ليصعد فاتاه ملك
فقال له يا حائد قف مكانك فقد انتهى اليك علم هذا النيل وهذه الجنة وانما ينزل من الجنة فقال
اريد ان انظر الى الجنة فقال انك لن تستطيع دخولها اليوم يا حائد قال فأي شيء هذا الذي اراى
قال هذا الفلك الذي تدور فيه الشمس والقمر وهو شبيه الرحا قال اني اريد ان اركبه فادور
فيه فقال بعض العلماء انه قد ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال له يا حائد انه سيأتيك
من الجنة رزق فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا فانه لا ينبغي لشيء من الجنة ان يؤثر عليه شيء من الدنيا
ان لم تؤثر عليه شيئا من الدنيا بقي ما بقيت قال فبينما هو كذلك واقف اذ نزل عليه عنقود من
عنب فيه ثلاثة اصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون كاللؤلؤ الابيض
ثم قال له يا حائد اما ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها فارجع يا حائد فقد انتهى
اليك علم النيل فقال هذه الثلاثة التي تغيض في الارض ما هي قال احدها الفرات والآخر دجلة
والآخر جيحان فارجع فرجع حتى انتهى الى الدابة التي ركبها فركبها فلما اهوت الشمس لتغرب فذهبت
به من جانب البحر فاقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتا فدفنه واقام على قبره ثلاثا فاقبل شيخ
متشبه بالناس اغبر من السجود ثم اقبل الى حائد فسلم عليه ثم قال له يا حائد ما انتهى اليك من
علم هذا النيل فاخبره فلما اخبره قال له هكذا نجده في الكتب ثم طرى ذلك التفاح في عينيه

وقال الا تاكل منه قال معي رزقي قد اعطيته من الجنة ونهيت ان اوثر عليه شيا من الدنيا قال له صدقت
يا حائد هل ينبغي لشئ من الجنة ان يؤثر بشئ من الدنيا وهل رايت في الدنيا مثل هذا التفاح انما انبتت له
في الارض ليست من الدنيا وانما هذه الشجرة من الجنة اخرجها الله لعمران ياكل منها وما تركها الا لك
ولو قد وليت عنها رفعت فلم يزل يطريها في عينيه حتى اخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها عض
يده ثم قال اتعرفه هو الذي اخرج ابالك من الجنة اما انك لو سلمت بهذا الذي كان معك لاكل منه
اهل الدنيا قبل ان ينفدوه ومجهودك ان تبلغه فكان مجهوده ان بلغه واقبل حائد حتى دخل ارض مصر
فاخبرهم بهذا فمات حائد بارض مصر وبهذا الاسناد الى عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة
عن وهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتي هذا النيل من اوله الى آخره في الشقين جميعا من اسوان الى
رشيد وكان له سبعة نجل خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج
الفيوم وخليج النهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ ويزرع ما بين الجبلين كله من اول
مصر الى آخرها ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا وبهذا
الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خليجها واقامة جسورها
وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة الف وعشرين الف فاعل معهم الطور والمساحي والاداة
يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا وذكر بعض الاخباريين ان حائدا هذا لم
يمت بتا وانما اوقى الحكمة وانه سال الله ان يريه منتهى النيل فاعطي قوة على ذلك فوصل الى جبل
القمر وقصد ان يطلع الى اعلاه فلم يقدر فسال الله فيسره عليه فصعد فراى خلفه البحر الزفتي
وهو بحر اسود منتن الريح مظلم فراى النيل يجري في وسطه كانه التسبيكة الفضة وقال
صاحب مباهج الفكر ذكر ابو الفرج قدامة ان مجموع ما في المعمور من الانهار ماءتان وثمانية
وعشرون نهرا منها ما يجري من المشرق الى المغرب ومنها ما يجري من الشمال الى الجنوب ومنها
ما جرى انه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات
وجيحون فاما النيل فذكر قدامة ان ابتعاثه من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجري
منها عشرة انهار كل خمسة منها يصب الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج
نهر النيل وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بجيرة
كوري منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين ياكلون من وقع اليهم من
الناس فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كوري ثم بلاد نبتة طائفة من السودان بين كاتم
والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها الى المغرب واخذ الى الاقليم
الثاني فيكون على شطئه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى
ثم يشرف الى الجنادل وليها تنتهي مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الا على صعود

وهناك احجار مضرسة لا مرور للمركب عليها الا في ايان زيادة النيل ثم ياخذ الى الشمال فيكون على
شرقيه مدينة اسوان من الصعيد الأعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لاعمال مصر شرقي وغربي
الى الفسطاط فاذا تجاوزهما مسافة يوم انقسم قسمين احدهما يمر حتى يصب في بحر الروم عند
رشيد ويسمى بحر الغرب ومسافة النيل من منبعه الى ان يصب في رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية
واربعون فرسخا وقيل انه يجري في الخراب اربعة أشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام
شهرا وليس في الارض نهر يزيد حتى تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون في القيظ الشديد
في شمس السرطان والاسد والسنبلة وروي ان الانهار تمده بمائها وقال قوم ان زيادته من ثلوج
يذيبها الصيف وعلى حسب مدها تكون كثرته وقلته وذهب آخرون الى ان زيادته بسبب امطار
كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته عن اختلاف الريح وذلك ان الشمال اذا
هبت عاصفة يهيج البحر الرومي فيدفع اليه ما فيه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب
سكن هيجان البحر فيسترجع منه ما دفع اليه فينقص وزعم آخرون ان زيادته من عيون على
شاطئه يراها من سافر وحتى باعاليه وقال آخرون ان مجراه من جبال القمر وهي جبل قاف وانه
يخرق البحر الاخضر ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله الى
ان يأتي الى بحيرة الزنج قالوا ولولا دخوله في البحر الملح وما يختلط به منه لم يستطع شربه لشدة
حلاوته وزيادته بتدريج وترتيب في زمان مخصوص ومدة معلومة وكذا نقصه ومنتهى
زيادته التي يحصل بها الري لارض مصر ستة عشر ذراعا والذراع اربعة وعشرون اصبعا
فان زاد على الستة عشر ذراعا اصبعا واحدا ازداد في الخراج مائة الف دينار لما يروى من
الاراضي العالية والغاية القصوى في الزيادة ثمانية عشر ذراعا هذا في مقياس مصر فاذا
انتهى فيه الى ذلك كان في الصعيد الاعلى اثنين وعشرين ذراعا لارتفاع البقاع التي يمر عليها
ويسوق الري اليها فاذا انتهت زيادته فتحت خلجانات وترع فيخرق الماء فيها يمينا وشمالا
الى البعيدة عن مجرى النيل حكمة دبرت بالعقول السليمة وقدرت ومنافع مهدت في الزمن
القديم وقررت والنيل ثمان خلجانات خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج منف وخليج
المنهى حفره يوسف عليه السلام وخليج اشمون طناح وخليج سردوس حفره هامان لفرعون
وخليج سخا وخليج حفره عمرو بن العاص زمن عمر بن الخطاب ويحصل لاهل مصر يوم وفاء الستة
عشر ذراعا التي هي قانون الري سرور شديد بحيث يركب الملك في خواصه وحاشيته الحراريق المزينة
الى المقياس ويعد فيه سماطا ويخلق العمود الذي يقاس فيه ويخلع على القياس ويعطيه صلة
مقررة له وقد ذكر بعض المفسرين انه يوم الزينة الذي وعد فرعون موسى بالاجتماع فيه هذا
كله كلام مباهج الفكر وقد اختلف في ضبط جبل القمر فقيل انه بفتح القاف والميم بلفظ احد
النيرين قال التيفاشي وانما سمي بذلك لان العين تقمر منه اذا نظرت اليه لشدة بياضه قال

ولذلك أيضا سمي القمر قمرا قال وهذا الجبل مستطيل من المشرق الى المغرب نهايته في ناحية المغرب
الى حد الخراب ونهايته في المشرق الى مثل ذلك وهو نفسه بجملته في الخراب من ناحية الجنوب وله اعراق
في الهوا منها طوال ومنها دونها قال في مختصر المسالك وذكر بعضهم انا ناسا انتهوا الى هذا الجبل وصعدوه
فرأوا وراءه بحرا عجاجا ماؤه أسود كالليل يشقه نهر أبيض كالنهار يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من
شماله ويتشعب على قبة مرمس المبنية هناك وزعموا انه مرمس الهرامسة وهو الذي بنى عليه السلام
فيما يقال بلغ ذلك الموضع وبنى فيه قبة وذكر بعضهم ان اناسا صعدوا الجبل فصار الواحد منهم
يضحك ويصفق بيديه وهو يشتاق نفسه الى ما وراء الجبل فخاف البقية ان يصيبهم مثل ذلك فرجعوا
وقيل ان اولئك انما راوا بحر الباهت وهي احجار براقة كالفضة البيضا تملأ كل من نظر اليها ضحكا
والتصق بها الحيوت وتسمى مغناطيس الناس وذكر بعضهم ان ملكا من ملوك مصر الاول جهز اناسا للوقوف على اول النيل فانتهوا
الى جبال من نحاس فلما طلعت عليها الشمس انعكست عليهم الاشعة الواقعة عليها فاحرقتهم وقيل انهم انتهوا الى جبال
براقة تلمع كالبلور فلما انعكست عليهم اشعة الشمس الواقعة عليها احرقتهم وقال صاحب مرآة الزمان ذكر احمد بن يحيى بن راشد العيص
التي هي اصل النيل هي اول العيون من جبل القمر ثم نبعت منها عشرة انهار نيل مصر أحدها قال
والنيل يقطع الاقليم الاول ثم يجاوزه الى الثاني ومن ابتدائه من جبل القمر الى انتهائه الى البحر الرومي
ثلاثة آلاف فرسخ ويبتدي بالزيادة في نصف حزيران وينتهي الى ايلول قال واختلفوا في سبب
زيادته فقال قوم لا يعلم ذلك الا الله وقال آخرون سببه زيادة عيونه وقال آخرون وهو الظاهر
سببه كثرة المطر والسيول ببلاد الحبش والنوبة وانما يتاخر وصوله الى الصعيد لبعد المسافة
ورد ذلك قوم بان عيونه التي تحت جبل القمر تتكدر في ايام زيادته فدل على انه فعل الله من غير زيادة
بالمطر قال وجميع الانهار تجري الى القبلة سواه فانه يجري الى ناحية الشمال وكذا المقاسي
بجاه قال وهي بلغ ستة عشر ذراعا استحق السلطان الخراج واذا بلغ ثمانية عشر ذراعا قالوا
يحدث بمصر وبا عظيم واذا بلغ عشرين ذراعا مات ملك مصر وقال ابن المتوج من عجائب مصر
النيل الذي يأتي من غامض علم الله في زمن القيظ فيعم البلاد سهلا ووعرا بعث الله في ايام
مده الريح الشمال فيصد له البحر المالح ويصيره له كالجسر ويزيد واذا بلغ الحد الذي هو تمام
الري واوان الزراعة بعث الله بالريح الجنوب فكنسته واخرجته الى البحر المالح وانتفع الناس بالزراعة
ومن عجائب هذا النيل سمكة تسمى الرعاد من مسها بيده او بعود متصل بيده او جزء شبكة
هي فيها او قصبة او سنارة وقعت فيها رعدت يده ما دامت فيها ويصير بقلة من مسها بيده
ثم مس الرعاد لم ترعد وفي النيل خيل تظهر في بلاد النوبة ويصيدونها وفي سمنهن اشفا من
وجع المعدة وقال الشيخ ما شي سبب زيادة النيل هبوب ريح يسمى الملش وذلك لسببين احدهما
انها تحمل السحاب المطر خلف خط الاستوا فتمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة والآخر
انها تاتي في وجه البحر المالح فيقف ماؤه في وجه النيل فيتراجع حتى يروي البلاد وفي ذلك يقول الشاعر

١ شفع

اشفع فللشافع اعلا يدي * عندي واسنى من يد المحسن * والنيل ذو فضل ولكنه * الشكر في ذلك للمتن

وقال صاحب سبج المذيل ذكر جماعة من المنجمين وارباب الهيئة ان النيل يجيء من خلف خط الاستواء احدى عشر درجة ونصف ويأخذ نحو الجنوب الى ان ينتهي الى مياط والاسكندرية وغيرهما عند عرض ثلاثين في الشمال قالوا فمن بدايته الى نهايته اثنان واربعون درجة كل درجة ستون ميلا وثلث بالتقريب فيكون طوله من الموضع الذي يبتدئ منه الى الموضع الذي منه الى البحر الملح ثمانية الف ميل وستمائة واربعة عشر ميلا وثلثا ميل على القصد والاستواء وله تعريجات شرقا وغربا يطول بها ويزيد على ما ذكرناه ونقلت من خط الشيخ عز الدين ابن جماعة من كتاب له في الطب قال منبع النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف وامتداد هذا الجبل خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة يخرج منه عشرة انهار من أعين فيه ترمي كل خمسة الى بحيرة عظيمة مدورة بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة والبعد عن خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثين دقيقة وهما تان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة خمس درج ويخرج من كل واحدة اربعة انهار ترمي الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب ثلاثة وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول وقطرها درجتان ومصب كل واحد من الانهار الثمانية في هذه البحيرة غير مصب الآخر ثم يخرج من هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة ويصب اليه نهر آخر يبتدأ من غير مركزها على خط الاستواء في بحيرة كبيرة مستديرة قطرها ثلاثة درج وبعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب احدى وسبعون درجة فاذا تعدى النيل مدينة مصر الى مدينة يقال لها شطنوف تفرق هناك الى نهرين يرميان الى البحر الملح احدهما يعرف ببحر رشيد والآخر بحر مياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة تفرع منه نهر يعرف ببحر أشموم يرمي الى بحيرة هناك وباقيه يرمي الى البحر الملح عند مياط وهذه صورة ذلك

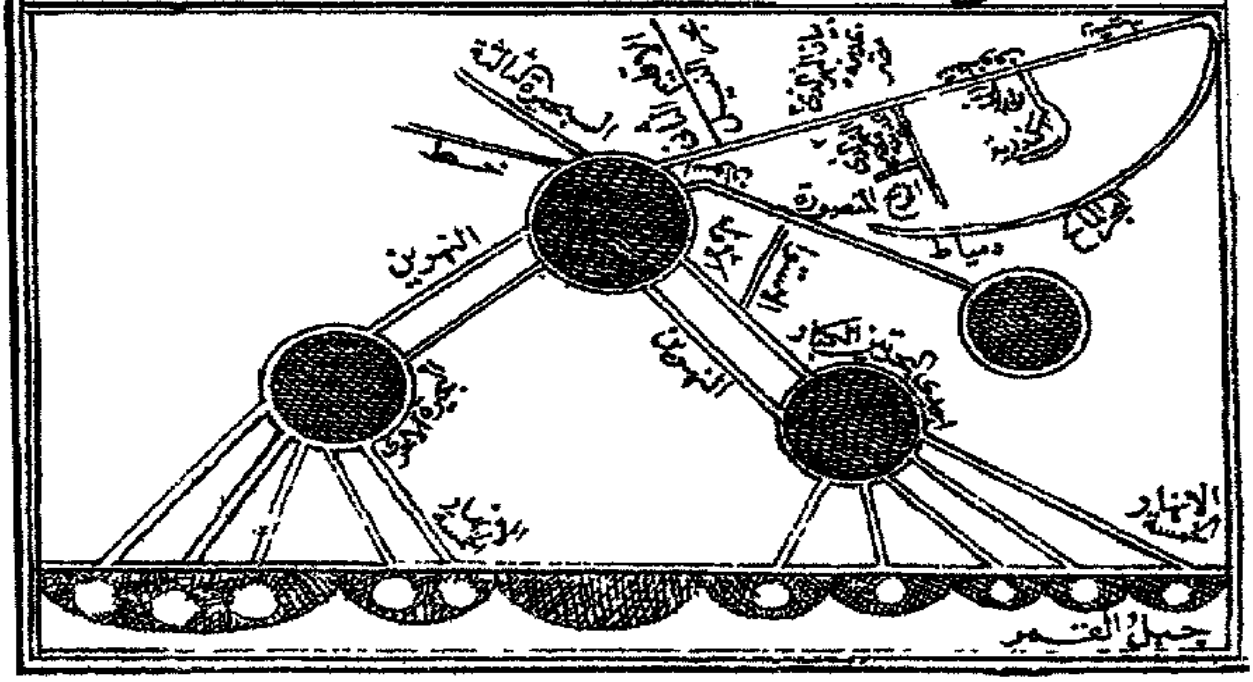

وذكروا بما حظ في كتاب الامصار أن مخرج نهر السند والنيل من موضع واحد واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون التمساح فيهما وان سبيل ذراعتهم في البلدين واحد وقال المسبحي في تاريخ مصر في بلاد تكنه أمة من السودان ارضهم تنبت الذهب يفترق النيل فيصير نهرين احدهما ابيض وهو نيل مصر والآخر أخضر ياخذ الى المشرق فيقطع البحر الملح الى بلاد السند وهو نهر ميران قال ابن عبد الحكم حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى اهلها اليه حين دخل بؤونة من اشهر العجم فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سُنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤونة وابيب ومسرى لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء فلما راى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها في داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فالقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم مصلحتهم فيها إلا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعاً وقد ذالت تلك السُنة السوء عن اهل مصر حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى اراد والجلاء حتى طلبوا الى موسى ان يدعو الله ورجاء ان يؤمنوا فدعا الله فاصبحوا وقد اجراه الله في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

ذكر مزايا النيل

قال التيفاشي اتفق العلماء على ان النيل اشرف الانهار في الارض لاسباب منها عموم نفعه ظنه لا يعلم نهر من الانهار في جميع الارض المعمورة يسقى ما يسقيه كنيل ومنها الاكتفاء بسقيه فانه يزرع عليه بعد نضوبه ثم لا يسقى الزرع حتى يبلغ منتهاه ولا يعلم ذلك في نهر سواه ومنها ان مائه اصح المياه واعدلها واعذبها وافضلها ومنها مخالفته لجميع انهار الارض في خصال هي منافع فيه ومضار في غيره ومنها انه يزيد عند نقص سائر المياه وينقص عند زيادتها وذلك أن الماء اليه ومنها انه يأتي ارض مصر في اوان اشتداد الحر ويبس الهواء وجفاف الارض فيبل الارض ويرطب الهواء ويعدل الفصل تعديلاً زائداً ومنها ان كل نهر من الانهار العظام وان كان فيه منافع فلابد أن يتبعها مضار في اوان طغيانه بافساد ما يليه ونقص ما يجاوره والنيل موزون على مقدار

مصر بوزن معلوم وتقدير مرسوم لا يزيد عليه ولا يخرج عن حده ذلك تقدير العزيز العليم ومنها ان
المعهود في سائر الأنهار أن يأتي من جهة المشرق الى المغرب وهو يأتي من جهة المغرب الى الشمال فيكون
فعل الشمس فيه دائما وأثرها في اصلاحه متصلا ملازما وفي ذلك يقول الشاعر *

مصر ومصر ماؤها عجيب ونهرها يجري به الجنوب

ومنها ان كل الانهار يوقف على منبعه وأصله والنيل لا يوقف له على اصل منبع وليس في الدنيا نهر
يصب في بحر الصين والروم غيره وليس في الدنيا نهر يزيد ثم يقف ثم ينقص ثم ينضب على الترتيب
والتدريج غيره وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجبى من خراج غلة زرعه
ما يجبى من خراج غلة زرع النيل وقال صاحب مباهج الفكر النيل اخف المياه واحلاها
وأرواها وأثراها وأعمها نفعا واكثرها خراجا يحكى انه جبي في ايام كفاور احد ملوك القبط
الاول مائة الف الف وثلاثون الف دينار وجباه عزيز مصر مائة الف الف دينار وجباه عمرو
ابن العاصي اثني عشر الف الف دينار وجباه عبد الله بن ابي سرح اربعة عشر الف الف دينار
ثم زال الى ان جبي ايام جوهر القائد ثلاثة آلاف الف ومائتي الف دينار وسبب تقهقره
ان الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في الرجال الموكلين لحفر خلجه واصلاح جسوره
ورم قناطره وسد ترعه وقطع القضب وازالة الحلفا وكانوا مائة الف وعشرين الف رجل
مرتبين على كور مصر سبعين الفا للصعيد وخمسين الفا لأسفل الارض ويحكى انها مسحت
ايام هشام بن عبد الملك فكان ما يركبه الماء مائة الف الف فدان والفدان اربعمائة قصبة
والقصبة عشرة اذرع واما احمد بن المدبر فانه اعتبر ما يصلح للزرع بمصر في وقت ولايته
فوجده اربعة وعشرين الف الف فدانا والباقي قد اشتجر وتلف واعتبر مدة المرث فوجدها
ستين يوما والحراث الواحد يحرث خمسين فدانا فكانت محتاجة الى اربعمائة الف واربعين
الف حراثا وقال صاحب مرآة الزمان ذكر أحمد بن نجتيار ان في النيل عجائب منها التمساح
ولا يوجد الا فيه ويسمى في مصر التمساح وفي بلاد النوبة الورل ووراء النوبة الشوشار
قال والتمساح لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دودا فاذا آذاه خرج الى البرية فينقض
عليه طائر فيأكل ما بين اسنانه وما يظهر من الدود ومما يطبق عليه التمساح فيبلعه وذكر
ابن حوقل ان بنيل مصر اماكن لا يضر التمساح فيها كعدوة بوصير والفسطاط قال وفي النيل
التسقنقور ويكون عند اسوان وفي حدودها وقيل انه من نسل التمساح اذا وضعه خارج الماء
فاذا قصد الماء صار تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا وله قضيبان كالضب وفيه السمك
الرعاد اذا وقع في شبكة الصياد لا يزال ترتعد يداه ورجلاه حتى يلقيها او يموت وهي نحو
الذراع وفيه سمكة على صورة الفرس والمكان الذي يكون فيه لا يقربه التمساح وفيه شيخ البحر
سمكة على صورة آدمي وله لحية طويلة ويكون بناحية دمياط وهو مشؤوم فاذا رؤي في مكان

دل على القحط والموت والفتن ويقال إذا دمياط ما تنكب حتى يظهر عندها * * * * *

ذكر ما قيل في النيل من الأشعار

قال التيفاشي قد ذكرت العرب النيل في اشعارها وضربت به الامثال قال قيس بن معدي كرب فيما اورده الجاحظ في كتاب الامصار *

ما النيل اصبح زاخرا ممدوده ... وجرت له ريح الصبا فجرى بها

قال بعضهم

واها لهذا النيل اى عجيبة ... بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم ... حتى اذا ما مل عاد يودع
يتنقل مثل الهلال فدهره ... ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

ظافر الحداد

والنيل مثل عمامة ... شرب محشاة باخضر
والجسر فيها كالطراز ... وموجه رقم مصور
تفريكه ما در جته ... له الرياح اين التسكر

وقال يصف افتراقه عند راس الروضة

لله يوم أنالنا النيل ... لحسنه جملة وتفصيل
في منظر مشرف على خضر ... كانه في الظلام قنديل
يبدى لنا جانبا جزيرته ... اشياءها للعيون تاميل
ورقمه جسره وتفريكه الموج ... وفي نكتة الخليج تجميل

ابن السلعاتي

ولما توسطنا على النيل غدوة ... ظننت وقلت اليوم بالله ملدن
عشارية انشا لها الماء مقلة ... وليس لها الا المجاذيف اجفان

محيي الدين بن عبد الظاهر

نيل مصر لمن تأمل مرآى ... حسنه معجز وبالحسن معجب
كم بر شاب فودها وعجيب ... كيف شابت بالنيل والنيل يخضب

وقال

كم قطع الطرق نيل مصر ... حتى لقد خافه السبيل
بالسيف والرمح من غدير ... ومن قناة لها نصول

ابن نباته

زادت اصابع نيلنا ... وطفت وطافت في البلاد

وأتت بكل مسرة ماذى اصابع ذى ايادى

التصير الحماى

اذ عجل النيروز قبل الوفا عجل للعالم صنع القفا
فقد كفى من معهم ما جرى وما جرى من نيلهم ما كفى

ناصر الدين حسن بن التنبيب

كأن النيل ذو فهم ولب لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه ويمضى حين يستغنون عنه

آخر

النيل قال وقوله اذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب العلا عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا قلعتها يا اصابعى

شمس الدين بن دانيال الحكيم

كأنما النيل الخضم اذ بدا يروى حديثا وهو ذو تسلسل
لما رأى الارض الشقيقه ضمخها عمائه المصندل

آخر

يا نيل اجر على حسن العوائد فى ارجا مصرك واجبر كل مرتزق
واعلم بانك مصر فلتسر فلتسر حلو الفكاهة مالم تات بالملق

خليل بن الكفتى

مولاى ان البحر لما زرته حياك وهو اخو الوفا بالاصبع
فانظر لبسطته وفيض كفه هى مشتهاه وروضة المتمتع
ارخى عليه الستر لما جئته خجلا ومد تضرعا بالاذرع

آخر

سد الخليج بكسره جر الورى طرا فكل قد غدا مسرورا
الماء سلطان فكيف توانت عنه البشائر اذ غدا مكسورا

* شمس الدين سبط الملك الحافظ

لله در الخليج ان له تفضلا لا نزال نشكره
حسبك منه بان عادته يجبر من لا يزال يكسره

الصلاح الصفدى

رايت فى ارض مصر مذ حللت بها عجائبا ما رآها الناس فى جيل

تسود في عيني الدنيا فلم ارها ... تبيض الا اذا ما كنت في النيل

وقال

ركبت في النيل يوما مع اخي ادب ... فقال دعني من قال ومن قيل
شرحت يا بحر صدري اليوم قلت له ... لاشكر الشرح يا مخوض النيل

وقال

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هذا عجيب في بلادكم ... ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال

قد زاد هذا النيل في عامنا ... فاغرق الارض بإنعامه
وكاد أن يعطف من مائه ... عُرَى على ازرار اهرامه

تميم بن المعز العبيدي

يوم لنا بالنيل مختصرٌ ... ولكل يوم لذاذة قِصَرُ
والسفن تجري كالخيول بنا ... صعدا وجيش الماء مُنحدر
فكانما امواجه عُكَنٌ ... وكأنما اداته سُرَرُ

آخر

مد النيل الغشاط فالبر بحرٌ ... زاخر فيه النضد تعوم
فكان الارضين منه سما ... وكان الضياع فيها نجوم

ظافر

ولله مجرى النيل فيها اذا الصبا ... اثارت به في سيرها عسكرا يجري
فشطٌ يهز التمهرية ذبلا ... ونهر يهز البيض هندية بترا
اذا امتد حاكى الورد غضا واصفا ... حكى ماؤه لونا ولم يعده بسرا

ايدمر التركي

كيمياء النيل خالصة ... قد اتت شانه بالعجب
كاد مهما من ذوب اللجين فقد ... عاد بالتبر من ذهب
راقص بالحسن مبتهج ... فهو في عجب وفي طرب
ومغاني مصر تسمعه ... نغمة الشادي بلا صخب
ونسيم الريح لاعبة ... في خلال الروض بالقضب

ابراهيم بن عبدون الكاتب

والنيل بين الجانبين كانما ... صبت بصفحته صفيحة صيقل

يأتيك من كدر الزواجر مده ... بمسك من مائه ومصندل
فكان ضوء البدر في تمويجه ... برق يموج في سحاب مسبل
وكان نور السرج من جنباته ... زهر الكواكب تحت ليل الليل
مثل الرياض مصنفا انوارها ... يبدو لعين مشبه وممثل

آخر

ارى ابدا كثيرا من قليل ... وبدرا في الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء ... بمصر مشبه بخليج مال
زيادة اصبع في كل مد ... زيادة إذرع في كل حال

الامير تميم بن المعز

انظر الى النيل في مده ... بموج يزيد ولا ينقص
كان معاطف امواجه ... معاطف جارية ترقص

ايدمر التركي

انظر الى النيل السعيد المقبل ... والماء في انهاره كالسلسل
اضحى يريك الحسن بين مورد ... من لونه حينا وبين مصندل
ويمر في قيد الرياح مسلسلا ... يا حسنه من طلق ومسلسل
وترى ذوارقه على امواجه ... منسوبة للناظر المتأمل
مثل العقارب فوق حيات غدت ... يسعى بها في عدوها ما يأتلي
وكأنما اسماكه من فضة ... من جمد ذائب مائه من اول

بعضهم

اتطلب من زمانك ذا وفاء ... وتأمل ذاك جهلا من بنيه
لقد عدم الوفاء بر وافى ... لا عجب من وفاء النيل فيه

ومن كلام القاضي الفاضل في وصف النيل * النيل المصري الذي يكسو الغضاء ثوبا فضيا * ويدلي من الارض ماؤه سراجا من النور مضيا * ويتدافع تياره واقفا في صدر الجذب بيد المغصب ويرضع امهات خلجه الزارع فيأتي ابناؤها بالعصف والأبب * وقال فيه ايضا واما النيل فقد امتدت اصابعه * وتكسرت بالموج اضالعه * ولا يعرف الآن قاطع طريق سواه * ولا من يرجى ويخاف الا اياه * وقال ايضا واما النيل المبارك فقد ملأ البقاع * واستقل من الاصبع الى الذراع * فكأنما غار على الأرض فغطاها * وأغار عليها فاستعبدها وتخطاها * ومن كتاب التنبيه الجليل فيما جرى من النيل واما البحر الذي بني عليه عنوان هذه العبودية فلا تسأل عما جرى منه * وما نقلت الرواة من العجائب عنه * وذلك انه عم في اول قدومه بالنفع البلاد

وساوى بين بطون الاودية وظهورها الوهاد * وقدم المفرد مبشرا بوفاته في جمع لا نظير له في الاحاد
واحمرت على من طلب الفلا عيونه * وتكفل للعسر باذيوفي بعد وفاء ديونه * ونزل السعر حين
اخذ منه طالع الارتفاع * واحرق بالقرى فاصبح كانه سماوات كواكبها الضياع * فلم يكن
بعد ذلك الا كملح البصر او هو اقرب * حتى عسل في شوارع مصر كما عسل الطريق الثعلب *
وجاس خلال ديارها فاصبح على ذراتها المبثوثة بسطه * واحاط بالمقياس احاطة الدائرة
بالنقطة * ثم علت امواجه واشتد اضطرابه * وكاد يمتزج بنهر المجرة الذي لغمام زبده
والنجوم حبابه * وشرق حتى ليس للشرق مشرق * وغرب حتى ليس للغرب مغرب الى اذ قال
أتاديرالطين فقد ليتس سقوف حيطانه * واقتلع اشجار غيطانه * واتى على ما فيه من حاصل وغلة
وترك ملقة فكان كما قيل زاد الطين بلة * واما الجيزة فقد طغى الماء على قناطرها وتجسر *
ووقع بها القصب من قامته حين علا عليه الماء وتكسر * فاصبح بعد اخضرار يزينه شاب
الاهاب ناصل الخضاب * غارقا في قعر بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
وقطع طريق زاويتها على من بها من المنقطعين والفقرا وترك الطالع كالصالح يمشي على الماء
فتناد وا مصبحين * الا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وادركهم الغرق فأيسوا من الخلاص *
وغشيهم من اليم ما غشيهم فنادوا ولات حين مناص * وخر عليهم السقف من فوقهم
فانهدت قواهم * واستغاثوا من كثرة الماء بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم *
واما الروضة فقد احاط بها احاطة الكمام بزهره * والكاس بحبابه بحمره *

فكانها فيه بساط اخضر وكانه فيها طراز مذهب

فكم بها من مثلم ومجد * ومسافر ما حصل له من المقيم المقعد * وحاك لجيج حول قوله بعير *
وجعل من غزل الليل من غيطه على اجيره يحل ويسير * وبخم وصل الماء من منزله الى العتبة فخاضه
فاصبح في ناخس تقويم * ودخل الى بيت امراته فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم * فاصبح
في الطريق وعليه كآبة وصفرة * ودموعه في المحاجر كالحصى لها اجتماع وحمرة * وشاعر
اوقفه في الضرورة بحره المديد * واشتغل بهدم داره عن بيت القصيد * وعرضي صناقت
عليه الدائرة فقال هذه الفاصلة * وقلع من عروض بيته وتدا ازعج بقلعه مفاصله * ونحوي
اشتغل عن زيد وعمرو بسيل كتبه * وذهل حين استوى الماء الخشبة عن المفعول معه والمفعول به
وطار عقله لاسيما عن تصانيف ابن عصفور * واخبر أن البحر واثاث بيته جارور ومجرور *
واما الجزيرة الوسطى فقد افسد جل ثمارها * واتى على مقاتيها فلم يدع شيا من رديها وخيارها *
والحق موجودها بالمعدوم * وتلا على الكروري سنسيمه على الخرطوم * واخلق ديباج روضها
الانف وترك قلقاسها بعده وزجره على شفا جرف * واما المنشاة فقد اصبحت للبحر مقرة *
بعد ان كانت للعيون قرة * وقيل لمنشيها انى يحيي هذه الله بعد موتها فقال يحييها الذي انشاها

أول مرة * ومال على ما فيها من شون الغلات كل الميل * وتركها تتلو بعضها الذي شقتاه مصراعي الباب يا ايا ما تمنع منا الكيل * واما بولاق فقد أصبحت صعيدا زلقا من المرق * وقامت قيامة المارين حين التفت الساق بالساق من الزلق * فكم اقتلع بها شجرة لبث رؤسها * وترك سائر تنوح على اخيها التي اصبحت خاوية على عروشها * واما الخليج الحاكمي فقد خرج عسكر موجه بعد الكسر على حمية * ومرق من قسي قناطره كالسهم من الرمية * وتواضع حين قبل بحارة ذويلة عتاب غرفها العالية * وترك السقايين في حالة البحر من ضعفها صريع الدلا وحماد الراوية * فاصبحوا من الكساد وقد سئموا الاقامة * قائلين في شوارع مصر يا الله السلامة *

ذكر البشارة بوفاء النيل

جرت العادة كل سنة اذا وفى النيل اذ يرسل السلطان بشيرا بذلك إلى البلاد لتطمئن قلوب العباد وهذه عادة قديمة ولم يزل كتاب الانشا ينشئون في ذلك الرسائل البليغة فمن انشاء القاضي الفاضل في وفاء النيل عن السلطان صلاح الدين بايوب نعم الله سبحانه وتعالى من اصنافها بزوغا واخفاها سيوغا واضفاها ينبوعا واسناها مسفوعا وامدها بحر مواهب واخصبها حسن عواقب النعمة بالنيل المصري الذي يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويحيي النبات بحره ويحمي مطلعه الحيوان ويجبي ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوي حريرها وينشر مواتها * ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها اقواتها * وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاشفر وجه الارض وان كان تنصبا * وامن يوم يسراه من كان خائفا يترقب * ورأينا الابانة عن لطائف الله التي خفقت الظنون ووفت بالرزق المضمون * ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * وقد اعلمناك لتستوفي حقه من الاذاعة وتبعده من الاضاعة وتتصرف على ما تصرفك من الطاعة * وتشهر ما اورده البشير من اليشرى يا بانته * وتمده يا يصال رسمه مهنا على عادته وكتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر عن السلطان الى نائب السلطنة يجلب بشارة بوفاء النيل أعز الله انصار المقر وسره بكل مبهجه * وهناه بكل مقدمة سرور تغدو للخصب والبركة منتجه * وبكل نعمى لا تصيح لمنة السحاب محوجة وبكل رحمى لا يستعد لايامها اليابسة ولا للياليها المثلجه * هذه المكاتبة تفهمه ان نعم الله وان كانت متعددة ومنحه وان غدت بالبركات مترددة * ومننه وان اصبحت الى القلوب متودده * فان أشملها واكملها واجملها وافضلها وأجزلها وأنهلها وانمها واعمها واضمها والمها نعمة ايجزات المن والمنح * وانزلت في ابراك سفح المقطم اغزر سفح * وانت بما يجب الزراع ويجل الهراع ويجز البرق اللماع ويعل القطاع ويذل الاقطاع * وتنبعث افواهم وأفواجه * وتعد خطاها امواهه وامواجه * ويسبق وفد الريح من حيث ينبري * ويغبط مريخه الاحمر القمر لان بيته الشرطان كما يغبط الحوت لانه بيت المشتري * ويأتي عجمه

في الغد باكثر من اليوم وفي اليوم باكثر من الامس * ويركب الطريق مجدا فان ظهر بوجهه حمرة فهي
ما يعرض للمسافر من حر الشمس * ولو لم تكن شقته طويلة لما قيست بالذراع * ولولا ان مقياسه
اشرف البقاع لما اعتبر ما تأخر من ما حوله حوله لما مضى بقاع * بينا يكون في الباب اذا هو في الطاق
وبينا يكون في الاحتراق اذا هو في الاختراق للاغراق * وبينا يكون في المجاري * اذا هو في السواري
وبينا يكون في الجباب اذا هو في الجبال * وبينا يقال لزيادته هذه الامواه اذ يقال للغلاة هذه
الاموال * وبينا يكون ماء اذا صبح جرا * وبينا هو يكسب تجارة قد اكسب بحرا * وبينا
يفسد عراه قداق بمرار جسور على الجسور جيشه الكرار * وكم امست التراع منه تراع
والبحار منه تحار * كم حسنت مقطعاته على مر الجديدين * وكم اعانت مراد مقياسه على العزو
من بلاد سيس على الممودين * اقر الله لطفه في الاتيان به على التدريج * واجراه بالرحمة
الى نقص العيون بالتفريج والقلب بالتفريج * فاقبل جيشه بمراكبه * وحايط عن الجذب
بالصوادي من مراكبه * ويصاقف بحاجة الجسور في بيداء الجحيم * ويثاقف القحط بالتراس
من بركه والسيوف من خلجه * ولما تكامل اباؤه * وصح في ديوان الفلاح والفلاحة حسابه *
واظهر ما عنده من ذخائر التيسير وودائعه * ولفظ عموده حمل ذلك على اصابعه * وكانت
الستة عشر ذراعا تسمى ماء السلطان نزلنا وحضرنا بمجلس الوفا المعقود * واشتوفينا
شكر الله تعالى بفيض ما هو من زيادته محسوب ومن صدقاتنا مخرج ومن القحط مردود *
وقع تياره بين ايدينا سطورا يفوق * وعلت يدنا الشريفة بالخلوق * وحمدنا التسيير كما
حمدنا التسري * وصرفناه في القرى للقرى * ولم نحضره في العام الماضي فعملنا له من الشكر
شكرانا وعلى هو ما جرى * وحضرنا الى الخليج واذا به امم قد تلقونا بالدعاء المجاب * وقرظونا
فامرنا ماءه ان يحثو من سده في وجوه المداحين التراب * ومر يبدي المساء ويعيدها *
ويزور منازل القاهرة ويعودها * واذا سئل عن ارض الطبالة قال جننا بليلى وعن نخلها
قال وهي جنت بغيرنا وعن بركة الفيل قال واخرى بنا مجنونة لا يزيدها * ومابرح حتى
تعوض عن القيعان البقيعة * من المراكب بالسرور والمرفوعة * ومن الاراضي المحروثة *
من جوانب الاديار بالزرابي المبثوثة * وانقضى هذا اليوم عن سرور لمثله فليعد الحامدون *
واصبحت مصر جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين واهلها في ظل الامن خالدون *
فليا خذ خطه من هذه البشرى التي ما كتبنا بها حتى كتبت بها الرياح الى نهر المجرة الى البحر
المحيط * ونطقت بها رحمة الله تعالى الى مجاوري بيته من لابسي التقوى وناعي المخيط *
وبشرت بها مطايا المسير الذي يسير من قوص غير منقوص * ويتشارك بها الابتهاج في العالم
فلا مصر دون مصر بها مخصوص * والله تعالى يجعل الاولياء في دولتنا يبتهجون بكل امر جليل *
وخير ان الغرات يفرحون بجريان النيل * **وكتب** الصلاح الصفدي بشارة الى بعض

النواب فى بعض الاعوام صناعف الله نعمة الجناب وسر نفسه بانفس بشرى * واسمعه من الهنا
كل آية اكبر من الاخرى * واقدر عليه من المسار ما يتحرز ناقلة ويتحرى * وساق اليه كل طليعة
اذا انفس صبحها تفرق الليل وتفرى * واورد لدير من ابناء الخصب ما يتبرم به محل المحل
ويتبرى * هذه المكاتبة الى الجناب العالى نخصه بسلام يربى كالما انسجاما * ويروق
كالزهر ابتساما * وتحفه بثناء جعل المسك له ختاما * وضرب له على الرياض النافحة خياما
وتقص عليه من نبإ النيل الذى خص الله البلاد المصرية بوفادة وفائه * واغنى به قطرها
عن القطر فلم تحج الى مدكافه وفائه * ونزهه عن منة الغمام الذى ان جاد فلا بد من شهقه رعدة
ودمعة بكائه * فهى الارض التى لا يذم للامطار فى جوها مطار * ولا يزم القطار فى نفعتها
قطار * ولا ترمد الاجفان فيها بعيون النوار * ولا تشيب بالثلوج مفارق الطرق ورؤس الجبال
ولا تفقد فيها حلى النجوم لاندراج الليلة تحت السحب بين اليوم وامس * ولا يمتسك فى سمائها
المساكين كما قيل بحبال الشمس * واين ارض يخدعجاجها بالبحر العجاج * ويزدحم فى ساحاتها
افواج الامواج من ارض لا تنال التسقيا الا بحرب لان القطر سهام والضباب عجاج قد
انعقد * ولا يعم الغيث بقاعها الا ان السحب لا تراها الا بسراج البرق اذا اتقد * فلو خاصم
النيل مياه الارض لقال عندى قبالة كل عين اصبع * ولو فاخرها لقال انت بالجبال اثقل
وانا بالملق اطبع * والنيل له الآيات الكبر * وفيه العجائب والعبر * منها وجود الوفا *
عند عدم الصفا * وبلوغ الغمر اذا احتد واضطرم * وامن كل فريق اذا قطع الطريق * وفرج
قطان الاوطان * اذا كثر وهو كما يقال سلطان * وهو اكرم منتدى واعذب محتبى واعظم
مجتدى الى غير ذلك من خصائصه * وبراءته مع الزيادة من نقائصه * وهوانه فى هذا
العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه * وعصمها بخنادقه التى لا تراع
من تراعه * وحفها بسوارى العتوارى تحت قلوعه وما هى الا عمد قلاعه * وراعى الادب
بين ايدينا الشريفة نمط العتا فى كل يوم بحر قاعه فى رقاعه * حتى اذا اكمل الستة عشر ذراعا
واقبلت سوابق الخيل سراعا * وفتح ابواب الرحمة بتغليقه * وجد فى طلب تخليقه *
تضرع بمد ذراعه الينا * وسلم عند الوفاء باصابعه علينا * ونشر علم ستره وطلب لكرم
طباعه جبر العالم بكسره * فوسمنا باذ يخلق * ويعلم تاريخ هتانه ويعلق * فكسر الخليج
وقد كاد يعلوه فوق موجه * ويهيل كثيب سده هول هيجه * ودخل يدوس زرابى الدور
المبثوثة * ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها اخبايا موروثة * ومرق كالسهم من رقى فناطره
المنكوسة * وعلاه زبد حركته ولولاه ظهرت فى باطنه من بروز اناثه اشعة
المعكوسة * وبشر بركة الفيل ببركة الفال * وجعل المجنونة من تياره المنحدر فى التلال
والاغلال * وملأ اكف الرجا باموال الاحواء * وازدحمت فى عبارة شكره افواج الافواه

واعلم الاقلام بحجزها عما يدخل من خراج البلاد * وهنات طلائعه بالطوالع التي نزلت بركاتها من الله على العباد * وهذه عوائد الالطاف الالهية بنا لم نزل نجلس على موائدها * ونأخذ منها ما نهبه لرعايانا من فوائدها * ونخص بالشكر تواديها فهي تدب حولنا وتدرج * وتخص قوادمها بالثناء والمدح والحمد فهي تدخل الينا وتخرج * فليأخذ الجناب العالي حظه من هذه البشرى التي جاءت بالمن والمنح * وانهلت ايادي المغدقة بالسح والسفح * وليستلقاها بشكر يضئ به في الدجى اديم الافق * ويتخذها عقدا تحيط منه بالعنق الى النطق * وليتقدم الجناب العالي بان لا يبرح الميزان في هذه البشرى بالجباية لسانه * وليبعط كل عامل في بلادنا بذلك أمانه * وليعل بمقتضى هذا المرسوم حتى لا يرى في اسقاط الجباية خيانة والله يديم الجناب العالي لقص الانباء الحسنة عليه * ويمتعه بجلاء عرائس التهاني والأفراح لديه

وكتب الاديب تقي الدين ابو بكر بن حجة بشارة عن الملك المؤيد شيخ سنة تسع عشرة وثمانمائة ونبدي لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذي عاملنا فيه بالحسنى وزيادة * واجراه لنا في طرق الوفا على اجمل عادة * وخلق اصابعه ليزول الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة * كسرى بمسرى فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا * واتبعناه بنوروز ومبارح هذا الاسم بالسعد المؤيدي مكسورا * دق قفا السودان فالراية البيضا من كل قلع عليه * وقبل ثغور الاسلام فأرشفها ريقة الحلو فمالت اعطاف غصونها اليه * وشنب خريره في التصعيد بالقصب * ومدسيا ئكه الذهبية الى جزيرة الذهب * فضرب الناصرية واتصل بأمر دينار * وقلنا لولا انه صبغ بقوة لما جاء عليه ذلك الاحمرار * واطال الله عمر زيادته فترد الى الاثار * وعمت البركة فاجرى سواقي مكة الى ان غدت جنة تجري من تحتها الانهار * وحصن مشتهى الروضة في صدره وجنا عليها لحنو المرضعات على الفطيم * وارشفه على ظمإ زلال الذ من المدامة للنديم * وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات * وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات * وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب * فاربضع جنين النبت واحيى له امهات العصف والاب * ومهما فحثه كنوف الموز فخمتها بنواعمه العقبقية وليس الورد تشريفه وقال ارجو أن تكون شوكتي في ايامه قوية ودنى الزهري بحلاوة لقائه مرارة النوى * وهامته بمخدرات الاشجار فأرخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى * واستوى في النبات تماكان له في ذمة الرى من الديون * ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون * وانجذب اليه كباد وامتد * ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد * وليس شربوش الارتج وترفع الى ان ليس بعده التاج * وفتح منثور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج * فتناول لمقالم الشنبر وعلم باقلاها ورسم لكل سنبلة بالافراج وسرح بطايق السنفن فخفقت اجنحتها بمخلق ببشائره * واشار

باصابعه

باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال اوامره * وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ما تفقده واتقن باب المياه * ومد شفاه امواجه الى تقبيل فم الخور * وزاد بسرعة فاستحلى المصريون زائده على الفور * ونزل في بركة الحبش فدخل التكرور في طاعته * وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته واظهر في مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه * وصار اهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه * وطلب الملح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله * فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل في ساحله * وامست دارات دوائره على وجنات الدهر عاطفة * وثقلت ارداف امواجه على حضور الجوادي واضطربت كالخائفة * ومال شبق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وامست سود الجواري كالحسنات على حمرة وجناته * وكلما زاد زاد الله في حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح * ولا ميت خلي الا عاش به وديت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع * فقال له المقياس عندي قبالة كل عين اصبع ونشر اعلام قلوعه وحمل وله على في الجزيرة زبجرة * ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدي وكسره * وقد آثرنا المقر بهذه البشرى الذي سرى فضلها برا وبحرا * وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا * ليا خذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة * وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطرة * والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مستشفا * ولا برح من نيلها المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا * * * * * * * * * *

ذكر المقياس

قال ابن عبد الحكم كان اول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بالمنف ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زيا مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا بايم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع اسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهي المسماة الآن بالروضة وهو اكبرها * حدثنا يحيى بن بكير قال ادركت المقياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط هذا ما ذكره ابن عبد الحكم قال الليث ثم هدم المامون مقياس الجزيرة واسسه ولم يتمه فاتمه المتوكل بناءه وهو الموجود الآن وقال صاحب مباهج الفكر المقياس الذي بانصنا ينسب لاخنون ابن قفطيم بن مصر ويقال انه من بناء دلوكة وبناؤه كالطيلسان وعليه اعمدة بعدد ايام السنة من الصوان الاحمر ورايت في بعض المجاميع ما نصه قال زيد بن جبير وجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى اهلها من الغلا عن وقوف النيل عن مده في مقياسهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستسقاء

يدعوهم الى الاحتكار ويدعو الاحتكار الى تصاعد الاسعار بغير قحط فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاصي يسأله عن شرح الحال فأجاب فقال عمرو اني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط اهلها اربعة عشر ذراعا والحد الذي يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة اخرى ستة عشر ذراعا والنهايتين المخوفتين في الزيادة والنقصان وهو الظمأ * والاستبحار اثنا عشرة ذراعا في النقصان وثمانية عشرة ذراعا في الزيادة هذا والبلد في ذلك محفور الانهار معقود الجسور عند ما تسلموه من القبط وخمير العمارة فيه فاستشار عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب في ذلك فأمره ان يكتب اليه بان يبني مقياسا وان يعضد ذراعين على اثنتي عشر ذراعا وان يقر ما بعدها على الاصل وان ينقص من ذراع بعد الستة عشر ذراعا اصبعين ففعل ذلك وبناه بحلوان فاجتمع له ما اراد من حال الارجاف وزوال ما منه كان يخاف بان يجعل الاثنتي عشر ذراعا اربع عشرة ذراعا لان كل ذراع اربعة وعشرون اصبعا فجعلها ثمانية وعشرين من اولها الى الاثنتي عشر ذراعا تكون مبلغ الزيادة على الاثنتي عشرة ثمانية واربعون اصبعا وهي الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والستة عشرة ثماني عشرة والثماني عشرة عشرين ذراعا وهي المستقرة الآن وقال بعضهم كتب الخليفة جعفر المتوكل الى مصر يامر ببناء المقياس الجديد الهاشمي في الجزيرة سنة سبع واربعين ومائتين وكان الذي يتولى امر المقياس النصاري فورد كتاب امير المؤمنين المتوكل في هذه السنة على بكار بن قتيبة قاضي مصر بان لا يتولى ذلك الا مسلم يختاره فاختار القاضي بكار لذلك ابا الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب وكان محدثا فاقامه القاضي بكار لمراعاة المقياس واجرى عليه الرزق وبقي ذلك في ولده الى اليوم وقال صاحب المرآة المقياس الظاهر الآن بناه المأمون وقيل انما بناه اسامة بن زيد التنوخي في خلافة سليمان بن عبد الملك وذكر مجدده المامون وبنى احمد بن طولون مقياسين احدهما بقوص وهو قائم اليوم والآخر بالجزيرة وقد انهدم قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في العود الذي يطلع به المقسي قياس النيل في كل يوم من زيادة النيل * *

قد قلت لما اتى المقسي وفي يده ... عود به النيل قد عودي وقد نودي
ايام سلطاننا سعد السعود وقد ... صح القياس بجري الماء في العود

ذكر جزيرة مصر وهي المسماة الآن بالروضة

قال المقريزي اعلم ان الروضة تطلق في زماننا على الجزيرة التي بين مدينة مصر وبين مدينة الجيزة وعرفت في اول الاسلام بالجزيرة وجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت بالروضة من زمن الافضل بن امير الجيوش الى اليوم انتهى والجزيرة كل بقعة في وسط البحر لا يعلوها البحر سميت بذلك لانها جزرت اي قطعت وفصلت عن تخوم الارض فصارت

منقطعة وفى الصحاح الجزيرة واحدة جزائر البحر سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الارض وقال ابن المنجو فى كتاب ايقاظ المتغفل وانقاظ المتأمل انما سميت جزيرة مصر بالروضة لانه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن فى غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض ابراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت الى ان عمر حصنها احمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل وقال المقريزى اعلم ان الجزائر التى هى الآن فى بحر النيل كلها حادثة فى الاسلام ما عدا الجزيرة التى تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فان العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص الى ارض مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر حتى فتحه الله عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر لم يبلغنى الى الآن متى حدثت وأما غيرها من الجزائر كلها قد تجددت بعد فتح مصر والى هذه الجزيرة النجا المقوقس لما فتح الله على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وقال ابن عبد الحكم كان بالجزيرة فى ايام عبد الملك بن مروان امير مصر خمسمائة فاعل عدة لحريق ان كان فى البلاد او هدم وقال الكندى بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة اربع وخمسين والصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية واول صناعة عملت بأرض مصر التى بنيت بالروضة فى سنة اربع وخمسين من الهجرة فاستمرت الى ايام الاخشيد فانشأ صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع الصناعة التى بالروضة بستانا اسماه المختار وقال القضاعى حصن الجزيرة بناه احمد ابن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حريمه وماله وكان سبب ذلك مسير موسى ابن بغا من العراق والياً على مصر وجميع اعمال ابن طولون وذلك فى خلافة المعتمد على الله فلما بلغ احمد بن طولون مسيره تأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لا تؤخذ الا من جهة النيل فبنى الحصن بالجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة ليكون معقلا لحريمه وذخائره واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف اليها من العشاريات وغيرها فلما بلغ موسى بن بغا الى الرقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ثم لم يلبث موسى ان مات وكفى ابن طولون امره *

وقال محمد بن داوود لأحمد بن طولون

لما توفى ابن بغا بالرقتين ملا ... ساقيه درقا الى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به ... بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وواثب الجيزة القصوى فخندقها ... وكاد يصعق من خوف ومن زعب
له مراكب فوق النيل راكدة ... لما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ... بالشط ممنوعة من عزة الطلب

فما بنـاها لعز والروم محتسبًا لكن بناها غداة الروع للهرب

وقال سعيد القاص من ابيات

وان جئت راس الجسر فانظر تاملا الى الحصن اوفا عبر الليل على الجسر
ترى اثر الريق من يستطيعه من الناس في بدء البلاد ولا حضر

وما زال الحصن الجزيرة هذا عامرًا ايام بني طولون حتى اخذه النيل شيأ فشيأ وقد بقيت منه بقايا متقطعة الى الآن وكان نقل الصناعة من الجزيرة الى ساحل مصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وبنى مكانها البستان المختار وصرف على بنائه خمسة آلاف دينار فاتخذه الاخشيد متنزهًا به وصار يفاخر به أهل العراق ولم يزل متنزهًا الى ان زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة العبيدية فكان يتنزه فيه المعز والعزيز وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس بها دور وقاعي وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما استولى الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الدين انشأ في بحري الجزيرة بستانا نزهها سماه الروضة وتردد اليه تردادات كثيرة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة قال ابن ميسر في تاريخ مصر انشأ الأفضل الروضة بحري الجزيرة وكان يمضي كل يوم اليها في العشاريات الموكبية وكان قتل الأفضل في سنة خمس عشرة وخمسمائة قال وفي سنة ست عشرة وخمسمائة نقل المأمون البطائحي الوزير عمارة المراكب الحربية من الصناعة التي بجزيرة مصر الى الصناعة القديمة بساحل مصر وبنى عليها منظرة كانت باقية الى آخر أيام الدولة العلوية فلما استبد الخليفة الآمر بالأمر أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا لمحبوبته البدوية عرف بالهودج وذلك لما صعب عليها التسكن في القصور ومفارقة ما اعتادته من الفضاء وكان الهودج على شاطئ النيل في شكل غريب ولم يزل الآمر يتردد اليه للنزهة فيه الى ان ركب اليه يومًا فلما كان براس الجسر وثب عليه قوم كانوا كمنوا له بالروضة فضربوه بالسكاكين حتى اثخنوه وذلك يوم الأربعاء رابع ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة ونهب سوق الجزيرة ذلك اليوم قال ابن المتوج اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب جزيرة مصر المشهورة بالروضة من بيت المال المعمور في شعبان سنة ست وعشرين وخمسمائة وبقيت على ملكه الى ان سير السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب الى الملك المظفر أن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه الى الشام فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق انه لا عود له اليها ابدًا فوقف مدرسته التي تعرف في مصر بالمدرسة المقوية وكانت قديمًا تعرف بمنازل العز على الفقهاء الشافعية ووقف عليها جزيرة الروضة بكمالها ووقف أيضًا مدرسة بالفيوم وسافر الى عمه

صلاح الدين الى دمشق فملكه حماه ولم يزل الحال كذلك الى ان ولى الملك الصالح نجم الدين ايوب
فاستاجر الجزيرة من القاضي فخر الدين ابي محمد عبد العزيز بن قاضي القضاة عماد الدين ابي القاسم
عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الشكري مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة في ثمانين
كل دفعة قطعة فالقطعة الاولى من جامع عين الى المناظر طولا وعرضا من البحر الى البحر واستاجر
القطعة الثانية وهي باقي ارض الجزيرة الدائر عليها بحر النيل حينئذ واستولى على ما كان بالجزيرة
من النخل والجميز والغروس فكان لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخل ودخلت
في العمائر واما الجميز فانه كان بشاطئ بحر النيل صف جميز يزيد على اربعين شجرة وكان اهل مصر
فرجهم تحتها في زمن النيل والربيع قطعت جميعها في الدولة الظاهرية وعمرها شواني عوض الشواني
التي كان سيرها الى جزائر قبرص وتكسرت هناك واستمر تدريس المدرسة التقوية بيد القاضي
فخر الدين الى حين وفاته ثم وليها بعده ولده القاضي عماد الدين ابو الحسن علي وفي ايامه سلم له
القطعة المستاجرة من الجزيرة اولا وبقي بيد السلطنة القطعة الثانية الى الآن وكان الاوقاف
عنها في شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة في الدولة الناصرية ولم يزل القاضي عماد الدين مدرسا
الى حين وفاته فوليها ولده وهو مدرسها الآن في شعبان سنة اربع عشرة وسبعمائة هذا كله
كلام ابن المتوج ولم تزل الروضة متنزها ملوكيا ومسكنا للناس الى ان تسلطن الملك الصالح
نجم الدين ايوب بن الكامل محمد فانشا بالروضة قلعة واتخذها سرير ملك فعرفت بقلعة الصالح
وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وكان الشروع في حفر اساسها يوم الاربعاء
خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي
كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانت بها وهدم كنيسة كانت للنصارى
بجانب المقياس وادخلها في القلعة وانفق في عمارتها اموالا جمة وبنى فيها الدور والقصور
وعمل لها ستين برجا وبنى بها جامعا وغرس بها جميع الاشجار ونقل اليها من البراري والجبال الصوان
والعمد الرخام وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليها من الغلال والاقوات خشية
من محاصرة الفرنج فانهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ في اتقانها مبالغة عظيمة
حتى قيل انه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم وكان الملك الصالح يقف بنفسه
ويرتب ما يعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفها ويحير الناظر اليها حسن سقوفها المقرنصة
وبديع رخامها ويقال انه قطع من الموضع الذي انشا فيه هذه القلعة الف نخلة مثمرة كانت
رطبها يهدى الى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وخرب البستان المختار والهودج وهدم
ثلاثة وثلاثين مسجدا كانت بالروضة وادخلت في القلعة وانفق له في بعض هذه المساجد
خبر عجيب قال الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليغموري سمعت الامير جمال الدين موسى
ابن يغمور بن جلدك يقول من عجيب ما شاهدته من الملك الصالح انه امر في ان اهدم مسجدا بجزيرة

مصر فاخرتُ ذلك وكرهتُ ان يكون هدمه على يدى فأعاد الأمر وأنا كاسر عنه فكانه فهم عنى ذلك فاستدعى بعض خدمه وأنا غائبٌ وأمره ان يهدم ذلك المسجد وأن يبنى فى مكانه قاعة وقد له صفتها فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعة مكانه وكملت وقدم الفرنج على الديار المصرية وخرج الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعة التى بنيت فى مكان المسجد فتوفى السلطان بالمنصورة وحمل فى مركب وأُتى به الى الروضة فجعل فى تلك القاعة التى بنيت مكان المسجد مدة الى ان بُنيت له التربة التى فى جنب مدرسته بالقاهرة * وكان النيل فى القديم محيطًا بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر والروضة جسرٌ من خشب وكذلك فيما بين الروضة والجيزة جسرٌ من خشب يمر عليهما الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بجنب بعض وهى موثقة ومن فوق المراكب اخشاب ممتدة فوقها ترابٌ وكان عرض الجسر ثلاث قصبات ولم يزل هذا الجسر قائمًا الى أن قدم المأمون مصر فأحدث جسرًا جديدًا فاستمر الناس يمرون عليه وكان عبور العساكر التى قدمت من المعز مع جوهر القائد على هذين الجسرين وكان الجسر المتصل بالروضة كرسيه حيث المدرسة المزوبية قبلى دار النحاس وكان النيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة قد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة الا فى ايام الزيادة فلم يزل يغرق المستفز فى ناحية الجيزة ويجفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هناك من الرمال حتى عاد ماء النيل الى بر مصر واستمر هناك فانشا جسرًا عظيمًا ممتدًا من بر مصر الى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان كرسيه حيث المدرسة المزوبية قبلى دار النحاس وصار اكثر مرور الناس بانفسهم ودوابهم فى المراكب لان الجسرين قد اجترُّ ما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان وكان الامراء اذا ركبوا من مناذلهم يريدون الخدمة الى السلطان بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون فى طول الجسر الى القلعة ولا يمكن احدٌ من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط ولما كملت تحول اليها باهله وحريمه واتخذها دار ملك واسكن معه فيها مماليكه البحرية وكانت عدتهم نحو الالف وما برح الجسر قائمًا الى ان خرب المعز ايبك قلعة الروضة بعد سنة ثمان واربعين وستمائة فاهمل ثم عمره الظاهر بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج وقال على بن سعيد فى كتاب المغرب وقد ذكر الروضة هى امام الفسطاط فيما بينها وبين مناخ الجيزة وبها مقياس النيل وكانت متنزها لاهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البنا عالى السمك لم ترعيني احسن منه وفى هذه الجزيرة كان الهودج الذى بناه الآمر الخليفة لزوجته البدوية التى هام فى حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكرٌ فى شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة اشعار

منها قول ابي الفتح بن قادوس الدمياطي * *

ارى سرح الجزيرة من بعيد ... كاحداق تغازل في المغازل
كان مجرة الجوزاء خطت ... واثبتت المنازل في المنازل

وكنت اَبيتُ بعض الليالي في الفسطاط على شاطئها فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل * اما سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخلة من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها هو من اعظم التلاطين همة في البناء ابصرتُ في هذه الجزيرة ايوانًا لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه من الكتابة بصفائح الذهب والرخام الابنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفصل عما احاط به السور ارض طويلة في بعضها حاظر حُظر على اصناف الوحوش التي يتفرج فيها السلطان وبعدها بروج يتقطع فيها مياه النيل فينظر فيها احسن منظر وقد تفرجتُ كثيرًا في طرق هذه الجزيرة مما يلي برّ القاهرة فقطعتُ بها عيشات مذهبات لا تزل الاحزان الغربة مذهبات واذا زاد النيل فصل ما بينها وبين الفسطاط بالكلية وفي ايام احتراق النيل يتصل برّها ببرّ السلطان من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر يكون فيه المراكب وركبتُ مرة في هذا النيل ايام الزيادة مع الصاحب المحسن محيي الدين بن بنداروزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وابراجها تتلالا والنيل قد انقسم عنها فقلت *

تامل حسن الصالحية اذ بدت ... مناظرها مثل النجوم تتلالا
والقلعة الغرا كالبدر طالعا ... يفرج صدر الماء عنه هلالا
روافي اليها الماء من بعد غيبة ... كما زار مشغوفا يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق وحسنها ... فمد يمينًا نحوها وشمالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بني ايوب فلما ملك السلطان الملك المعز عزّ الدين ايبك التركماني اول ملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية في وجه الحنابلة بمدينة مصر وطمع في القلعة من له جاه فاخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من اخشابها ورخامها اشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى عمارتها كما كانت فاصلح بعض ما تهدم منها ورتب بها الجمائد اديه واعاد ها الى ما كانت عليه من الحرمة وامر بابراجها ففرقت على الامراء واعطى برج الزاوية للامير سيف الدين قلاوون الالفي والبرج الذي يليه للامير عز الدين الحلي والبرج الثالث من برج الزاوية للامير عز الدين ادغان واعطى برج الزاوية الغربي للامير بدر الدين الشمسي ووفق بقية الابراج على سائر الامراء ورسم ان يكون بيوت جميع

الامر واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون وشرع فى بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج اليه من العمد الصوان والعمد الرخام التى كانت قبل عمارة القلعة بالبرابى واخذ منها رخاما كثيرا واعتابا جليلة مما كان بالبرابى وغيره ذلك ثم اخذ منها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج اليه من العمد الصوان فى بناء الايوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل وبالجامع الجديد الناصرى ظاهر مدينة مصر واخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن قال المقريزى وتاخر منها عقد جليل تسميه العامة كقوس كان مما يلى جانبها الغربى اركناه باقيا الى نحو سنة عشرين وثمانمائة وبقى من ابراجها عدة قد انقلب كثير منها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزها تشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام بها الجمعات والاعياد ومساجد وفى الروضة يقول الاسعد بن مماتى * * *

جزيرة مصر لا عدتك مسرة ... ولا زالت اللذات فيك انتصالها
فكم فيك من شمس على غصن بانة ... سميت ويحيى هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل اضحت هواجا ... ومختلفات الموج فيها نجالها
ومن اعجب الاشيا انك جنة ... ترف على اهل الضلال ظلالها

وقال ظافر الحداد

انظر الى الروضة الغراء والنيل ... واسمع بدائع تشبيهى وتمثيلى
وانظر الى البحر مجموعا ومفترقا ... هناك اشبه شئ بالتراويل
والريح تطويرا حيانا وتنشره ... نسيمها بين تفريك وتعديل

الاسعد بن مماتى فى الروضة وقد حلها السلطان الملك الكامل

جزيرة مصر انت اشرف موضع ... على الارض لما حل فيك محمد
وفيك علا البحران لكن كف ذا ... على الناس اندى بالعطا واجود
واصبحت الاغصان من فرح به ... تمايل والاطيار فيك تغرد
فوق نسيم حين سار وجدول ... ويبشد وهزار حين يرقص امرد

ذكر خليج مصر

قال المقريزى هذا الخليج بظاهر فسطاط مصر ويمر من غربى القاهرة وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجر أم اسمعيل حين اسكنها ابراهيم عليه السلام بمكة ثم تمادته الدهور والأعوام فجدد حفره ثانيا بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما فتحت مصر على يد عمرو بن العاصى جدد حفره باشارة امير المؤمنين عمر بن الخطاب فحفر عام الرمادة وكان يصب فى بحر القلزم كما تقدم فى اول

الكتاب ولم يزل على ذلك الى ان قام محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب بالمدينة فكتب الخليفة المنصور الى عامله بمصر أن يطم هذا الخليج حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة فطم وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم وصار على ما هو عليه الآن وكان هذا الخليج يقال له أولاً خليج امير المؤمنين يعني عمر بن الخطاب لانه الذي اشار بتجديد حفره ثم صار يقال له خليج مصر فلما بنيت القاهرة بجانبه من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمي وتزعم ان الحاكم احتفره وليس بصحيح وكان اسم الذي حفره في زمن ابراهيم عليه السلام طوطيس وهو الجبار الذي اراد اخذ سارة وجرى له معها ما جرى ووهب لها هاجر فلما سكنت هاجر مكة وتجهت اليه تعرفه انها بمكان جدب فامر بحفر نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى البحر في السفن في البحر الملح فكان يحمل اليها الحنطة واصناف الغلات فتنقل الى جدة ويحمل من هناك على المطايا فاحيا بلد الحجاز مدة وكان اسم الذي حفره ثانياً ادريان قيصر وكان عبد العزيز بن مروان بنى عليه قنطرتين في سنة تسع وستين وكتب اسمه عليهما ثم جددها تكين امير مصر في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ثم جددها الاخشيد في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ثم عمرت في ايام العزيز وكان موضع هذه القنطرة خلف خط السبع سقايات وهي التي كانت تفتح عند وفاء النيل في زمن الخلفاء وكان الخليفة يركب لفتح الخليج فلما انحسر النيل عن ساحل مصر ورقي الجرف اهملت هذه القنطرة فدثرت وعملت قنطرة السد عند فم بحر البيل وكان الذي انشأها الملك الصالح ايوب في سنة بضع واربعين وستمائة قال ابن عبد الظاهر وأول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المامون بن البطائحي وجعل عليه والياً بمفرده ولابي الحسن بن الساعاتي في كسر يوم الخليج *

ان يوم الخليج يوم من الحسن بديع المرأى والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول ومها تسل الغزال المروع
وعلى السد عزة قبل ان تم لكه ذلة المحب الخضوع
كسروا جسره هناك شماتي كسر قلب يتلوه فيض دموع

ذكر الخليج الناصري

حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة لما بنى الحائط بسرياقوس فاراد اجراء الماء من النيل اليها ليرتب عليه السواقي والزراعات وفوض امره الى ارغون النائب فحفر في مدة شهرين من اول جمادى الاولى الى سلخ جمادى الآخرة وبنى فخر الدين ناظر الجيش

عليه قنطرة وبنى قديدار والى القاهرة قنطرة قديدار وقناطر الاوز وقناطر الامير به

ذكر بركة الحبش

قال ابن المتوج هذه البركة مشهورة فى مكانها وقد اتصل وقفها على قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة على انها وقف على الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية النصف على الاقارب والنصف على الطالبيين وثبت قبله عند قاضى القضاة بدر الدين يوسف السنجارى ان النصف منها وقف على الاشراف الاقارب بالاستفاضة بتاريخ ثانى عشر ربيع الآخر سنة اربعين وستمائة وثبت عند قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بالاستفاضة ايضا انها وقف على الاشراف والطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من ربيع الآخر سنة اربعين وستمائة وفى سنة احدى واربعين وستمائة امر الناصر بن قلاوون بحفر خليج من النيل الى حائط الرصد ببركة الحبش وحفر عشرة ابار كل بئر أربعون ذراعا يركب عليها الستواقى ليجرى الماء منها الى القناطر التى تحمل الماء الى القلعة فشق الخليج من مجرى وباط الآثار وكان مهما عظيما وامر الناصر فى هذه السنة بتجديد جامع راشدة وكان قد تهدم فعمله ظافر الحداد فى بركة الحبش *

تاملت نهر النيل طولا وخلقه ... من البركة الغناء شكل مقدر
فكان وقد لاحت بسطته خضرة ... وكانت وفيها الماء باق موفر
عمامة شرب فى جوانبه خضرة ... اضيف اليها طيلسان مقور

ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسى *

لله يوم ببركة الحبش ... والافق بين الضياء والغبش
والنيل بين الرياح مضطرب ... كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مؤنقة ... دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجها يد الغمام لنا ... فنحن من نسجها على فرش

ذكر ما قيل فى الأنهار والأشجار ومن الشتاء والربيع من الاشعار

(شمس الدين بن التلمسانى)

ولما جلا فصل الربيع محاسنا ... وصفق ما النهر اذ غرد القمرى
اتاه النسيم الرطب رقص دوحه ... فنقط وجه الماء بالذهب المصرى

وقال

تغنت فى ذرى الاوراق ورق ... ففى الافنان من طرب فنون
وكم بسمت ثغور الزهر عجبا ... وبالاكمام قد رقصت غصون

ابن اسحاق ابراهيم بن محمد بن فتحون المخزومي يصف نارنجة في نهر *

ولقد رميت مع العشي بنظرة ... في منظر غض البشاشة يبهج
نهر صقيل كالحسام بشطه ... روض لنا تفاحته تتأرج
تثني معاطفة الصبا في بردة ... موشية بيد الغمامة تنسج
والماء فوق صفائه نارنجة ... تطغو ببرو عسابه يتموج
حمراء قانية الاديم كأنها ... وسط المجرة كوكب يتأجج

القاضي عياض

كانما الزرع وخاماته ... وقد تبدث فيه ايدي الرياح
كتائب تحفل مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح

كتب القاضي شهاب الدين بن فضل الله الى الامير الجاي الدوادار *

بلد انت ساكن في رباها ... بلد تحسد الثريا ثراها
قد تعالت الى السماء بسكناك فالقت على البطاح رداها
جمد الطل في الزهور فخلنا ... انه عقد جوهر لربا ها
وجرى الماء في الرياض فقلنا ... كسرت فوقه المعاني حلاها
مثل ما انت في معانيك فرد ... هي فرد البلاد في معناها

يقبل الارض وينهي انه لما عبر على هذه الربى المعشبة والغدران التي كانها صفائح فضة مذهبة ثم مر على قرية تعرف بوسيم * تفتر من شنب زهرها عن ثغر بسيم * استحسن مراها ونظم في معناها ما يعرضه على الخاطر الكريم * ليوقف المملوك توقيف عليم * او يتجاوز عن تقصيره تجاوز حليم *

لمصر فضل باهر ... لعيشها الرغد النضر
في كل سفح يلتقي ... ما الحياة والخضر

وكذلك

ما مثل مصر في زمان ربيعها ... لصفاء ماء واعتلال نسيم
اقسمت ما تحوي البلاد نظيرها ... لما نظرت الى جمال وسيم

وقال

ما بين اكناف البطاح ... مسك يذر على الرياح
من حيث يلقى الروض في ... ازهارها ريان ضاحي
والريح في السحر البهيم ... يطير مكي الجناح
تسري فتعتنق الغصو ... ن بها على عين الصباح

والنيل في تياره الـ ... منصب مهتز الصفاح
وبه الستفائن كالجبال ... تحول امثال القداح
فركبت من صهواتها ... دهماء ساكنة الجماح
حراقة تجري على اسـ ... ـم الله في الماء القراح
والافق مثل حديقة ... خضراء مزهرة النواحي
تحكي المجرة بينها ... نهرا تدفق في اقاحي
واقتادت الجوزاء للـ ... ـليل البهيم الى الرواح
فكانه زنجية ... جدبت باطراف الوشاح
وبدا الصباح كوجه ال ... محباى المهلل لامتداحي

وقال

وحديقة غنى الربا ... بها بتوقيع السحاب
فتمايلت حتى لقد ... رقصت على صوت الرباب

وقال

في نيل مصر مراكب ... تغوى بدور المواكب
فكم بها فلك في ... بحر اه تسرى الكواكب

ابن عبد الظاهر

روض به اشيا لطيـ ... ـست في سواه تؤلف
فمن الهزار تهازر ... ومن القضيب تقصف
ومن النسيم تلطف ... ومن الغدير تعطف

نور الدين علي بن سعد الغماري الاندلسي

كانما النهر صفحة كتبت ... اسطرها والنسيم منشئها
لما ابانت عن حسن منظرها ... مالت عليه الغصون تقرؤها

الصلاح الصفدي

قال خلي بالله صف ارض مصر ... وقتا كتابتها بوصف محقق
قلت ارض بالنيل يروى ثراها ... فلهذا الكتاب نور ازرق

وقال

لم لا اهيم بمصر ... وارتضيها واعشق
ولم تر العين احلى ... من مائها ان تملق

ابن الواسطي

كانما

كانما السفن بارجائها ... وهي على الماء جريات
عقاربٌ في رفع اذنابها ... تسرى على ابطن حيّات

ابن الساعاتي

ولقد ركبت البحر وهو كخلية ... والموج تحسبه جيادا تركض
وكأنما سلت به امواجه ... بيضا تذهب تارة وتفضض
كل يصيح اذا تصيح حياته ... الا النسيم يصيح ساعة تمرض

مجير الدين بن تميم

ياحسنه من جدول متدفق ... يلهي برونق حسنه من أبصرا
مازلت انذره عيونا حوله ... خوفا عليه ان يصاب فيعثرا
فأبى وزاد تماديا في جريه ... حتى هوى من شاهق فتكسرا

وقال

وحديقة مالت بعاطف ... دوحها من غير سكر
والنهر ساح قد غدا ... بسعادة الأغصان يجرى

وقال

لم لا اهيم الى الرياض وحسنها ... واظل منها تحت ظل
والروض حياني بثغر باسم ... والماء يلقاني بقلب صاف

وقال

ونهر خالف الاهواء حتى ... غدت طوعا اليه في كل امر
اذا سرقت خلى الاغصان القت ... اليه بها فيا خذها ويجرى

وقال

تامل الى الدولاب والنهر اذ يجرى ... ودمعهما بين الرياض غدير
كان نسيم الروض تحت ضياعه معهما ... فاصبح ذا يجرى وذاك يدور

ناصر الدين بن المنقب

وروضة توسوس الغصن منها ... لما هدا فيها النسيم الشمال
قد جن في ارجائها جدولها ... فهو على وجه الثرى سلسل

آخر

وحديقة باكرتها مطاولة ... والشمس ترشف ريق ازهار الربى
يتكسر الماء الزلال على الحصا ... فاذا اتى نحو الرياض تشعبا

آخر

مياه بوجه الارض تجري كأنها صفائح تبر قد سبكن جداولا
كأن بها من شدة للجري جنة وقد البستهن الرياح سلاسلا

ابن قزل

كأنما النهر اذا مر النسيم به والغيم يهمي وضوء البرق حين بدا
رشق السهام ولمع البيض يوم وغى خاف الغدير سطاها فاكتسا زردا

آخر

يا حسن وجه النهر حين بدا والسحب تهطل فوقه هطلا
فكانه درع وقد ملئت ايدي الكماة عيونه نبلا

العزي

في روض قرن النهار بنجومها بسناذ كا قزاد هز توقدا
وانجر فوق غديرها ذيل الصبا سحرا فأصبحت الصفيحة مبردا

تاج الدين مظفر الذهبي

وجدول خط فيه سطر بكف القبول
بدا عليه ارتعاش كذاك خط القليل

الشهاب محمود

والنور مثل عرائس لفت عليهن الملاء
شمر من فضل الأزر عن سوق خلاخلهن ماء
والنهر كالمرآة تبصر وجهها فيه السماء

قاضي القضاة مجير الدين بن العديم

كأنها النهر وقد حفت به اشجاره فضا فخته الأغصن
مرآة عيد قد وقفن حولها ينظرن فيها أيهن أحسن

آخر

شجرات الخريف نكثر من غير سؤال الى الرياح نشاطا
تتعرى من لبسها وهو تابر ثم تلقيه للنديم بساطا

آخر

انظر الى الروض النضير فحسنه للعين قرة
فكان خضرته السماء ونهره فيه المجرة

ابن وكيع

غدير يجعد أمواهه هبوب الرياح ومر الصبا

اذا الشمس من فوقه اشرقت توهمته جوشنا مذهبا

سيف الدين علي بن قزل

في يوم غيم من لذاذة جوه غنى الحمام وطاب الانداء
والروض بين تكبر وتواضع شمخ القضيب به وخر الماء

آخر

ايا حسنها من روضة ضاع نشرها فنادت عليه في الرياض طيور
وولا بها اضحى تعد صنوعه لكثرة ما يبكي بها ويدور

سعد الدين بن شيخ الصوفية محيي الدين بن عربي

شاهدت دولابا له ادمع تكلفت للروض بالريح
فاعجب له من فلك دائر ما فيه برج غير ماء جي

آخر

وناعورة فارقت اما لها من جنسها
تدور على قلبها وتبكي على نفسها

وجيه الدين المناوي

فوارة تحسب من حسنها سبيكة من فضة خالصة
تلهيك بالحسن فقد أصبحت جارية ملهية راقصة

الصلاح الصفدي

النهر مولى والنسيم خديمه هذا كلام لست فيه أشك
لو لم يكن في خدمة النهر انبرى ما كان يصقل ثوبه ويفرك

وقال

لما زهى زهر الربيع بروضة وغدا له الغصن الرطيب عليه
قام الحمام له خطيبا بالثنا وجرى الغدير فخر بين يديه

مجير الدين بن تميم

تكسر المآلما انجرى فغدا الدولاب يندبه سجوا ويبكيه
واصبح الغصن بالاوراق ملتطما والورق فوق كراسي الدوح ترثيه

وقال

والنهر مذ علق الغصون محبه اضحت تطيل صدوده وجفاه
فتراه يجري لاثما اقدامها وخريره شكوى الذي يلقاه

وقال

بعث الربيع رسالة بقدومه ... للروض فهو بقدومه فرحانُ
ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه ... مضمونها مالت له الاغصانُ

شمس الدين بن التلمساني

كأنما البرق خلال السما ... من فوق غيم ليس بالكابي
طراز تبر في قباء ازرق ... من تحته فروة سنجاب

وقال

فصل الشتا منح النواظر نضرة ... لما كسا الالوان وهي عوار
لم يليس العبرا لين مطارف ... حتى كسا الزرقا بيض ازار

مجير الدين بن تميم

ودولاب روض كان من قبل اغصنا ... تميس فلما فرقتها يدُ الدهر
تذكر عهدًا بالرياض فشكله ... عيون على ايام عصر الصبا تجري

آخر

وناعورة قد رضا عفت بنواحها ... نواحي واجرت مقلتي دموعها
وقد ضعفت مما تئنُّ وقد غدت ... من الضعف والشكوى تعلّل ضلوعها

نور الدين علي بن سعد الاندلسي

لله دولاب يفيض بسلسل ... في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحت فيه الحمام شجوها ... بنحيبها وترجع الالحانا
فكأنه دنف يطوف بمعهد ... يبكي ويسأل فيه عن من بانا
ضاقت بجاري طرفه عن دمعه ... فتفتحت اضلاعه اجفانا

ابن منير الطرابلسي في ناعورة

هي مثل الافلاك شكلا وفعلا ... قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين عال سام ينكسه الحظ ... ظ ويعلو بساحل مرزوق

آخر

النهر يكسو غلالة فضية ... فاذا جرى سيل فثوب نضار
واذا استقام رايت صفحة منصل ... واذا اشتد دارت عطف سوار

ابراهيم بن خفاجة الاندلسي

النهر قد رقت غلالة خصره ... وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها ... عكن الخصور تهزها الاعجاز

يعضهم

ان هذا الربيع شئ عجيب　　تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودرّ　　حيث درنا وفضة في الفضاء

ابن قلاقس

كأنما الرعد والسحاب وقد　　حل صوبا والبرق قد لاحا
ثلاثة من عدوهم نفروا　　وقد غدا نحوهم وقد راحا
فسلّ هذا سيفا له وبكى　　هذا وهذا من خيفة صاحا

ذكر الرياحين والازهار الموجودة في البلاد المصرية

وما ورد فيها من الآثار النبوية والاشعار الادبية والاشارات الصوفية

ما ورد في الفاغية وهي نوّار الحناء　　اخرج البيهقي في شعب الايمان عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية　　واخرج البيهقي عن انس قال كان أحب الرياحين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية

ما ورد في الورد　　رويت فيه أحاديث كلها موضوعة منها حديث علي مرفوعا لما أسري بي الى السماء سقط الى الارض من عرقي فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتي فليشم الورد اخرجه ابن عدي في كامله وحديث انس مرفوعا الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاصفر من عرق البراق اخرجه ابن فارس في كتاب الريحان والحديثان أوردهما ابن الجوزي في الموضوعات ونص على وضع الثاني ايضا الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر قال صاحب مباهج الفكر كان الخليفة المتوكل قد حمى الورد ومنعه من الناس كما حمى النعمان بن المنذر الشقيق واستبد به وقال لا يصلح للعامة فكان لا يرى الا في مجلسه وكان يقول انا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا اولى بصاحبه والى هذا اشار ابن سكرة بقوله *

للورد عندي محل　　لانه لا يحمل
كل الرياحين جند　　وهو الامير الاجل
ان جاء عزوا وتاهوا　　حتى اذا غاب ذلوا

قال ابن البيطار في مفردات الورد اصناف أحمر وأبيض وأصفر وأسود زاد غيره وأزرق * وحكى صاحب كتاب نشوار المحاضرة انه رأى وردا اسود حالك اللون له رائحة ذكية وانه راى بالبصرة وردة نصفها أحمر قاني الحمرة ونصفها الآخر ابيض ناصع البياض والورقة التي وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم قال صاحب مباهج الفكر رأينا بثغر الاسكندرية الورد الاصفر كثيرا وعددت في ورقة واحدة ثمانين

الف ورقة قال وحكى لى بعض الأصحاب انه راى بحلب ورقة لها وجهان احدهما
أحمر والآخر أصفر قال وحكى بعض الاصحاب انه رأى آبارا يجرى الى شجر الورد ماء مخلوطا
بالنيل فسأله فقال إن الورد يكون ازرق بهذا العمل قال صاحب المباهج والظاهر
من الورد الاسود انه احتيل عليه كذلك وقال الحافظ الذهبى فى الميزان روى وديش عن
انس عن كليب بن وائل وكليب نكرة لا يعرف انه رأى بالهند وردا فى الورده مكتوب محمد
رسول الله وروى ابن العديم فى تاريخه بسنده الى على بن عبد الله الهاشمى الرقى قال
دخلت الهند فرايت فى بعض قراها وردة كبيرة طيبة الرائحة سودا عليها مكتوب بخط
ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت
انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير واهل
تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله عز وجل ويقال ورد جورد * ونرجس جاجان
ونيلوفر شروان * ومنثور بغداد * وزعفران قم * وشاهسفرم سمرقند * قال ابو العلاء
صاعد الاندلسى فى باكورة ورد *

ورد ونك يا سيدى وردة ... يذكرك المسك انفاسها
كعذرا ابصرها مبصر ... فغطت باكمامها راسها

آخر

وورده يحكى امام الورد ... طليعة سابقة للجند
فضمها فى الغض قر البرد ... ضم فم لقبلة من بعد

ابو عبادة البحترى

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز فى غسق الدجى ... اوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتحه برد الندى فكأنما ... يبث حديثا بينهن مكتما

محمد بن عبد الله بن طاهر

اما ترى شجرات الورد مظهرة ... لنا بدائع قد ركبن فى قضب
كأنهن يوافيت يطيف بها ... زبرجد وسطه شذر من الذهب

يقال إنه نظم هذين البيتين من قول ازدشير بن بابك وقد وصف الورد هو در ابيض
وياقوت احمر على كراسى زبرجد اخضر بوسطه شذر من ذهب اصفر * الناشئ *

قصب الزبرجد قد حملن عقائقا ... اثمارهن قراحة العقيان
وكأنة دمع القطر فى اهدابه ... دمع مرقرقه فواتر الاجفان

محمد بن عبد الله بن طاهر

مداهن

مداهن من يواقيت مركبة ... على الزبرجد فى اجوافها ذهب
كأنه حين يبدو من مطالعه ... صب يقبل حبا وهو يرتقب
خاف الملال اذا طالت اقامته ... فظل يظهر احيانا ويحتجب

ابو طالب الرقى

ووردة من نبات معطار ... حبا بها فى لطيف اسرار
كأنها وجنة المحبوب وقد ... نقطها عاشق بدينار

العماد الاصبهانى

قلت للورد ما لشوكك يدمى ... كلما قد اسعر به جراحى
قال لى هذه الرياحين جندى ... انا سلطانها وشوكى سلاحى

فى الورد الاصفر لبعضهم

رعى الله وردا غدا أصفرا ... بهيا نضيرا يحاكى النضارا
وسقى به غصنونا به اثمرت ... وحملن منه شموسا صغارا

المؤيد الطغرائى

شجرات ورد أصفر تخذت ... فى قلب كل متيم طربا
سبكت يد الغيم الجين لها ... فكسته صبغا مؤنقا عجبا
من ذا راى من قبله شجرا ... سقى الجين فاثمر الذهبا

وقال

الم تر أن جند الورد وافى ... بصفر من مطارده وخضر
اتى مستلئما بالشوك فيه ... فصال زمرد وتراس تبر

فى الورد الازرق من وصف بستان لبعضهم

وبهر وارد من الورد قد ايـنع فى رقة الهوا اللطيف
شبهوه بدمعة العاشق الـ ـالف نالته جفوة من اليف
فهو يحكيه زرقة ومثال الـقرص لونا فى خد ظبى نزيف
ورق ازرق كزرق يواقـيت تطلعن من لجين مشوف

فى الورد الابيض للسرى الرفا

وروض كساه الغيث فى جادة ... مجاسد وشى من بهار ومنثور
بدا ابيض الورد الجنى كأنما ... تبسم للناشى بمسك وكافور
كان اصفرارا منه تحت ابيضا ... براده تبر فى مداهن بلور

فى الورد الاسود لابى احمد الطرارى

لله اسود ورد ظل يلحظنا من الرياض باحداق اليعافير
كأنها وجنات الزنج نقطها كف الامام بأنصاف الدنانير

آخر

وورد أسود خلناه لما تنشق نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غض وفيها بقايا من سحيق الزعفران

علي بن الرومي يهجو الورد

يا مادح الورد لا ينفك من غلطه الست تنظره في كف ملتقطه
كأنه سرم بقل حين يبرزه عبد البراز وباقي الروث في وسطه

قال ابن المعتز يرد عليه

يا هاجي الورد لا حييت من رجل غلطت والمرء قد يؤتى على غلطه
هل تنبت الأرض شيأ من أزاهرها اذا تحلت بحلى الوشي من نمطه
احلى واشهر من ورد له ارج كأنما المسك مذرور على وسطه

علي بن الرومي يفضل النرجس على الورد

ايها المحتج للور د بزور ومحال
ذهب النرجس بالفضل فانصف في المقال
لا يقاس الاعين النجـ ـل باسرار البغال

ابو هلال العسكري يرد عليه

أفضل الورد على النرجس لا اجعل الأنجم كالأشمس
ليس الذي يقعد في مجلس مثل الذي يمثل في مجلس

علي بن سعيد المؤرخ

من فضل النرجس فهو الذي يرضى بحكم الورد اذ يرأس
اما ترى الورد غدا قاعدا وقام في خدمته النرجس

والناس يشبهون عدم دوام الورد بقلة بقاء الود ولهذا كتب ابو دلف الى عبيد الله بن طاهر يعاتبه *

ارى حبكم كالورد ليس بدائم ولا خير في من لا يدوم له عهد
وودي لكم كالآس حسنا ونضرة له زهرة تبقى اذا افنى الورد

فأجابه عبيد الله بن طاهر

وشبهت ودي الورد وهو شبيهه وهل زهرة الآس الا وسيدها الورد
ورودك كالآس المرير مذاقه وليس له في القلب قبل ولا بعد

واعتذر ديك الجن عن قلة لبث الورد فقال

للورد حسن واشراق اذا نظرت ... اليه عين محب هاجه الطرب
خاف الملال اذا دامت اقامته ... فصار يظهر حينا ثم يحتجب

ما ورد في النرجس روى فيه حديث موضوع اخرجه الديلمي في مسنده الفردوس وابن الجوزي في الموضوعات بسند مسلسل بالقضاه عن علي مرفوعا شموا النرجس ولو في اليوم مرة ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس قال بقراط كل شئ يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل وقال جالينوس من كان له رغيف فليجعل نصفه في النرجس فانه راعي الدماغ والدماغ راعي العقل وقال الحسن بن سهل من أدمن شم النرجس في الشتاء امن البرسام في الصيف وقال بعض الأدباء النرجس نزهة الطرف * وطرف الظرف * وغذاء الروح * ومادة الروح وكان كسرى انوشروان مغرما بالنرجس ويقول هو ياقوت اصفر بين در أبيض على زمرد أخضر وقال اني لأستحي ان اباضع في مجلس فيه النرجس لأنه اشبه شئ بالعيون الناظرة وقال الشاعر *

فاذا قضيت لنا بعين مراقب ... في الحب فليك من عيون النرجس

ابو نواس

لدى نرجس غض القطاف كأنه ... اذا ما سخناه العيون عيون
مخالفة في شكلهن فصفرة ... مكان سواد والبياض جفون

ابن المعتز

كأن عيون النرجس الغض بيننا ... مداهن تبر حشوهن عقيق
اذا بلهن القطر خلت دموعها ... بكاء جفون كلهن خلوق

كشاجم

كأنما نرجسنا وقد بدا من كثب ... انامل من فضة يحملن كأسا من ذهب

الصنوبري

اضعف قلبي النرجس المضعف ... ولا عجب ان صبا مدنف
كانه بين رياحيننا ... اعشار آي ضمها مصحف

ابن مكسبه

ونرجس الى حدائق الربى محدق ... كأنما صفرته على بياض بقق
اعشار جزء آذهبت ... في ورق من ورق

ابو بكر بن حازم

ونرجس كؤوس التبر لائحة من الزبرجد قد قامت بها ساق
كأنها عيون هد بها ورق لهن ما خالص العقيان احداق

آخر

وأحسن ما في الوجوه العيون وأشبه شيء بها النرجس
يظل يلاحظ وجه النديم فردا وحيدا فيستأنس

الصنوبري

وعندنا نرجس انيق تحيي بانفاسه النفوس
كأن أجفانه بدور كأن أحداقه شموس

وقال

اما ترى احسن من عيون النرجس او من تلاحظهن وسط المجلس
در تشقق عن يواقيت على قضب الزبرجد فوق بسط السندس

ابن الرومي

ونرجس كالثغور مبتسم له دموع المحدق الشاكي
ابكاه قطر الندى وأضحكه فهو مع القطر ضاحك باكي

وقال

انظر الى نرجس في روضة أنف غنا قد جمعت شتى من الزهر
كأنه يا قوتة صفرا قد طبعت في غصنها حولها است من الدرر

آخر

ابصرت باقة نرجس في كف من أهواه غضة
فكأنها قضب الزبرجد قمعت ذهبا وفضة

ومن رسالة لضياء الدين الاثير يصف متنزها جا فيه وصف النرجس فمن جا فنرجس ويقول هذا ما جا جب القد المايس* والذي عينه عين متيقظ وجيده جيد ناعس* وهو بكر الربيع والبكر اكرم الاولاد على الوالد* وقد جعل ذا الونين اثنين اذ لم يحظ غيره الا بلون واحد* (ما ورد في البنفسج)* فيه احاديث ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات منها حديث ابي سعيد مرفوعا فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلي على سائر الخلق بارد في الصيف حار في الشتاء اخرجه ابن حبان في تاريخ الضعفاء والحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي في مسند الفردوس وورد ايضا بهذا اللفظ من حديث ابي هريرة وانس اخرجهما الخطيب البغدادي ومن حديث علي اخرجه ابن الجوزي وقال في الاربعة انها موضوعة واخرج ابو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي مرفوعا فضل دهن

البنفسج

البنفسج على سائر الادهان كفضل ولد عبد المطلب على سائر قريش وفضل البنفسج كفضل الاسلام على سائر الأديان قال ابو نعيم هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد لم نكتبه الا بهذا الاسناد عن هذا الشيخ افادناه الدارقطني واخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ايضا قال ابن وحشية البنفسج نوعان جبلي وبستاني والجبلي دقيق الورق ازرق اللون والبستاني عريض الورق حائل اللون ويوجد فيه الابيض على لون الشمع ولا يوجد الا بمصر ويسمى الكوفي ومن عجيب امره ان الانسان اذا قنطر في مجاري الماء اليه مات وبل وكذا ان خرج منه ريح في مزرعته وانه اذا دام عليه الضباب يوما او نحوه ضعف ومتى توالى نقصت زهريته وصغر ورقه وتغيرت رائحته ومن الاشيا المضادة له القصب فانه لا يكاد يفلح بقربه ولا يبقى واذ وقعت صناعقة على ابو بعانة نزاع عنه فاقل هلك سريعا ويفسد ايضا البرد والرعد الشديد المتتابع والسموم وريح الشمال الباردة والمطر الكثير وماء الابار والدخان وتراب المقبرة من رسالة لابي العلا عطارد بن يعقوب الخوارزمي يصف بنفسجة * سماوية اللباس * مسكية الانفاس * واضعة رأسها على ركبتها كما شوهد مجور * تنطوي على قلب مسجور * كفتايا النفس في بنان الكاعب * او النقش في اصابع الكاتب * او الكحل في الالحاظ الملاح * المراض الصحاح * الفاترات القاتلات المجيبات القاتلات * لا زوردية اربت برقتها على زرق اليواقيت * كأوائل النار في اطراف كبريت * او اثر العرضة في خدود العذارى * او عذار من خلعت فيه العذارا *

ابو القاسم بن هذيل الاندلسي

بنفسج جمعت اوراقه فحكت ... كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت
اولا زوردية اربت برقتها ... وسط الرياض على زرق اليواقيت
كأنه وضعا القصب تحمله ... اوائل النار في اطراف كبريت

آخر

بنفسج بذكى الريح مخصوص ... ما في زمانك اذ وافاك تنغيص
كأنما شعل الكبريت منظره ... او خد اغيد بالتحبيش مقروص

آخر

ماس البنفسج في اغصانه فحكى ... زرق الفصوص على بيض القراطيس
كأنه وهبوب الريح تعطفه ... بين الحدائق اعراف الطواويس

آخر في البنفسج الابيض

كأن البنفسج فيما حكى ... اخلاقك المونقه
يلوح فتحت طاقاته ... فصوصا من الفضة المحرقه

الامير عبد الله الميكالي

يا مهديا لي بنفسجًا ارجًا ... يرتاح صدري له وينشرح
بشّرني عاجلا بصحته ... بان ضيق الامر سنفسح

مجير الدين بن تميم الحموي

عاينتُ ورد الروض يلطم خده ... ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوّع نشره ... ما بينكم فهو العدو الازرق

آخر

بنفسج الروض تاه عجبًا ... وقال طيبي للجو ضمّخ
فاقبل الزهر في احتفالٍ ... والبان من غيظه تنفّخ

ما قيل في النيلوفر قال ابن التلميذ النيلوفر اسم فارسي معناه النيلي الاجنحة والنيلي الارياش وقال ابن وحشية الفرس تسميه نيلوفر والعرب نيلوفر والهند نيلوفك والنبط نيلوفريا قال ابن التلميذ ومن عاداته ان يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت فيزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس فاذا اخذت في الهبوط ابتدا ينضم على ذلك الترتيب حتى ينضم انضمامًا كاملًا عند الغروب ويبقى مضمومًا الليل كله فاذا اطلعت اخذ في الانفتاح وهذا دأبه ابدًا قال وهو نبات قمري يزيد بزيادة القمر وينقص بنقصانه

ابو بكر الزبيدي الاندلسي

وبركة تزهو بنيلوفر ... نسيمها يشبه ريح الحبيب
حتى اذا الليل دنا وقته ... ومالت الشمس لوقت المغيب
اطبق جفنيه على جيبه ... وغاص في البركة خوف الرقيب

آخر

وبركة احيا بها ماؤها ... من زهرها كل نبات عجيب
كأن نيلوفرها عاشق ... نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى اذا الليل بدا نجمه ... وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه عسى في الكرى ... يبصر من فارقه عن قريب

آخر

يا حبذا بركة بنيلوفر ... قد جمعت من كل فنّ عجيب
ازرق في احمر في ابيض ... كقرصة في صحن خدّ الحبيب
كأنه يعشق شمس الضحى ... فانظره في الصبح وعند المغيب
اذا تجلت يتجلى لها ... حتى اذا غاب سناها يغيب

آخر

كلنا باسط اليد ... نحو نيلوفر ندى
كدر يابس عيسجد ... قضبها من زبرجد

آخر

انظر الى بركة نيلوفر ... محمرة الاوراق خضراء
كأنما ازهارها اخرجت ... السنة النار من الماء

آخر

ونيلوفر صافحته الرياح ... وعانقها الماء صفوا ورقا
تحمل اوراقه في الغدير ... السنة النار حمرا وزرقا

آخر

صفر المدارى تضمها شرف ... منتضح عند نشرها العطر
تحملها خيزرانة ذبلت ... ذبول صب اذابه الهجر
كانها اذ رايت السنة ... انطقها للمهيمن الشكر
خناجر من حنا جرنزعت ... فهى على الماء من دم حمر

المطفر الاى

ونيلوفر اعناقه ابدا صفر ... كان به سكرا وليس به سكر
اذا انفتحت اوراقه فكانها ... وقد ظهرت الوانها البيض والصفر
انامل صباغ صبغن بنيلة ... وراحتها بيضا فى وسطها تبر

ابن الرومى

يرتاح للنيلوفر القلب كذى ... لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد أصبح فى الروائح عبده ... والنرجس المسكى خادم عبده
يا حسنه فى بركة قد اصبحت ... محشوة مسكا يشاب بنده
مهجورة ظل يرفع رأسه ... كالمستجير برية من صده
وكانه اذ غاب عند مسائه ... فى الماء فانجيت نضارة قده
صبت تهدده الحبيب بهجره ... ظلما فغرق نفسه من وجده

الوجيه بن الذروى يهجو النيلوفر

ونيلوفر ابدى لنا باطنا له ... مع الظاهر المخضر حمرة عندم
فشبهته لما قصدت هجاءه ... بكاسات حجام بها لوثة الدم

البشنين قال فى مباهج العبر واذا مر النيل بمصر ينبت فى اماكن منخفضة قد وقف

فيها الماء نبات يشبه النيلوفر ليست له رائحة ذكية يسمى البشنين يتخذ منه دهن وهو نوعان نوع يسمى الخريري يشبه الرمان وتسميه اهل مصر الجلجلان والآخر يسمونه الغزي وله اصل يسمى البيارون (ما ورد في الآس) اخرج ابن السني وابو نعيم كلاهما في الطب النبوي عن ابن عباس رفعه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء بالآسة وهي سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا وبالبحوة وهي سيدة ثمار الدنيا واخرج ابن ابي حاتم في تفسيره وابن السني عن ابن عباس قال اول شيء غرس نوح حين خرج من السفينة الآس واخرج ابن السكن عن عائشة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستاك بعود الآس وعود الرمان فانهما يحركان عرق الجذام واخرج ابن السني عن الاوزاعي يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن التخلل بالآس وقال انه يسقي عرق الجذام قال في مباهج العبر اليونان تسمي الآس مرسينا وتسميه العامة المرسين وقال ابن وحشية الآس سيد الرياحين ويعظم حتى انه يشجر ويثمر ثمرا قدر المحص وهو ثلاثة انواع اخضر وهو المشهور واصفر وهو ما فسد من ورق الاول وازرق ويسمى الخسرواني وهو ان يخلط في اصوله عند الزرع ورق النيل قال ــــ الاخيطل الاهوازي *

للآس فضل بقائه ووفائه ... ود وام منظره على الأوقات
قامت على اغصانه ورقاته ... كفضول نبل جئن مؤتلفات

آخر

ومشمومة مخضرة اللون غضة ... حوت منظرا للناظرين انيقا
اذا شمها المعشوق خلت اخضرارها ... ووجنته فيروزجا وعقيقا

ابن وكيع

خليلي ما للآس يعبق نشره ... اذا هبت انفاس الرياح العواطر
حكى لونه اصداغ ريم معذر ... وصورته آذان خيل نوافر

(ما ورد في الريحان وهو الحبق) روى فيه احاديث موضوعة منها حديث ابن عباس مرفوعا نعم الريحان ينبت تحت العرش وماؤه شفاء للعين اخرجه العقيلي وقال باطل لا اصل له وابن الجوزي في الموضوعات وورد نحوه من حديث انس اخرجه الخطيب البغدادي وقال موضوع وابن الجوزي ايضا واخرج الخطيب قال التلخيص من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا المرزنجوش مزدوعا حول العرش فاذا كان في دار لم يدخلها الشيطان قال الخطيب باطل قال ابن الجوزي وروى بسند مجهول من حديث انس مرفوعا ان في الجنة بيتا سقفه من مرزنجوش قال في مباهج العبر العرب تطلق اسم الريحان على كل نبت له ريح طيبة والحبق انواع منه الريحان النبطي وهو عريض الورق ويسمى الباذروح وهو الحماحم المعروف عند

الناس المتخذ في البساتين وحبق رحاني وله رائحة كرائحة الاترج ويسمى الباذرنجويه والباذرنبويه واسمه بالفارسية مرماخوز بالزاي المعجمة وهو دقيق الورق وحبق قرنفلي وله رائحة كرائحة القرنفل ويسمى الفرنخمشك بالفارسية وحبق صعتري له رائحة كرائحة الصعتر وحبق كرماني ويسمى بالفارسية الشاهسفرم ومعناه ملك الرياحين والعرب تسميه الضيمران والصورانج وهو دقيق الورق جدًّا يكاد أن يكون دون السذاب وحبق الفيي وهو المرزنجوش والعرب تسميه العبقر ويقال إنه الخمام وريحان الكافور ويسمى بالفارسية سوس شكله شكل المنثور وزهره وورقه يؤديان رائحة الكافور * قال السري الرفاء يصف حوض ريحان *

وبساط ريحان كماء زبرجد ... عبثت به ايدى النسيم فأرعدا
يشتاقه القوم الكرام فكلما ... مرض النسيم سعوا اليه عوّدا

ابو الفضل الميكالي

اعددتُ محتفلاً ليوم فراغي ... روضاً غدا انسان عين الباغ
روض يروض هموم قلبي حسنه ... فيه ليوم اللهو أحلى مساغ
واذا انثنت قضبان ريحانه به ... حيث يمثل سلاسل الاصداغ

ابو القاسم الصقلي

انا بالريحان مفتون ولا مثل المحاسن
فتامله تجد عذر الصب القلب هائم
غلة الجند بخضر القمص في حمر العمائم

الطغرائي

مراضيع من الريحان تسقى ... سقوط الطل اورد العباد
ملابسهن خضر مسبغات ... تشير بزهن الى السواد
اذا دارت عليها المسك ريح ... وجاد بفيضهن بدا الفؤاد
تخالها الرياح فسرّ حتها ... ضبيع المشط في اللمم الجعاد

ابن افلح

وجاحم كأسنة ... في كل معترك قديم
او أنجم برزت لتحرق كل شيطان رجيم
او مثل اعراف الديو ... ك لدى مبارزة الخصوم
او كالشقيق تحرّشت ... بفروعه ايدى النسيم
او ثاكلٍ صبغت ثيا ... با من دم الخد اللطيم

ابن وكيع

هذا الجاحم زهر فيه حياة النفوس
كأنه حين يبدو برادة الآبنوس

آخر

اما ترى الريحان اهدى لنا حماحما منه فأحيانا
تحسبه في طله والندى زمردا يحمل مرجانا

ابن وكيع في الصعتري

صعتري ارق من اوجل السهل واذكى من نفحة الزعفران
كسطور كسين نقطا بشكلا من يدي كاتب ظريف البنان

صاعد الاندلسي في الريحان الترنجي

لم اد رقبل ترنجان مررت به ان الزمرد اغصان واوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته يا قوم حتى من الاشجار سراق

آخر

ذكي العرف مشكور الايادي كريم عرفه يسلي الحزينا
اغار على الترنج وقد حكاه وزاد على اسمه الفا ونونا

ما قيل في المنثور وهو الخيري ابن وكيع

انظر الى المنثور في ميدانه يدنو الى الناظر من حيث نظر
كجوهر مختلف لونه اسلمه سلك نظام فانتثر

آخر

انظر الى المنثور ما بيننا وقد كساه الطل قمصانا
كأنما صاغته ايدي الحيا من احمر الياقوت مرجانا

ومن خواصه انه لا تعبق له رائحة الا ليلا وفيه يقول الشاعر

ينم مع الاظلام طيب نسيمه ويخفى مع الاصباح كالمتستر
كما طرة ليلا لوعد محبها وكاتمة صبحا نسيم التعطر

ما قيل في الياسمين كتب ناصر الدين التميمي الى النصير الحامي يلغز فيه * * * * *

يا من يحل اللغز في ساعة كلمحة من طرفة العين
ما اسم اذا انقصت من عدده فالخط حرفا صار اسمين

فأجابه نصير

لعرضك ولانا وانفاسه الغزت لي حقا بلا مين
اسم سداسي لطيف به نحافة تظهر للعين

لكنه

لكنه يعدو سميناً اذا اسقطت من اولاه حرفين

ابو اسحاق الحصري يصف الياسمين قبل انفتاحه

خليليّ هُبّا وانفضا عنكما الكرى وقوما الى روض ونشر عبيق
فقد راح راس الياسمين منورا كأقراط دُرّ قُمّعت بعقيق
سميل على ضعفي الغصون كأنما له حالتا ذي غشية ونفيق
اذا الريح ادنته الى الارض خلته نسيم جنوب ضمخت بخلوق

آخر

وروضة نورها يزهر مثل عروس اذا تزفّ
كأنما الياسمين فيها انامل مالها اكف

ابو بكر بن القوطية

وابيض ناصع صافي الاديم يطلع فوق مخضرّ بهيم
كان نواره الجنّي منه سماء قد تحلت بالنجوم

آخر

كأنّ الياسمين الغضّ لمّا ادرت عليه وسط الروض عيني
سماء للزبرجد قد تبدت لنا فيها نجوم من لجين

المعتمد بن عبّاد

كأنما ياسمينا الغضّ كواكب في السماء تبيضّ
والطرق الحمر في بواطنه كخدّ عذراء مسّهُ عضّ

ابن عبد الظاهر

ويا سمين قد بدت ازهارُه لِمَنْ يصف
كمثل ثوب اخضر عليه قطن قد ندف

آخر

ويا سمين عبق النشر يزري بريح العنبر الشحري
يلوح من فوق غصون له كمثل اقراط من الدرّ

ابن الحدّاد الاندلسي

بعثت بالياسمين الغضّ مبتسما وحسنه فاتن للنفس والعين
بعثته مشبتاً عن صدق معتقدي فانظر تجد لفظه ياسامن اللين

وقال آخر

لا مرحبا بالياسمين وان غدا في الروض زينا

صحفته فوجدته متقابلا ياسًا ومينا

آخر

ويا سمين ان تاملته حقيقة ابصرته شينا
لانه ياس ومين ومن احب قطا الياس والمينا

ما قيل في النسرين قال ابن وحشية الياسمين والنسرين متقاربان حتى كأنهما أخوان وكل واحد منهما نوعان ابيض واصفر ولهما شقيق اخر وردهُ اكبر من وردهما يسمى جلنسرين قال عبد الرزاق بن علي النحوي

زان حسن الحدائق النسرين فا بجي في رياضه مفتونِ
قد جرى فوقه اللجين والا فهو من ماء فضة مدهونِ
اشبهته طلى الحسان بناها وحوته شبه القدود غصونِ

آخر

اكرم بنسرين بديع الصبا من نشره مسكا وكافورا
ما ان رأينا قط من قبله زبرجدا يثمر بلورا

آخر

انظر لنسرين بلو ح على قضيب اسلد
كمداهن من فضة فيها برادة عسجد
حيتك من ايدي الغصو ن بها اكف زبرجد

ما قيل في الاقحوان مجير الدين محمد بن تميم

لا تمش في روض وفيه شقائق او اقحوان غبت كل عمام
ان اللواحظ والخدود ايطها عن وطئها في الروض بالاقدام

آخر

كان نور الاقحوان اذ لاح عب القطر
انامل من لجين اكفها من تبر

علي بن عياد الاسكندراني

والاقحوانة تحكي وهي ضاحكة عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب
كانها شمسة من فضة خرست خوف الوقوع بمسمار من الذهب

ظافر الحداد

والاقحوانة تحكي ثغر غانية تبسمت فيه من عجب ومن عجب

في القد والنرد والريق الشهي وطيب الريح واللون والتفليج والشنب

كشمسة من لجين في زبرجدة قد شرفت حول مسمار من الذهب

الجمال علي بن ظافر المصري

انظر فقد أبدا الإقاح مباسما ضحكت تهلل في قدود زبرجد
كفصوص در لطفت اجرامها قد نظمت من حول شمسة عسجد

آخر

ظفرت يدى للاقحوان بزهرة تاهت بها في الروضة الازهارُ
ابدت ذراع زبرجد وانامل من فضة في كفها دينارُ

ما قيل في البان شمس الدين محمد بن التلمساني

تبسم زهر البان عن طيب نشره واقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة فان غصون البان تصلح للقصف

الشهاب محمود على لسان البان

اذا ادغدغتني ايدى النسيم قلتُ وعندى بعض الكسل
فسل كيف حال قدود الملاح وعن حال سمر القنا لا تسل

ابو حلنك الشاعر ابو القاضي شمس الدين بن خلكان

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت ابوابها
والبان تحسبه سنا نير رأت قاضي القضاة فنفشت اذنابها

تاج الدين بن شقير

قد أقبل الصيف ولى الشتا وعن قريب نشتكى الحرّا
اما ترى البان باغصانه قد اقلب الفرو الى برّا

ما قيل في الشقيق ابن الرومي

يصوغ لنا كف الربيع حدائقا كعقد عقيق بين سمط لآل
وفيهن نوار الشقائق قد حكى خدود غوان نقطت بغوالِ

كشاجم

فرج القلب غاية التفريج ابتهاجي ما بين روض بهيج
فكان الشقيق فيه اكا لليل عقيق على رؤس زنوج

ابو العلاء السروي

جام تكون من عقيق احمر ملئت قرارته بمسك اذفر
حرط الربيع مثاله فأقامه بين الرياض على قضيب اخضر

ابو بكر الصنوبري

وكأن محمرّ الشقيق اذا تصوّب او تصعّد اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

الخيار البلدي

انظر الى مقل الشقيق تضمنت حدق السبج
من فوق اغصان حسن وما سجين من العوج

آخر

شقيقة شق على الورد ماء قد لبست من كثرة الصبغ
كأنها في حسنها وجنة يلوح فيها اثر الصدغ

في زهر النارنج

للقاضي الفاضل

نديميّ هبّا قد قضى النجم نحبه وهبّ نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد ازهر النارنج ازرار فضة تزرّ على الاشجار اوراقها الخضرا

في الخشخاش

ابن وكيع

وخشخاش كأنّا منه نفرى قميص زبرجد عن جسم دُرّ
كأقداح من البلور صيغت باغشية من الديباج خُضْر

في نور الكتان

ابن وكيع

ذوائب كان تمايل في الضحى على خضر اغصان من الوى ممتد
كأن اصفرار الزهر فوق اخضرارها مداهن تبر ركبت في زبرجد

آخر

كأنه حين يبدو مداهن آلاء زورد
اذا السماء رأته تقول هذا فرندي

ابن الرومي

وجيش من الكتان اخضر ناعم سقى نبته دامي الرباب مطير
اذا درجت فيه الشمال تتابعت ذوائبه حتى تقول غدير

ذكر الفواكه

ماورد في البطيخ اخرج ابن عدي في الكامل عن عائشة قالت كان احب الفاكهة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ واخرج الطبراني والحاكم في المستدرك عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان احبّ الفاكهة اليه قال في مباهج الفكر البطيخ ثلاثة اصناف هندي ويسمى عصر البطيخ الأخضر وبالحجاز الجحب وصيني ويسمى عصر الأصفر وفيه يقول الذ

ثلاث هن في البطيخ زين وفي الانسان منقصة وذلّه

خشونة لمسه والثقل فيه وصفرة لونه من غير علة

وخراسان ويسمى عصير العبدلى منسوب لعبد الله بن طاهر فانه الذى دخل به مصر * * *

قال ابو طالب المامونى فى البطيخ الهندى

ومبيضة فيها طرائق خضرة كما اخضر مجرى السيل من صيب المزن
كحقة عاج صُيّبتْ بزبرجد حوتْ قطع الياقوت فى عصب القطن

آخر

أخ لى صادق اهدى الينا كما يهدى الصديق الى الصديق
قلائل زبرجد فيهن شهدٌ وحشو الشهد شئ كالعقيق

آخر

وأيهما فى كف جلابها وقد بدتْ فى غاية الحسن
كسلة خضرا مختومة على الفصوص الحمر فى القطن

ابو طالب المامونى فى البطيخ الأصفر

وبطيخة مسكية عسلية لها ثوب ديباج وعرف مدام
محققة ملء الأكف كانها من الجزع كسرى لم ترض بنظام
لها حلة من جلنار وسوسن منمنمة بالآس عب غمام
تمازج فيها لون جت وعاشق كساه الهوى والبين ثوب سقام
اذا فصلت تلا كل كانت أهلة واذ لم تفصل فهى بدر تمام

وقال

تقطع بالتسكين بطيخة ضحى على طبق فى مجلس لأصاحبه
كبدر يبرق فى ثمساء اهلة على هالة فى الافق بين كواكبه

آخر

اتانا الغلام ببطيخة وسكينة اشبعوها صقالا
فقطع بالبرق شمس الضحى وناول كل هلال هلالا

آخر

الا فانظروا البطيخ وهو مشقق وقد حاز فى التشقيق كل اليق
مشفاها كبلور بدت فى زمرد مركبة فيها فصوص عقيق

ما ورد فى الرمان أخرج عبد الله بن احمد فى زوائد المسند وابن السنى بسند رجاله ثقات عن على بن ابى طالب قال كلوا الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة واخرج الطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس انه كان ياخذ الحبة من الرمان فيأكلها فقيل له لم تفعل هذا قال يلذنى

انه ليس في الارض رمانة الا تلقح بحبة من حب الجنة فلعلها هذه قال بعضهم *

رمانة صبغ الزمان اديمها ... فتبسمت في ناضر الاغصان
فكأنما في حقة من عسجد ... قد اودعت خرزا من المرجان

آخر

رمانة مثل نهد الكاعب الريم ... تزهى بشكل ولون غير مذموم
كأنها حقة من عسجد ملئت ... من اليواقيت تبرا غير منظوم

آخر

ولاح زماننا فأبهجنا ... بين صحيح وبين مفتوت
من كل مصفرة من عفرة ... تفوق في الحسن كل منعوت
كأنها حقة فان فتحت ... فصرة من فصوص ياقوت

آخر

طعم الوما ليصونه طعم النوى ... سبحان خالق ذا وذا من عود
فكأنها والخضر من أوراقها ... خضر الثياب على نهود الغيد

آخر

خذوا صفة الرمان عني فإنني ... لسانا عن الأوصاف غير قصير
حقاق كأمثال العقيق تضمنت ... فصوص بلخش في غشاء حرير

في جلنارة ابو فراس الحمداني

وجلنار مشرف ... على اعالي شجرة ... قراضة من ذهب في خرق معصفرة

عبد الله بن المعتز

وجلنار كاحمرار الخد ... او مثل اعراف ديوك الهند

ابن وكيع

وجلنار بهي ... ضرامه يتوقد ... بدا لنا في غصون ... خضر من الرى مبد
يحكي فصوص عقيق ... في قبة من زبرجد

آخر

كان الجلنار اذا اطلعه الغض العيون ... انامل كلها خضيب لاذ أعلى الغصون

ما ورد في الموز اخرج الخطيب فيما رواه مالك عن مالك بن انس قال ليس في الدنيا شيء يشبه ما في الجنة الا الموز لان الله تعالى يقول اكلها دائم وانت ترى الموز في الشتا والصيف
دخل القاضي ابو بكر بن قريعة على عز الدولة بن بويه وبين يديه طبق فيه موز فلم يدعه اليه فقال ما بال الامير لا يدعوني الى الموز فقال له صفه حتى اطعمك منه فقال

ما اصف من جرب ديباجيه * فيها سبائك ذهبيه * كانما حشيت زبدًا او عسلا * او خبيصًا مرملا * اطيب الثمر * كانه مخ الشجر * سهل المقشر * لين المكسر * عذب المطعم بين الطعوم * سلسل في الحلقوم * وقال البحتري بن اسرائيل * *

انعته موزا شهي المنظر ... مستحكم النضج لذيذ المخبر
كأن تحت جلده المزعفر ... لفات زبد عجنت بسكر

ابن الرومي

للموز احسان بلا ذنوب ... ليس بمعدود ولا محسوب
يكاد من موقعه المحبوب ... يسلمه البلع الى القلوب

البهاء زهير

يا جذا الموز الذي ارسلته ... لقد اتانا طيب من طيب
في لونه وطعمه وريحه ... كالمسك او كالتبر او كالذهب
وافت به اطباقه منضدًا ... كانه مكاحل من ذهب

آخر

يحكي اذا اقشرته انياب افيال الصغار ... ذو باطن مثل الاقاح وظاهر مثل البهار

ما ورد في النخل اخرج الشيخان عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الشجر شجرة مثلها مثل المسلم اخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في قلبي انها النخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي النخلة واخرج ابو يعلى في مسنده وابن السني عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها قال في مباهج الفكر ويقال ان مما اكرم الله به الاسلام والنخل انه قد رجميع نخل الدنيا لاهل الاسلام فغلبوا على كل موضع هو فيه وقال الدينوري في المجالسة حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابي عن محمد بن يزيد بن مطير قال قال محمد بن اسحاق كل نخلة على وجه الارض فمنقولة من الحجاز نقلها النمازدة الى المشرق ونقلها الكنعانيون الى الشام ونقلها الغراعنة الى باب اليون واعمالها وحملها التبابعة في مسيرهم الى اليمن وعمان والشحر وغيرها * الحداد

روض كمخضر العذار وجدول ... نقشت عليه يد النسيم مواردا
والنخل كالهيف الحسان تزينت ... فلبسن من اثمارهن قلائدا

في الطلع

كانما الطلع يحكي ... لنا ظرى حين اقبل
سلا سلا من لجين ... يضمها حق صندل

في الجمار

اهدى لنا جمارة ... من لست اخشى من عذابه

فكأنما هي جسمه لما تجرد من ثيابه

في البلح الاخضر

اما ترى النخل نثرت بلحا جاء بشيرا بدولة الرطب
مكاحلا من زبرجد خرطت مقمعات الرؤس بالذهب

في الاصفر

أما ترى البسر الذي قد جاءنا يا لعجب
مكاحلا من فضة قد طليت بالذهب

في الاحمر

انظر الى البسر اذ تبدى ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا

ماورد في الاترج اخرج الشيخان عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب واخرج ابن السني عن ابي كبشة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الاترج والخام الاحمر بعضهم

كان اترجنا النضير وقد زان تحيانا مصبغه
ايد من التبر ابصرت بدرا من جوهر فانثنت بمجمعه

آخر يا حبذا الترجة تحدث للنفس طرب كانها كافورة لها غشاء من ذهب

لاسعد بن مماتي

لله سهل الحسن لو جية تذكر الناس يام النعيم كانها قد جمعت نفسها من حية لفاضل عبد الرحيم

ابن المعتز

اترجة قد اتتك برا لا تقبلنها وان سرتنا لا تهدا ترجة فاني رايت مقلد بها هجرنا

ماورد في القصب اخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول ثلاثة اشياء دواء الداء الذي لا دواء له الذي اعيا الاطبا اذ يداووه العنب وابن اللفاح وقصب السكر ولولا قصب السكر ما اقمت بمصر بعضهم

تحكيه سمر القنا ولكن تراه في جسمه طلاوه وكلما زدته عذابا زاد لك من ريقه حلاوه

في الكمثرى حبا بكمثراية لونها لون محبة زائد الصفره
تشبه نهد البنت اذ قعدت وهي بها ان قلبت سُرّه

في الخوخ كأنما الخوخ في وجوه وقد بدا أحمره العندمي
بناوق من ذهب أصفر قد خضبت انصافها بالدم

ماورد في التين اخرج ابن السني والديلمي في مسند الفردوس عن ابي ذر قال اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت هي التين وانه يذهب بالبواسير وينفع من التقرس * كشاجم

اهلا بتين جانا مفضضا على طبق كسفرة مضمومة قد جمعت بلا خلق

ابن المعتز

انعم بتين طاب طعما واكتسى ... حسنا وقارب منظرا من مخبر
في برد ثلج في قفا تبر وفي ... ريح العبير وطيب طعم السكر
يحكي اذا ما صب في اطباقه ... خيما خضرن من الحرير الاخضر

في اللوز الاخضر

ابن المعتز

ثلاثة اثواب على جسد رطب ... مخالفة الاشكال من صنعة الرب
تثير الردى في ليله ونهاره ... وان كان كالمسجون فيها بلا ذنب

آخر

اما ترى اللوز حين ترحله ... من الافانين كف مقتطف
وقشره قد جلا القلوب لنا ... كأنه الدر داخل الصدف

ظافر الحداد

جاء بلوز أخضر ... اصفره ملء اليد ... كأنما زئبره ... نبت عذار الأمرد
كأنما قلوبه ... من توأم ومفرد ... جواهر لكنما ... الأصداف من زبرجد

البدر الذهبي

ما نظرت مقلتي عجيبا ... كاللوز لما بدا انواره ... اشتعل الرأس منه شيبا ... وأخضر من بعد ذا عذاره

ما قيل في المشمش

محيي الدين بن عبد الظاهر

حبذا مشمش على الدوح اضحى ... ذا شعاع يستوقف الابصارا
شجر أخضر لنا جعل الله تعالى منه كما قال نارا

وقال

وكأن ضوء الشمس من اوراقها ... في نقش اسوقة الفصوص خلاخل
وكأن مشمشها بصفرة هزارها ... اذ حركته به النسيم جلاجل

آخر

ومشمش جاءنا من اعجب العجب ... اشهى الي من اللذات والطرب
كانه وهبوب الريح تنثره ... بنادق خرطت من خالص الذهب

ما قيل في النبق

ابن الجميلي

انظر الى النبق في الاغصان منتظما ... والشمس قد اخذت تجلو في القضب
كأنه صفرة للناظرين غدت ... تحكي جلاجل قد صيغت من الذهب

آخر

وسروة كل يوم من حسنها في فنون ... كأنما النبق فيها وقد بدا للعيون
جلاجل من نضار ... قد علقت في الغصون

ذكر الحبوب والخضراوات والبقول

في سنابل البر والشعير

القاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته ... تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة تجعل مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح

(آخر) يا حبذا سنبلة تبدو لعين المبصر كأنها سلسلة مظفورة من عنبر

ظافر الحداد كأن سنابل حب الحصيد وقد شارفت وقت ابانها
كنا ش مظفورة رفعت وأدنى فاضل خيطانها

ابن رافع القيرواني انظر الى سنبل الزروع وقد مرت عليه الجنوب والشمأل
كانه البحر في تموجه يعلو مرارًا ومرة يسفل
والماء للسقي في جوانبه مسك للناظرين اوصند

في الباقلى قال بعض الشعراء وهو ابن تكلم البصري
فصوص زبرجد في غلف در باقماع حكت تقليم ظفر
وقد حاك الربيع لها ثيابًا لها لونان من بيض وخضر

آخر لي بخور ورد الباقلى اد مان لهو ولهج
كأنما مبيضه يلوح في ذاك الدبج خواتم من فضة فيها فصوص من سبج

ابن وكيع ولاح ورد الباقلا ناظرا عن مقلة تفتح جفنا عن حور
كمثل الحاظ اليعافير اذا رعها من ناقص فوط الحذر
كأنها مداهن من فضة مجلوة فيها من المسك اثر
كأنها سوالف من خرد قد زينت سوادها سود الطرر

في القثاء عبد الرحيم بن رافع القيرواني
احبب بقثاء اتانا فوق اطباق منضد كمضارب قد حررت اجرامها من زبرجد
نعم الدواء اذ الهوا من الهواجر قد تسوقد

ابن المعتز انظر اليه اتا بيبا منضدة من الزبرجد خضرا مالها ورق
اذا قلبت اسمه بانت حلاوته وكان معكوسه اني بكم اثق

في الخيار لبعضهم
خيار اذ يشبهه لبيب كريحان السرور برا خضرار
كان نسيمه انفاس حب فليس لمغرم عنه اصطبار

في الفقوس شبهت حين بدا الفقوس منتبجا على الرياض بجب فيه ماسور
مخازن من لجين لف ظاهرها بسندس حشوها حيات كافور

في القرع لعبد الرحيم بن نافع
وقرع تبدو للعيون كانه خراطيم افيال للطعن بزنجار
مررنا فعاينا ه بين مزارع فما يجب منها حسنه كل نظار

في الباذنجان لبعضهم

اهدت لنا الارض من عجائبها ... ماسوف يزهو بمثله وقتى
اذا أجاد الذى يشبهه ... واحكم الوصف منه فى النعت
قال كُرات الاديم قد خشيت ... بسمسم وقمعت بكيمخت

آخر
ومستحسن عند الطعام مدحرج ... غذاه يُمير الماء فى كل بستان
تطلع من اقماعه فكأنه ... قلوب نعاج فى مخاليب عقبان

آخر
وكأنما الابدنج سود حمائم ... اوكارها روض الربيع المسكر
لقطت منقارها الزبرجد سمسما ... فاستودعته حواصلا من عنبر

آخر
وباذنجانة حشيت حشاها ... صغار الدر بالدبن الحليب
وغشيت البنفسج واستقلت ... من الآس الرطيب على قضيب

فى السلجم
لابن رافع القيروانى
كأنما السلجم لما بدا ... فى حسنه الرائق من غير مين
قطائع الكافور ملومة ... لمبصريها اوكرات اللجين

فى الفجل
لبعضهم
لله فجل قد أتتنا به ... جارية تخجل شمس النهار
كأنه فى يدها إذ أتت ... به لنا غصنا بصوب العطار
سبايك من فضة قد صفت ... اومثل انياب الفيول الصغار

آخر
احببْ بفجل قد أتانا به ... طباخنا من بعد تقشير
منضدًا فى طبق خلته ... من حسنه قضبان بلور

آخر
وبيضاء من حور الجنان ملكتها ... ولمتُ عليها صاحبى ولى العذر
وما كسيت من سندس الخلد حلة ... ولا مُجرًا لكن ذوائبها خضر

فى الجزر
لابن رافع القيروانى
انظر إلى الجزر البديع كأنه ... فى حسنه قضب من المرجان
اوراقه كنز برجد فى لونها ... وقلوبه صيغت من العقيان

آخر
انظر الى الجزر الذى ... يحكى لنا لهب الحريق
كمدية من سندس ... فيها نصاب من عقيق

فى الثوم
لابن رافع القيروانى
ياحبذا ثومة فى كف جارية ... بديعة الحسن تسبى كل من نظرا
ابصرتها وهى من عجب تقلبها ... كصرة من دبيقى حوت درا

آخر
الثوم مثل اللوز إن قشرته ... لولا رواعته وطعم مذاقه

كالتدل غرلا منظرا فاذا دعى لفضيلة ينمى الى اعراقه

ابن رشيق

في النمام

لم كره النمام اهل الهوى اسا اخواني وما احسنوا
ان كان نماما فتنكيسه من غير تكذيب لهم ما مَن

آخر

لا بارك الله في النمام ان له اسما قبيحا من الاسماء مهجورا
لو لم يتم على العشاق سرهم ما كان فيهم بهذا الاسم مشهورا

في النعناع

وجاءت بنعناع كأن غصونه براورقه مخلوقة من زبرجد
اذا مسته نفح الحرور رأيته كاصداغ زنج فلفلت من تجعد

في النارنج

لبعضهم

تأملها كرات من عقيق يروقك في فرعة وح وريق
صوالج من غصون ناعمات غذتها دوحة العيس الانيق

آخر

انظر الى منظر يلهيك منظره بمثله في البرايا يضرب المثل
نار يلوح على الاغصان في شجر لا النار تطفى ولا الاغصان تشتعل

ابو الحسن الصقلي

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة اغيد
اذا سيلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهبا في صولجان زبرجد

وقال

نعم بنارنجك المجتنى فقد حضر المستعد لما حضر
فيا مرحبا بقدود الغصو ن ويا مرحبا بخدود الشجر
كأن السماء همت بالنضار فصاغت لنا الارض منها اكر

ابن المعتز

كأنما النارنج لما بدت صفرته في حمرة كاللهب
وجنة معشوق رأى عاشقا فاصفر ثم احمر خوف الرهب

آخر

وشادن قلت له صف لنا بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة ومن جنى النارنج نارا جنى

في الليمون قال ابن وحشية الليمو والنارنج في الاصل شجر هندي السري الرفا

ظللته شجرات عطرها اطيب عطر فلك ابجده الليمو فمن بيض وصفر
اكر من فضة قد شابها تلويح تبر

آخر

يا رب ليموتة حيا بها قمر حلو المقبل الحي بارد الشنب
كأنها اكرة من فضة خرطت فاستودعوها غلا فاصيغ من ذهب

آخر

الا ترى الليمون لما بدا ياخذ في اشراقه بالعسجد
كأنه بيض دجاج وقد لطخها العابث بالزعفران

ARABAD

قد ذكر كتاب حسن المحاضرة للسيوطي